الألوهية، الرسالة والخلاص في الهندوسية (دراسة نقدية مقارنة)

إعداد

مجد الدين جمال ريناوي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ٢٠٠٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (الإلوهية ، الرسالة والخلاص في الهندوسية دراسة نقدية مقارنة) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٩/٥/١٤

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد احمد الخطيب / مشرفا أستاذ – عقيدة – أصول الدين	
الدكتور محمد نبيل العمري / عضوا أستاذ مساعد – عقيدة – أصول الدين	
الدكتورة احمد عبد حسين العوايشة / عضوا أستاذ مساعد – عقيدة – اصول الدين	
الدكتور محمد احمد ملكاوي /عضوا أستاذ – عقيدة – (اليرموك)	

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

www.manaraa.com

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى والديّ الكريمين الحبيبين اللذين ربياني صغيرا

﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

وإلى زوجتي رفيقة دربي التي كانت من أجمل ما حصل لي في حياتي

﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةً﴾

وإلى أخي أحمد وأختي إيمان الطيبين المحبين

وإلى كل من أحببته في الله وأحبني فيه

مجد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى أولا وأخيرا على كبير فضله وعظيم منّه، على أن أعانني ووفقني في إعداد هذه الرسالة وإخراجها على هذه الصورة.

ثم أتقدم بأجزل الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الوالد المشرف الدكتور محمد أحمد الخطيب حفظه الله تعالى، لما قدمه لي من النصح والإرشاد والتوجيه، والذي كان له الدور الكبير في إنجاز هذا العمل على أكمل وجه، فجزاه الله عني كل خير.

ثم أتوجه بالشكر إلى أساتذتي الكرام الفضلاء، الذين تكرموا بقراءة هذه الرسالة وتفضلوا علي بمناقشتها وتقويمها وإبداء ملحوظاتهم القيمة عليها، في سبيل تحسينها وإصلاح زلاتها، فلهم الشكر الجزيل.

وأشكر أيضا كل من أسهم وساعد في إعداد هذه الرسالة، وأعانني على إتمامها وتصحيحها. وأخص بالذكر زوجتي الحبيبة التي كان لها دور كبير في إتمام هذا العمل.

فجزاكم الله جميعا كل خير

والحمد لله أولا وآخرا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

العنوان	أ
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس الموضوعات	هـ
ملخص الرسالة	ح
المقدمة	١
الفصل التمهيدي: الهندوسية، تاريخها وفكرها	١٠
المبحث الأول: تعريف الهندوسية وأسماؤها	١١
المطلب الأول: تعريف الهندوسية	١١
المطلب الثاني: أسماء الهندوسية	١٤
المبحث الثاني: تاريخ الهند	١٥
المبحث الثالث: العقائد الهندوسية وتطورها	١٩
المبحث الرابع: الكتب الهندوسية	٢٢
الفصل الأول: الألوهية في الهندوسية	٢٩
المبحث الأول: الشرك وتعدد الآلهة عند الهندوس	٣١
المطلب الأول: عبادة الظواهر الطبيعية	٣٢
المطلب الثاني: تعدد الآلهة	٣٤
المطلب الثالث: الثالوث	٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: عبادة الأصنام	٤٠
المطلب الخامس: عبادة البقر	٤٢
المبحث الثاني: النصوص الدالة على توحيد الله تعالى وتنزيهه	٤٤
المبحث الثالث: الجمع بين النصوص	٧٧
المطلب الأول: تعدد الأسماء والصفات للإله الواحد	٧٨
المطلب الثاني: عبادة الظواهر الطبيعية وتأليه الملائكة	٨٦
المطلب الثالث: عبادة الأصنام	١٠٢
المطلب الرابع: عبادة البقر	١١٠
الفصل الثاني: الرسالة والنبوة في الهندوسية بين النفي والإثبات	١١٥
المبحث الأول: عقيدة الرسالة والنبوة في المنظور الإسلامي	١١٨
المبحث الثاني: الإيمان بالرسل عند الهندوس بين النفاة والمثبتين	١٣٠
المبحث الثالث: الإيمان بالوحي والكتب السماوية عند الهندوس	١٤٩
المبحث الرابع: البشارات بالنبي محمد ﷺ في كتب الهندوس	١٥٤
الفصل الثالث: الخلاص في الهندوسية	١٦٦
المبحث الأول: ملخص اعتقاد الهندوس في الخلاص	١٦٨
المطلب الأول: الكارما	١٦٩
المطلب الثاني: تناسخ الأرواح	١٧٠
المطلب الثالث: الانطلاق	١٧٢
المبحث الثاني: النصوص الهندوسية في إثبات الجنة والنار	١٧٥
المطلب الأول: النصوص التي تذكر البرزخ وأهوال القيامة	١٧٧
المطلب الثاني: النصوص التي تذكر الجنة	١٨٠
المطلب الثالث: النصوص التي تذكر جهنم	١٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الجمع بين النصوص	١٨٨
الخاتمة	١٩٨
قائمة المراجع	٢٠٠
ملخص باللغة الإنجليزية	٢١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الألوهية، الرسالة والخلاص في الهندوسية (دراسة نقدية مقارنة)

إعداد

مجد الدين جمال ريناوي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وعلى صحابته الغر المحجلين، الأنصار والمهاجرين، ومن تبعهم بإحسان، آمين.

فهذه دراسة تهدف إلى إظهار الصورة الأخرى والوجه الآخر للديانة الهندوسية، المخالف لما عرفناه عنها من عقائد وتصورات.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسة وخاتمة؛

فالمقدمة اشتملت على سبب اختيار الموضوع، وبيان مشكلة الدراسة، وذكر الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

وكان الفصل التمهيدي في الحديث عن تعريف الهندوسية وأسمائها وتاريخها بالإضافة إلى تاريخ الهند وشعوبه، تمهيدا لفهم طبيعة الهنود والآريين الذين تنسب إليهم الهندوسية، ثم كيف تطورت الديانة عبر الأزمان وتغيرت ملامحها، وما هي أهم الكتب المقدسة عندهم وكيف تطورت أيضا.

أما موضوع الرسالة الرئيسي فقد جاء في ثلاثة فصول:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فالفصل الأول كان بعنوان: الألوهية في الهندوسية، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، في ذكر عقائد الهندوس الشركية الحالية، ثم في نقل نصوص التوحيد وتنزيه الباري سبحانه، وذم عبادة الأصنام وعبادة الملائكة، وعدم تقديس البقر، من الكتب الهندوسية المقدسة التي وجدتها مباشرة، ومن كلام الباحثين المتخصصين الذين تكلموا عن الهندوسية ونقلوا من كتبها، ثم الجمع بين هذه النصوص وبين ما هو معروف من عقائدهم الشركية وعباداتهم الوثنية.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان: الرسالة والنبوة في الهندوسية بين النفي والإثبات، واشتمل على أربعة مباحث، تحدثت بعض هذه المباحث عن حاجة البشرية جمعاء للأنبياء والمرسلين بمختلف أممها وبلادها، وأنه لم تخل أمة من نذير، والنذير قد يكون نبيا أو رسولا أو عالما وارثا للأنبياء أو حاكما عادلا تقيا فقيها، ولذلك فلا بد وأن يكون الله تعالى قد أرسل أنبياء لجميع شعوب ومناطق الأرض ومنها الهند والصين وغيرهما، بنص القرآن الكريم.

وفيه أيضا إظهار اعتقاد طائفة من الهندوس بالنبوة والرسالات الإلهية للبشر، خلافا لما قد يفهم من كلام بعض العلماء من أن الهندوس مجمعون على إنكار ذلك، وعند بعض الهندوس تعيين بعض الأنبياء المعروفين بالاسم. وفيه أن تأليه كريشنا وراما وغيرهما من الأبطال الهنود إنما هو تحريف لعقيدة النبوة، وهو ما حصل في النصرانية أيضا.

وفيه أيضا اعتقادهم بالوحي السماوي، وأن الكتب المقدسة التي بين أيديهم هي من وحي السماء، ومعلوم بأن الوحي هو مقدمة النبوة، وهو أيضا أساسها وركنها الركين.

واختتم الفصل باستعراض البشارات الهندوسية بالنبي محمد ﷺ وأخذ بعض الباحثين بها وقبولها وتصديقها، وأنها نصوص حقيقية قديمة موجودة عندهم، وأن كتبهم تنص على بعثة خمسة وعشرين نبيا ظهروا كلهم غير الأخير، وهم ينتظرون خروجه، وله عندهم صفات كثيرة واضحة الشبه بنبينا محمد ﷺ وبعضها لا يكاد ينطبق إلا عليه ﷺ.

أما الفصل الثالث، فقد جاء بعنوان: الخلاص في الهندوسية، واشتمل على مبحثين، وهو يتحدث عن اعتقادهم بالحياة الآخرة والبعث والقيامة والحساب والثواب والعقاب والجنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنار، وهل هو التناسخ في الدنيا عن طريق تكرار المولد فقط، أو أن هناك حياة أخرى في عالم آخر غير هذه الأرض، وليس عن طريق التناسخ المعروف؟ وفيه ملخص لاعتقادهم في هذا الأمر، ثم ذكر النصوص التي تصرح بالجنة والنار، وأن الانطلاق والاتحاد بالله تعالى ليس على ظاهره، وأن المراد به هو نعيم الجنة فقط، وجوار الله تعالى فيها.

وفيه أيضا أن التناسخ حادث وطارئ على عقائدهم، فلم يذكر التناسخ في الفيدا ولا في الكتب الأولى، بل وضعه بعضهم في الكتب المتأخرة. وأن كتبهم جميعها فيها ذكر الجنة والنار على الحقيقة، لا على سبيل المجاز فقط.

أما الخاتمة، ففيها تسجيل أهم النتائج التي توصل إليها البحث مع التوصيات.

ولله تعالى الحمد والشكر في الأولى والآخرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمدا رسوله وعبده، خاتم المرسلين لا نبي بعده، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار الأبرار، ورضي الله عن صحابته الأخيار، المهاجرين والأنصار ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[١].

أما بعد؛ فقد أحببت أن أكتب عن واحدة من الأديان الشرقآسيوية القديمة، وهي ديانة عامة أهل الهند (الهندوسية) وهي من أقدم الديانات الحية في العالم، ومحاولة إيجاد قواسم مشتركة بينها وبين الأديان السماوية من جهة، والبحث عن بقايا وحي سماوي قديم في نصوصها من جهة أخرى، حيث إن هذا المجال - فيما رأيت - ما زال موردا مجهولا نوعا ما - لم يبحث فيه أحد بمثل هذه النية وهذا التوجه من قبل فيما أعلم، بل نجد أن كل من كتب عن هذه الديانة أو غيرها، اعتبرها شركية وضعية تعبد الأصنام وتؤمن بالتناسخ ووحدة الوجود وقدم العالم، وهذا صحيح تماما في الظاهر وفي ما انتهت إليه الديانة، ولكن الشيء الذي أعترض عليه؛ هو أن الجميع يفترض أن هذه الديانة قد آمنت بمثل هذه الكفريات والانحرافات منذ نشوئها وتأسيسها، وأنها على هذه الشاكلة التي نراها منذ اللحظة الأولى لظهورها..

والذي سأفتش عنه في بحثي المتواضع هذا، والذي أرغب في دراسته، هو فرضية بحثي: أنني أزعم أن هذه الديانات كانت يوما على الإسلام والعقيدة الحقة السليمة، وأن هذه البدع والانحرافات دخلتها في مراحل متأخرة وفي أزمنة متباعدة جدا، كما حصل في اليهودية والنصرانية، ويؤيد هذا الذي أفترضه، أن عددا من علماء الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء كانوا يعدون المجوس (الزرادشتيين) أهل كتاب، أنزل عليهم وعملوا به، ثم رفع ونسخ حين انحرفوا وبدلوا، وهذا الأمر نجده في جميع الأديان في العالم، ومثل هذا قيل في الصابئة - على الخلاف الدائر حولهم - ومثله أيضا قد يقال في الهندوسية والبوذية والكونفوشية وحتى في ديانة الشنتو اليابانية والديانة المصرية الفرعونية..

فهذه هي فرضيتي، وسأحاول أن أصل إلى نتيجة فيها، نفيا أو إثباتا. فإن كنت قد وفقت في اختيار الموضوع فهي منة من الله وفضل، وإن كان غير ذلك، فأسأله تعالى أن يغفر لي، وعذري أنني حاولت الاجتهاد بحسن نية، والنقص والتقصير صفتان لازمتان لبني الإنسان.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب اختيار الموضوع:

"من رحم التساؤل تولد الحقيقة" هذه القاعدة الرائعة التي توصل إليها عظماء مفكري التاريخ، فقد قال كونفوشيوس حكيم الصين العظيم: (بالتساؤل والتأمل تصل إلى الحقيقة المطلقة) وقال الإمام الشافعي: (الشك من حسن الفطن) ويعني بالشك التساؤل والبحث.

ومع التأكيد أني لست أحد هؤلاء الحكماء والعظماء، ولست أكثر من باحث عن الحقيقة يطبق الأساليب الفكرية للوصول إليها، ومن هذه الأساليب التساؤل والشك والدراسة والبحث والتمحيص، وقد وجدت أنه من حقي وواجب علي أن أطبق هذه الأساليب للوصول إلى الحقيقة وإلى أجوبة بعض التساؤلات التي شغلت ذهني، ومنها قضية الأنبياء الكثيرين الذين لم تذكرهم الكتب السماوية المعروفة، ولم يذكرهم الأنبياء والرسل، منطلقا من آي القرآن الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة، ومن مقارنة النصوص المقدسة عند بعض الديانات القديمة والعريقة بنصوص القرآن والسنة..

فقد نص الله تعالى في كتابه على أنه لم يخلق أمة إلا وأرسل إليها رسولا منها، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢] وقال عز من قائل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ﴾[٣].

ونص سبحانه على أنه لم يقصص علينا كل قصص الأنبياء ولم يذكرهم كلهم في كتابه العظيم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[٤].

وقد ذكر العلامة جلال الدين المحلي في تفسيره؛ بأن الله تعالى قد بعث ثمانية آلاف نبي إلى بني البشر، أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، شملوا - قطعا - مختلف العصور والأحقاب والأمم والشعوب[٥].

ولم يذكر القرآن الكريم في تناوله لسير وحياة الأنبياء أكثر من خمسة وعشرين نبيا.. وكذلك لم يتعد عدد الأنبياء في الكتب السماوية الأخرى أكثر من عشرات قليلة. إذا، فأين بقية الأنبياء الذين ينص القرآن الكريم على وجودهم ويشير إلى أنه لم يذكر أسماءهم وقصصهم؟ ومن هم؟

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢٤.
(٢) **سورة** النحل، آية: ٣٦.
(٣) سورة النحل، آية: ٨٩.
(٤) سورة غافر، آية: ٧٨.
(٥) **انظر**: المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، **تفسير الجلالين**، ط١، دار الحديث، القاهرة، دت، ص١٣١، في تفسير سورة النساء، الآية: ١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان هذا التساؤل يلح علي كثيرا، لدرجة أن أثار في داخلي رغبة قوية في البحث عن جواب له. فكانت دراستي هذه محاولة للإجابة عن جزء يسير من هذا التساؤل الكبير، انطلاقا من هذه الآيات الكريمة.

وسيجد القارئ الكريم أنني قد أكثرت من النقول جدا في دراستي، والسبب هو أنني سأحاول إظهار فهم جديد للهندوسية، مخالفا لما تعارف عليه الناس واعتادوه وسلموا به، ولكي يقتنع القارئ بفكرة جديدة يرفضها أغلب الباحثين.

إشكالية البحث:

إن هذا البحث هو محاولة جادة - أرجو أن تكون موفقة - للإجابة عن بعض التساؤلات التي وردت على ذهني أثناء قراءتي عن الهندوسية وديانات شرق آسيا، ومن هذه التساؤلات:

١- هل الهندوسية ديانة وضعية ابتدعها البشر، أم أن لها أصولا سماوية قديمة حرفت وبدلت؟

٢- هل في نصوص الهندوس الحالية شيء من بقايا الوحي والتوحيد؟

٣- هل عبادة الآلهة والأصنام والبقر والاعتقاد بالثالوث، هي من أصول الهندوسية أم طارئة عليها؟

٤- هل يؤمن الهندوس بالأنبياء والمرسلين والوحي الإلهي أم ينفون كل ذلك؟

٥- هل أرسل الله تعالى رسلا ورسالات لأهل الهند؟

٦- هل يؤمن الهندوس بالجنة والنار على الحقيقة أم ينفون كل ذلك ويؤمنون بأن الحساب يحصل في هذه الحياة عن طريق التناسخ فقط؟

٧- هل يقصد الهندوس من الانطلاق والرجوع إلى الخالق الاتحاد الحقيقي بالله والفناء في ذاته تعالى، أم يريدون معنى مجازيا يقصدون به النعيم في الآخرة؟

الدراسات السابقة:

وإذا استعرضنا ما كتب عن الهندوسية من قبل، نجده كثيرا، ومستوفيا جميع أركان هذه الديانة وجزئياتها، ولكنني لم أجد فيها دراسة مقارنة، بل كلها كانت بطريقة سردية أو نقدية غير تامة في نظري، فإن الجميع - كما سبق - نظر إليها نظرة انتقاص ورفض كلي، جملة وتفصيلا، والجميع اعتبر عقائدها فاسدة، ولذلك فالديانة كلها في نظرهم هي من وضع البشر، ولا خير فيها، ولا مجال للبحث عن نقاط تقارب معها في نظرهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلم يسع واحد منهم - فيما أعلم - إلى المقارنة بينها وبين الإسلام، والبحث عن قواسم مشتركة، ولكن بعضهم أشار إشارات مختصرة أو سريعة، أو لمح تلميحا لمثل هذه الفكرة، ولكن الأمر يحتاج توسعا ودراسة جادة متخصصة.

فالذي أزعم أنني سأضيفه إلى من سبقني؛ أن الهندوسية قد تقترب من الأديان السماوية التوحيدية أكثر مما نتصور، وقد تكون الهندوسية ديانة سماوية في أصلها، وقد نجد في نصوصها بعض ما يثبت أن أصلها سماوي، أو على الأقل أن تكون هذه النصوص مأخوذة من وحي سابق، فاستفادتها الهندوسية وضمنتها كتبها.

وأغلب هذه الدراسات ينقل بعضها عن بعض دون تحقيق أو تدقيق، وبعضها لا يذكر مصدرا لما ينقله، والقليل منها جاءت بجديد يخالف السابق، فغالبيتها تكرر كلام السابقين، وأغلبها ينقل عن كتاب أحمد شلبي ويعتمده، فيشعر القارئ - أحيانا – بأن بعض هذه الدراسات تجارية فقط، لا تهدف إلى دراسة الموضوع من أجل التوصل إلى حقائق جديدة ومبتكرة، والله أعلم. ومن أهم وأبرز هذه الدراسات:

١- مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، لعبد الراضي محمد المحسن، وهو الكتاب الوحيد مما وقعت عليه الذي له علاقة مباشرة وقوية بموضوع دراستي، فهو ركز على مذاهب التأليه ومراحل العقيدة في الإله عند الهنود، بدءا من الهنود الأوائل، سكان الهند الأصليين، مرورا بالعنصر الآري الوافد الذي أثر في عقائد الطوائف التي كانت قبله، وفي عقائد الأقوام الذين دخلوا الهند بعده أيضا، ومن جهة أخرى فقد تأثر بكل ما خالطه من عقائد أيضا، انتهاء بالهندوسية المتأخرة التي ضمت كل ما مر على شبه القارة الهندية من أديان وفلسفات مختلفة. لكنه كغيره لم يخرج من دائرة أن الهندوس مشركون وأن ديانتهم ديانة شركية وثنية لا علاقة لها بالوحي والأديان السماوية، فقد نقل قول بعض الباحثين بأن الهندوسية فيها توحيد وأن كتبها تنص على التوحيد، ولكنه رفض هذا الكلام ورده واعتمد المشهور المتعارف عليه.

٢- أديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي، وهو أشهر كتاب في هذا المجال، وفيه - في نظري - معلومات قيمة كثيرة عن الهندوسية، ولكنه كغيره، درس هذه الديانة من جهة نقدها فقط وإظهار مخالفتها للدين الصحيح (الإسلام) ولم يحاول البحث عن نقاط مشتركة للالتقاء بها، وهو كتاب اعتمد صاحبه المنهج السردي، مع إضافة النقد أحيانا، وفيه إشارات إلى وجود فكر التوحيد عند الهندوس، ولكنه لم يبحث هذه المسألة بشكل متعمق أو موسع، بل ذكرها ومر عنها دون توقف عندها. وفي نهاية دراسته وضع الهندوسية في الميزان ونقدها وأظهر عوارها، ولم يذكر في تقييمه هذا غير المآخذ على هذه الديانة العريقة، وركز على الممارسات والتطبيق لها مع إغفال الحقيقة القائلة، بأن تطبيق معتنقي أي مبدأ ليس مقياسا لصحة هذا المبدأ أو فساده، فتقييم الديانة والحكم عليها لا يتم بهذه السطحية، فالديانة الهندوسية تستحق دراسة أقوى وأعمق من ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- الأديان الحية - نشوؤها وتطورها، لأديب صعب، وهي دراسة جميلة ممتعة، ولكنها خلو من المصادر، فلم يذكر المؤلف مرجعا لما ينقله، بل هو يسرد سردا كأنه يقص قصة أو أحداثا تاريخية، ولا أثر فيها للمقارنة أو النقد، فهي دراسة سردية تاريخية أقرب منها إلى الدراسة العقدية النقدية. **ولكن في كتابه تلميحات إلى التطور العقدي نحو التوحيد في الكتب الهندوسية المتأخرة**، ولكنه لا يتوقف عند هذه الفكرة طويلا، ولا يبني عليها أي شيء! وهي دراسة مختصرة جدا.

٤- معتقدات آسيوية، لكامل سعفان، وهو يعد الهندوسية أسلوبا في الحياة لا ديانة واضحة العقيدة، وهذا قول غير دقيق، إذ نرى في الهندوسية عقائد وعبادات وتشريعات، فهي ديانة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وهو أيضا يسرد سردا، ولا يذكر مصادره في كثير مما يقوله، وإذا ذكر المصدر فإنه يضعه في المتن! وهي دراسة مختصرة أيضا، ولا ذكر فيها لموضوع بحثي المقارن، ولا يتطرق إلى البحث عن الأصول الحقيقية لهذه الديانة.

٥- الفلسفة في الهند، لعلي زيعور، وهو بحث متخصص في الفلسفة، وهو مطول وموسع جدا، ويناقش مسائل فلسفية لا علاقة لها بهذا البحث، فهو ينظر إلى الفكر الهندي على أنه فلسفة بشرية كالإغريقية فقط، **وأن معرفة الهند بخالق أزلي عظيم هو اكتشاف توصلوا إليه بأنفسهم**، ويعتبر كتبهم المقدسة من وضعهم البشري، ويتحدث عن تاريخ الفلسفة عموما والهندية منها خصوصا، ويقارن بين الفلسفات الشرقية وبين الفلسفة الإغريقية، ويتحدث عن مصداقية إطلاق اسم الفلسفة على "الحكمة" الهندية.

٦- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي، وهو كتاب ممتع ودقيق، ومستوف لأركان الموضوع المدروس وأجزائه وتوابعه، وكلامه عن الكتب الهندوسية غاية في الروعة والدقة والتفصيل، ولم أجد مثل هذا الجلاء في أية دراسة أخرى. ومؤلفه ينقل الكثير من النصوص من كتب هندية أصلية ومن اللغتين؛ الأردية والهندية، مترجما إياها إلى العربية، فهو بذلك يوفر لنا مادة عظيمة غير متوفرة فيما بين أيدينا من الكتب والدراسات، وهو ينقل من كتب مقدسة ومن دراسات لبعض المعاصرين الذين كتبوا بالهندية أو الأردية ولم تترجم أعمالهم حتى اللحظة، فهو بهذا العمل العظيم قد قدم للباحثين خدمة جليلة جدا. وهو ينظر إلى الهندوسية على أنها ديانة شرك وضلال، أسسها الناس وصاغتها العقول البشرية، ولا علاقة لها بالوحي والسماء، بل يصرح في مواضع متعددة بأن الكتب الهندوسية غير موحى بها، ويجزم بذلك، وهو رأيه وأحترمه بشدة، ولكن لي عليه بعض الملحوظات.

وفي هذا الكتاب فصل كبير يتحدث عن البشارات الهندوسية بالنبي العربي ﷺ، ولم أجد مثل هذا المبحث في أي كتاب آخر.

٧- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام لعلي عبد الواحد وافي، وهي دراسة صغيرة لا يتجاوز الحديث فيها عن الكتب الهندوسية ٢٥ صفحة، وهي في أغلبها سردية أيضا، وفي كثير من المواضع لا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يذكر مصدره فيما ينقل من معلومات. **وقد ذكر في أكثر من موضع أن الهنود يعتقدون بأن كتبهم موحى بها من الإله، ويقرر أنهم يؤمنون بوحدانية الله وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث، ويميل إلى القول بأن الهندوسية كانت ديانة توحيد في أصلها ثم غيرت وبدلت**، لكنه لا يقف عند هذه الفكرة كثيرا. **ثم ينص على أن الهندوس يؤمنون بجنة ونار كمبدأ وفكرة**، لكن تصورهم لها مختلف عن تصور المسلمين.

٨- بحوث في مقارنة الأديان لمحمد عبد الله الشرقاوي، يتحدث في دراسته عن أحد المغول المسلمين المتصوفين، ألا وهو الأمير محمد دارا شيكوه، وعن كتابه المسمى: "مجمع البحرين" أي التصوف الإسلامي والتصوف الهندوسي، والذي حاول فيه إيجاد نقاط التقاء بين الإسلام والهندوسية، **وقد كان يعتقد هذا الأمير بأن الأسفار الهندوسية فيها بقية وحي وآثار نبوة، وبأنها ليست وضعا إنسانيا خالصا، لأنه لابد وأن الله الرحيم قد أرسل للهند رسولا أو رسلا يبشرونهم وينذرونهم.**

ويتحفظ الشرقاوي على بعض تفاصيل محاولة الأمير تلك للتقريب بين الديانتين، غير أنه يبدي إعجابه بها. ولهذه الرسالة أهمية عظيمة لأنها ربما كانت أول عمل وآخره - حسبما يرى الأستاذ محفوظ الحق - تحاول الجمع بين الإسلام والهندوسية. والشرقاوي قد اعتمد على نسخة إنجليزية لهذه الرسالة، نشرها الأستاذ محفوظ الحق المذكور، مع دراسة جيدة للكتاب والمؤلف، في كلكتا بالهند عام ١٩٢٨م، فهي غير مترجمة للغة العربية، ولذا فهي غير متوفرة بين أيدينا، فليس بإمكاني الرجوع إليها ودراستها، والشرقاوي قد ترجم بعض نصوصها من الإنجليزية إلى العربية.

وهذه الدراسة قد تكون مصدرا أساسيا لي في دراستي، والذي سأضيفه إليها هو التفصيل العلمي الواضح قدر المستطاع، إذ إن الشرقاوي قد خلط كثيرا من المسائل بعضها ببعض دون تمييز، وكان كلامه عاما فضفاضا، فهو يحتاج إلى الضبط والتركيز. وقد نقل في نهاية بحثه نقولا عن كتاب مجمع البحرين، وهي في غاية الروعة والجمال، ولكنه لم يقف عند هذه الجزئيات والتفصيلات وقفة الباحث المتعمق، فهي - في نظري - بحاجة إلى دراسة دقيقة متأنية، وهذا ما سأحاول فعله بتوفيق الله تعالى.

٩- دراسات في الأديان - الديانات القديمة للإمام محمد أبو زهرة، وهو رحمه الله تعالى بحر لا ساحل له، وناقد لا ند له، واطلاعه واسع لا يشق له غبار. وهو يرى أن البراهمة لا توحيد عندهم، بل هم مشركون يؤمنون بالتثليث، فهو - عنده - كتوحيد النصارى الذين يؤمنون بثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة، فهو إله واحد ولكنه يظهر في ثلاثة أقانيم. وهذا الفهم هو الشائع بين الباحثين حتى كاد يكون مُسلَّماً لا مجال لنقاشه. وبحث الشيخ مختصر قصير لم يستوف جوانب الموضوع كلها، وحديثه عن كتب الهندوسية مختصر جدا، وأغفل فيه الحديث عن بعض الكتب الرئيسة في الديانة. ومن أبرز ما يميز كتاب الشيخ أنه لا يذكر المصادر والمراجع إلا نادرا جدا، وإذا ذكره كان خلوا عن ذكر الصفحة..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠- الفكر الشرقي القديم لجون كولر، وهي دراسة طويلة، تجاوزت ال ١٥٠ صفحة عن الهندوسية، تحدث فيها الباحث عن الفكر الهندي من منطلق فلسفي بحت، وعلى أن الهندوسية إنما هي فلسفة فحسب، فكل ما توصل إليه الهنود من فكر وثقافة وعقائد، إنما هو جهد بشري خالص، فلا دور للسماء فيه. وكانت لغته فلسفية عسيرة، تعذر عليَّ فهم كثير من عباراتها وصياغاتها! والغالبية العظمى من حديثه لا يفيدنا في دراستنا، فإنه يستطرد كثيرا جدا في عرض الكلام الفلسفي والتعليق عليه.

منهج البحث:

سأحاول في بحثي هذا، أن أجمع أكبر عدد من النصوص الهندوسية العقدية التي تخص بحثي، والتي أستطيع الوصول إليها من الكتب الهندوسية المترجمة، أو من النصوص الهندوسية الجزئية، التي ينقلها الباحثون هنا وهناك من الكتب الهندوسية مباشرة أو بواسطة غيرهم من الباحثين.

فجمع البيانات سيكون بالتالي من الكتب التي تحدثت عن الهندوسية باللغة العربية، أو الكتب الهندوسية المقدسة التي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية.

وبعد جمع ما أقدر عليه من هذه النصوص، سأقوم بدراستها وتحليلها ونقدها، في ضوء المعطيات التاريخية والخلفية الحضارية التي تحدثت عن الهند ومراحل تطورها الفكري والديني، وذلك من خلال الهجرات والشعوب التي دخلت الهند عبر العصور، وبعد ذلك سأقوم باستشفاف ما ترمز إليه هذه النصوص، والوصول إلى المعاني المجازية المرادة منها، إن كانت رمزا أو كناية رمزية أو كنائية، وإن كانت تحتمل غير ما يتبادر إلى الذهن من ظاهرها، ثم مقارنتها بالنصوص الإسلامية من قرآن وسنة، ووزنها بميزان الإسلام والوحي. وسأزنها أيضا بميزان اللغة العربية وما تحتمله صياغاتها، حيث إن اللغة تسمح باستعمال عبارات لا يراد ظاهرها، أو ترمز لشيء مغاير للمعنى المتبادر إلى الذهن منها، وكل ذلك محاولة للتوصل إلى قيم ومبادئ متفقة بين الديانتين، إن كان ذلك ممكنا وواقعا. وإلا، فإنني أنقد النص وأفنده وأظهر مخالفته للحق، وسأحاول في هذه الحالة أن أبحث عن زمان دخوله إلى الهندوسية، فإن كان متأخرا؛ فذلك يعني أنه تحريف بشري طارئ على الديانة، لا أصلي فيها.

فدراستي تحليلية نقدية مقارنة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خطة البحث:

الخطة التي رسمتها وسرت عليها في إعداد هذه الدراسة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: أذكر فيها أسباب اختيار الموضوع، وإشكالية الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج الذي اتبعته في الدراسة.

الفصل التمهيدي: الهندوسية، تاريخها وفكرها

المبحث الأول: تعريف الهندوسية وأسماؤها

المطلب الأول: تعريف الهندوسية

المطلب الثاني: أسماء الهندوسية

المبحث الثاني: تاريخ الهند

المبحث الثالث: العقائد الهندوسية وتطورها

المبحث الرابع: الكتب الهندوسية

الفصل الأول: الألوهية في الهندوسية

المبحث الأول: الشرك وتعدد الآلهة عند الهندوس

المطلب الأول: عبادة الظواهر الطبيعية

المطلب الثاني: تعدد الآلهة

المطلب الثالث: الثالوث

المطلب الرابع: عبادة الأصنام

المطلب الخامس: عبادة البقر

المبحث الثاني: النصوص الدالة على توحيد الله تعالى وتنزيهه

المبحث الثالث: الجمع بين النصوص

المطلب الأول: تعدد الأسماء والصفات للإله الواحد

المطلب الثاني: عبادة الظواهر الطبيعية وتأليه الملائكة

المطلب الثالث: عبادة الأصنام

المطلب الرابع: عبادة البقر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني: الرسالة والنبوة في الهندوسية بين النفي والإثبات

المبحث الأول: عقيدة الرسالة والنبوة في المنظور الإسلامي

المبحث الثاني: الإيمان بالرسل عند الهندوس بين النفاة والمثبتين

المبحث الثالث: الإيمان بالوحي والكتب السماوية عند الهندوس

المبحث الرابع: البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب الهندوسية

الفصل الثالث: الخلاص في الهندوسية

المبحث الأول: ملخص اعتقاد الهندوس في الخلاص

المطلب الأول: الكارما

المطلب الثاني: تناسخ الأرواح

المطلب الثالث: الانطلاق

المبحث الثاني: النصوص الهندوسية في إثبات الجنة والنار

المطلب الأول: النصوص التي تذكر البرزخ وأهوال القيامة

المطلب الثاني: النصوص التي تذكر الجنة

المطلب الثالث: النصوص التي تذكر جهنم

المبحث الثالث: الجمع بين النصوص

الخاتمة: وأسجل فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، مع التوصيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل التمهيدي

الهندوسية، تاريخها وفكرها

المبحث الأول
تعريف الهندوسية وأسماؤها

المطلب الأول
تعريف الهندوسية
المطلب الثاني
أسماء الهندوسية

المبحث الثاني
تاريخ الهند

المبحث الثالث
العقائد الهندوسية وتطورها

المبحث الرابع
الكتب الهندوسية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف الهندوسية وأسماؤها

المطلب الأول: تعريف الهندوسية:

عند تعريفنا للهندوسية لا بد لنا من استحضار مسألة مهمة جدا، ألا وهي أن كل باحث ودارس يعرف الهندوسية من منطلق مختلف، بناء على ما يراه فيها، وبناء على ما يغلب عليها في الواقع المرئي أو في الكتب السردية أو في الدراسات التحليلية.

فبعضهم يراها ديانة كاملة، بحسب الاختلافات في تعريف الديانة والدين، وبعضهم يرى فيها فلسفة تجريدية أو روحية لا دينا متكامل الأجزاء. والبعض الآخر يراها مجرد عادات وتقاليد وأعرافا غلبت على الطابع العام للهند وشعوبها، فهي تراث شعبي لا أكثر. والبعض بالغ في هذه النظرة فعدها مجموعة من الأساطير والخرافات والشعوذات.

عرفتها الموسوعة الميسرة بأنها ديانة وثنية، يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد، التي تشكلت عبر مسيرة طويلة، من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية، إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله.[١]

وعرّفها رؤوف شلبي بقوله: (والهندوسية هي من النحل القديمة التي صنعها خيال الإنسان؛ لجهله بالكون، ولخوفه من أحوال الطبيعة، ولضعفه أمام سلاطين البشر).[٢]

أما أحمد شلبي فرأى أن الهندوسية (قامت على أنقاض الويدية وتشرّبت أفكارها، وتسلمت عن طريقها الملامح الهندية القديمة والأساطير الروحانية المختلفة التي نمت في شبه الجزيرة الهندية قبل دخول الآريين، ومن أجل هذا عدّها الباحثون امتدادا للويدية وتطورا لها).[٣]

والويدية أو الفيدية هي أصل الديانة الهندوسية القديم، وهي نسبة إلى كتابهم الفيدا أو الويدا والذي يعني العلم، وسيأتي التعريف به لاحقا.

ووصفها الأستاذ إحسان حقي بأنها: (دين من أقدم الأديان العالمية، بل هي أقدم الأديان التي يمارسها أهل الأرض في يومنا هذا، إذ يعود تاريخ ظهورها في عالم الوجود إلى ألفي سنة قبل الميلاد، أي في أيام تقارب الأيام التي هاجر فيها إبراهيم من العراق إلى فلسطين).[١]

---

(١) مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأديان المعاصرة**، ط٣، ٢م، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤١٨هـ، م٢، ص٧٣٤.

(٢) رؤوف شلبي، **الأديان القديمة في الشرق**، ط٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م، ص٧٨.

(٣) أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ط١١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول كامل سعفان: (هي أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة عقائد، وليست لها صيغ محددة المعالم، ولذا فهي تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار، وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة).[٢]

أما جون كولر فيقول: (ليست الفلسفات الهندوسية التي قمنا ببحثها مجرّد بقايا لفكر قديم، وإنما هي تراث فكريّ حيّ، وهي تتميز باستمرارية تمتد من بداياتها منذ ما يزيد على الألفي عام، وصولا إلى عصرنا الحاضر. ويواصل دعاة كل من هذه الفلسفات المختلفة ومعلموها القيام بأنشطتهم في الهند اليوم، على نحو يماثل إلى حد كبير ما قاموا به على امتداد العصور، فهم يدرسون النصوص والشروح الأساسية، وينغمسون في النقاش بعضهم مع البعض الآخر، ويبدعون تفسيرات جديدة، بحسب تصوّراتهم وتحليلاتهم، وعلى هذا النحو يواصلون الانطلاق قدما بالتراث، ويبقون عليه نابضا بالحياة وبالجدّة).[٣]

ويقول ألبير شويتزر: (والهندوسية ليست ديانة محددة، وإنما هي تضم عبادات متعددة، بعضها ذات أصل آري، وبعضها أتت من الشعوب غير الآرية. كما أن بعضها له اتجاه توحيدي، بينما بعضها الآخر لا يزال له صفة التعددية بشكل صريح).[٤]

ومع جميع هذه التعريفات، إلا أن التعريف الدقيق المحكم للهندوسية لا يزال مفقودا. يقول إحسان حقي: (والدين الهندوكي مثل كل ديانات العالم، خلا الإسلام، دين معقد، ولا يستطاع تعريفه بكلمات ولا بصفحات، حتى إن الهنادكة أنفسهم لا يستطيعون ذلك، وقد جرى بحث في الهند ذاتها في مطلع هذا القرن بين الهنادكة أنفسهم لوضع تعريف للديانة الهندوكية، فلم يجدوا إلا تعريفا سلبيا وهو أن كل من يسكن الهند، وليس من أهل الأديان الأربعة: الإسلام والمسيحية واليهودية والبوذية، ويخدم البقر فهو هندوكي. وذلك لأن بعض الفرق تخالف بعضها الآخر في اعتقادات رئيسية، ثم إنها لا تخرج عن محيط الهندوكية، وقد ينضم إلى الهندوكية من الطوائف ما هو قريب منها من غير أن يكون هندوكيا).[٥]

أما سوامي نيخيلاناندا فيقول: (ليست الهندوسية بنية من نظريات فلسفية مبهمة منفصلة عن الحياة، أو جملة من العقائد الدينية تقبل بإيمان أعمى. إنها تدمج الفلسفة والدين، العقل والإيمان، وتَعِدُ مُخلِصيها بانفتاح مباشر على الحقيقة، وتزودهم بالأسس لتقبل هذا الانفتاح. الفلسفة تنقذ الهندوسي من التزمت الديني، والدين ينقذه من البرج العاجي الذي تتخذه التفكرية الباردة. وكلما ضل الدين أثناء تطور الديانة

---

(١) **منو سمرتي**، ترجمة: إحسان حقي، ط١، دار اليقظة العربية، دت، ص أ.
(٢) كامل سعفان، **معتقدات آسيوية (موسوعة الأديان القديمة)**، ط١، دار الندى، مدينة نصر، ١٩٩٩م، ص١٧٤.
(٣) جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، دط، ترجمة: كامل يوسف حسين، إصدار: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥م، ص١٦٨.
(٤) ألبير شويتزر، **فكر الهند (كبار مفكري الهند ومذاهبهم على مر العصور)**، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط١، دار طلاس للدراسات، دمشق، ١٩٩٤م، ص١٥٢.
(٥) **منو سمرتي**، ص هـ - و.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهندوسية مشددا على الطقس والعقيدة بوصفها المعاني الوحيدة للهدف الأسمى، أعادته فلسفة عقلانية رشيدة لمساره الصحيح. وكلما ادعى الفكر دور الموجه أظهر الدين ضلال مثل هذا التفكير المنحرف، وشدد على أهمية العبادة كنظام للاتحاد مع الحقيقة العليا).[١]

ويقول أيضا: (ليست الهندوسية ديانة تاريخية كالبوذية والمسيحية والإسلام، يتمحور كل منها حول تعاليم مؤسسها الفردي، لذلك فهي تربك أي محاولات لإعطائها تعريفا سهلا ومناسبا، إذ إن حقائق المخطوطات الهندوسية، الـــڤـــيدا Veda، لم يضعها أشخاص تاريخيون).[٢]

وهكذا نرى تعدد التعريفات واختلافها بعض الشيء، فكل باحث يعرّف الهندوسية من منطلق ما، فبعضهم اعتبرها دينا كباقي الأديان المعروفة؛ فيها العقائد والعبادات والتشريعات، والبعض الآخر عدها فلسفة قائمة على تصوّرات دقيقة للحياة والإنسان، وفريق ثالث عدها مجرّد أسلوب للحياة فيها عادات وتقاليد وتراث شعبي متطور، مليء بالخرافات والأساطير.

أما الذي أختاره أنا من بين هذه التعريفات فهو أن الهندوسية ديانة كباقي الديانات، لاشتمالها على عقائد محددة المعالم في المعبود والثواب والعقاب والوحي والكتب والرسل والقدر، كما سيأتي معنا، وعلى عبادات واضحة المعالم يؤدونها تقرّبا إلى آلهتهم، وعلى تشريعات وقوانين وأخلاقيات يحترمونها ويطبقونها ويعاقبون مخالفها، بالإضافة إلى الفلسفة، والأعراف المتوارثة، التي لا ينفك عنها مجتمع من المجتمعات، والخرافات والأساطير التي يتناقلونها، وهي أيضا لا يخلو منها شعب من الشعوب البدائية والمنحرفة، وهذه الأمور كلها لا تعارض كون الهندوسية دينا، فلا يخلو مجتمع متديّن من مثل هذه الأمور.

---

(١) سوامي نيخيلاناندا، **الهندوسية، تحضيرها لانعتاق الروح**، ترجمة: مبيل محسن، ط١، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص١٧.

(٢) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: أسماء الهندوسية:

أما عن أسماء الهندوسية، فلكل حقبة اسم مختلف عما سبقه، ففي كل فترة زمنية كانت تتشكل ملامح الديانة وتصاغ بصورة تناسب التوجه العام لأصحابها ومفكريها وفلاسفتها، فالتزام أصحاب الديانة بنصوص الـفـيدا أضفى عليها اسم الـفـيدية، وتحولها من اتّباع الـفـيدا إلى اتّباع كلام وشروح البراهمة من جهة، وإعطاء براهما صفات الكمال والجلال من قبلهم دون غيره من الآلهة، أعطاها لقب البرهمية، أما تأثرها بعقائد الهنود السابقين لقدوم أصحابها الآريين، وبعقائد الأقوام والطوائف التي دخلت الهند بهدهم، وامتزاج الفكر الهندي بأجمعه سوية، فقد وصمها باسم الهندوسية.

فاسم البرهمية يدل على العقيدة الأصلية والعبادات الأولى للديانة، وهو الذي يرد في النصوص المقدسة، فليس هناك أي ذكر لهندي أو هندوسي، أما اسم الهندوسية فهو يشمل كل ما في الهند الحديثة والقديمة من أديان، بعضها ناشئ عن البراهمية، وبعضها الآخر وافد من ثقافات أخرى.

يقول أحمد شلبي: (وللهندوسية أسماء عدة، منها: الهندوكية، وأطلق عليها البرهمية أو البراهمانية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما (Brahma).. ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علما على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي..)[١].

ويقول سوامي نيخيلاناندا: (وهي تعرف في الهند بالديانة الأزلية، سانتانا دهارما، أي الديانة التي لا عمر لها).[٢]

ويقول رؤوف شلبي أيضا: (إن الهندوسية كانت تسمى قديما درما (Dharma) وهو الاسم الأصلي، وكذلك تسمى سانتانا (Sentana)، ثم أطلق عليها حديثا اسم الهندوسية لتشمل الدين والحضارة والعادات والتقاليد التي نشأت على ضفاف نهر هندوس).[٣]

ويقول الأعظمي: (أما كلمة الهندوسية فإنها اشتقت من كلمة "سند" لأن أهل فارس واليونان كانوا يتجولون على سواحل "سند" ويغيرون حرف السين إلى الهاء، فقالوا: (الهند) وكلمة "استهان" ومعناها: "المقر" كانت ثقيلة عليهم، فجعلوها (استان) بحذف الهاء، فقالوا: (هندوستان) أي: "مقر أهل الهند" وقالوا للسكان: "هندو" وإليها نسب دينهم، فقالوا: الهندوسية أو الهندوكية، وقالوا لأهل هذا الدين: هندوسي أو هندوكي).[٤]

---

(١) أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٣٧.
(٢) سوامي نيخيلاناندا، **الهندوسية**، ص٦.
(٣) رؤوف شلبي، **الأديان القديمة في الشرق**، ص٧٨.
(٤) محمد ضياء الرحمن الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠١م، ص٥٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

تاريخ الهند

لا بد لنا قبل الحديث عن الهندوسية بصفتها دينا مشوبا بالفلسفة، أن نتحدث عن تاريخ الهند، والبيئة التي عاش فيها الآريون أصحاب هذه الديانة الشطر الأعظم من زمانهم، نظرا إلى أنهم جاءوا إلى الهند مهاجرين من بلاد أخرى، حيث أثرت طبيعة البلاد على بعض من معتقداتهم وشرائعهم وتصوراتهم وممارساتهم - كما سيمر معنا - وأثرت الحضارات السابقة لهم أيضا في تلك الأمور ذاتها.

والهند حضاراتها عريقة، قديمة قدم الوجود البشري ذاته على الأرض، لذلك فهي بلاد جديرة بالدراسة، خاصة وأنها مدار بحثنا وهي التي كانت الأرضية التاريخية لظهور الهندوسية وتطورها.

يقول غوستاف لوبون: (ليس للهند القديمة تاريخ، وليس في كتبها وثائق عن ماضيها، ولا تقوم مبانيها مقام الكتب؛ ما دامت لا تزيد في القدم عن ثلاثة قرون قبل الميلاد، ولولا ما في قليل من الكتب الدينية من أكداس الأساطير التي يستشف منها بعض الحوادث التاريخية لظل ماضي الهند مجهولا).[١]

أقول: سنرى من كلام الباحثين والمؤرخين الآخرين عدم دقة كلام لوبون في هذا الجانب، ومجانبته للصواب في هذه النقطة المهمة جدا. إذ وجدت آثار يعود تاريخها إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد كما سيأتي معنا قريبا.

ثم يتابع حديثه فيقول عن مصادر هذا الماضي البعيد من تاريخ الهند: (وأقدم المصادر التي يرجع إليها في تبين أثر للماضي المفقود: أشعار ويدا الدينية، التي كتبت في أدوار مختلفة، والتي تصل في القدم إلى ما قبل القرن الخامس عشر من التاريخ الميلادي تقريبا، ثم تأتي القصائد الحماسية المعروفة بمهابهارتا وراماينا وشريعة منو الدينية الاجتماعية).[٢]

أما المؤرخ الشهير ول ديورانت فيقول عن تاريخ الهند فيما قبل هذه المرحلة: (في العهد الذي كان المؤرخون فيه يفترضون أن التاريخ قد بدأ سيره باليونان، آمنت أوروبا إيمانا اغتبطت له، بأن الهند قد كانت مباءة وحشية حتى هاجر إليها "الآريون" أبناء عم الأوروبيين، هاجروا من شطئان [كذا في الترجمة] بحر قزوين ليحملوا معهم الفنون والعلوم إلى شبه جزيرة وحشية يكتنفها ظلام الليل؛ لكن الأبحاث الحديثة قد أفسدت هذه الصورة الممتعة - كما ستغير أبحاث المستقبل من الصورة التي نرسمها على هذه الصفحات؛ ففي الهند - كما في سائر أقطار الأرض - بدايات لمدنية دفينة تحت الثرى...).[٣]

---

(١) غوستاف لوبون، **حضارة الهند**، ترجمة: عادل زعيتر، دط، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨م ص٢٠٥.
(٢) المرجع السابق ص٢٠٦.
(٣) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي نجيب محمود، ط٣، ٣٢م، طباعة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م، م٣، ص١٥ باختصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول غوستاف لوبون عن تقسيم المراحل التاريخية للهند: (وللدين أثر بالغ في الهندوس على الدوام كما في أمم الشرق، وبلغ الدين من الشأن العظيم في الهند ما نقدر أن نتخذ به تطور المعتقدات أساسا لتقسيم تاريخيّ. ويشتمل ذلك التقسيم الواسع، الذي لم تحدد فيه الأدوار لتداخلها أو لوجودها معا، على الأعصر الآتية:

١- العصر الويدي (الــڤــيدي).

٢- العصر البرهمي (الآري).

٣- العصر البدهي (البوذي).

٤- العصر البرهمي الحديث، أو عصر النهضة البرهمية.

٥- العصر الإسلامي.

٦- العصر الأوروبي) إ.هــ. كلام لوبون[١].

ونضيف إلى كلام لوبون العصر الآخير، الذي جاء بعد انتهاء الاستعمار البريطاني للهند وهو:

٧- عصر الاستقلال وقيام دولة الهند المستقلة.

وقد رأينا من كلام ديورانت أن العصر الويدي ليس هو أول ما عرفه الباحثون عن تاريخ تلك البلاد، بل قد سبق هذا العصر كثير من الحضارات والمدنيات التي ردمت آثارها بعيدا تحت سطح الأرض.

يذهب علي زيعور - مؤيدا لكلام ديورانت – إلى أن قارة الهند عريقة في الحضارة، فهي أقدم من العالم المعروف اليوم، وهي عالم قائم بذاته، وهناك صعوبات جمّة ما تزال تعترض التعرف على تاريخها[٢]. أما تاريخها المعروف لنا اليوم فهو ينقسم إلى عدة مراحل:

١- حضارة وادي الهند: أثبتت عمليات التنقيب وجود حضارة عريقة في وادي الهند، تمثلت معالمها في المكتشفات الأثرية، وما لبثت هذه الحضارة منذ الــ٢٥٠٠ ق.م. أن ضعفت بفعل العوامل الطبيعية والجغرافية وهجمات القبائل المغيرة.

٢- الدرافيديون (Dravidiens): في حوالي الــ٢٥٠٠ ق.م. استلم هذا الشعب مقاليد الأمور، وحافظوا على معظم الآلهة السابقة، لا سيما شيفا (شيوا) وأضافوا إليها المؤلهة (الإلهة) كالي.

٣- الفتح الآري: في حوالي الــ١٥٠٠ ق.م. دخلت الهند موجة من الشعوب الهندو – أوروبية، وهزمت الدرافيديين بفضل استخدامهم الخيول والحديد وتجهيزات حربية متقدمة، وطردوهم نحو الجنوب. وأقام الآريون في الأرياف واعتنوا بالزراعة.

---

(١) غوستاف لوبون، **حضارة الهند**، ص٢٠٨.

(٢) انظر: علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ط١، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م، ص١١٠، بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما زالت الهند اليوم تعرف الكثير من أولئك السكان الأصليين الزنوج، الذين يقطنون الخيام ويتنقلون في الغابات والجبال، ويميزهم أنهم جاهلون وفقراء، ولهم ديانة بدائية خاصة بهم، يعبدون فيها ظواهر الطبيعة. ومن أبرز قبائلهم الحالية: موندرا، كاتهاري، شامار، موشار.. إلخ.

وامتزج الآريّون (البيض، النبلاء) الفاتحون بالسكان، وتولّدت من ذلك التفاعل حضارة جديدة وديانة مشتركة. وستكون دراستنا منصبة في معظمها على تلك النقاط.

٤- آخرون، الفرس واليونان: احتل الفرس الأخمينيون قسما من الهند على يد قورش (٥٥٠ - ٥٢٨ ق.م.) ثم داريوس الذي وسّع المساحة المحتلة، ثم جاء الإسكندر المكدوني بحضارته اليونانية فاتحا عام (٣٢٦ ق.م.). ومن الثابت أن الفرس أثروا في الحضارة الهندية بعيدا، وبدرجة أعمق وأوسع مما كان للتأثيرات اليونانية.

٥- الاستقلال: في حوالي بداية التاريخ الميلادي، دخل الهند قبائل السكيثية، ثم القبائل الكوشانية، وبرزت في القرن الميلادي الثالث أسرة غوبتا الملكية التي دامت حتى الـ٤٧٠م، إلى أن خلفتها أسرة أخرى استمرت حتى جاء العصر الفارسي - الإسلامي، والذي جرت أشهر حوادثه على يد محمود الغزنوي (٩٧٠ - ١٠٣٠م) وانتهت تلك الإمبراطورية في عام ١٨٥٨م بخضوع الهند للعصا البريطانية، والبقية معروفة: تطوّر وانفتاح في الفكر والعطاء الفلسفي.[١]

ولكن من أين جاء هؤلاء الآريون الذين كان لهم الدور الأكبر في تشكيل الهندوسية وإظهارها بالصورة النهائية المعروفة لنا في التاريخ؟

على هذا السؤال يجيبنا الأستاذ إحسان حقي في المقارنة التي قام بها بين الهندوسية واليهودية، بقوله: (وقد اختلف المؤرخون في تعيين الجهة التي انبعثوا منها فقال قائلون: إنهم جاءوا من العراق. وقال غيرهم: بل هم من سكان حوض البحر الأبيض المتوسط، من غير أن يعينوا جهة. وزعم آخرون بأنهم من أوربة الشرقية، ولكنني أرجح أنهم عراقيون لأسباب كثيرة..).[٢] وذكر أدلته على هذا الترجيح، ومنها: (إن وجود بعض الآلهة الفارسية في الركويد [الرغ ڤيدا] يؤيد أن القوم كانوا على صلة بالإيرانيين[٣]، وبدهي أن تكون هجرة العراقيين إلى الهند هجرة تدريجية تمت على مراحل كانت إيران إحدى مراحلها)[٤].

---

(١) انظر: علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص١١٠- ١١٢، باختصار وتصرف.

(٢) **منو سمرتي**، ص أ.

(٣) انظر: العقاد، **الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص٩١. وجفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، دط، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٧٣، الكويت، ١٩٩٣م، ص١١٥، ١٤٦، ١٤٨- ١٤٩، ١٥٣، ١٨١. ومحمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٢٣- ٥٢٧.

(٤) **منو سمرتي**، ص ب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول ألبير شويتزر عن أصل كلمة "آري" ومعناها في اللغات الآسيوية، وعن صلة هؤلاء القوم بشعوب العراق القديمة: (آريون - في السنسكريتية[١] آريا Ârya وفي الإيرانية آريّا Ariya - تعني السادة، ذلك هو الاسم الذي أطلقه على أنفسهم أولئك الناس من العرق الهندي الإيراني الذين سكنوا الهند وفارس وإيران الشرقية. وعندما غزوا هذه البلاد وجدوا في حوض الهندوس - كما تظهر لنا الكشوف الأثرية الحديثة - حضارة متقدّمة بعض التقدم، فيها تشابهات مدهشة من الحضارات السومرية والعيلامية وحضارات الرافدين).[٢]

(١) السنسكريتية هي لغة الهنود القديمة التي كان يتحدث بها الآريون وهي من أسرة اللغات الآرية الهندو أوروبية، وهي قريبة الشبه باللغة الإيرانية القديمة.

(٢) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٢٦- ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

العقائد الهندوسية وتطورها

الهندوسية ديانة متقلبة ومتغيرة دوما في عقائدها وفكرها وممارساتها أيضا، نرى ذلك جليا في كتبها المختلفة التي تمتد تواريخ وضعها ومن ثم تدوينها عبر القرون المتطاولة التي مرت بها الديانة، بدءاً من الريج - فيدا الذي يعود تاريخ تدوينه إلى (٢٥٠٠) سنة قبل الميلاد، وقد كان متداولا شفاهيا قبل ذلك لفترة طويلة جدا، يرجعها بعض الهندوس إلى عشرات الآلاف من السنين قبل الميلاد[١]. مرورا بالفيدانتا والأوبانيشادات والبرهمانيات وقانون مانو والمهابهارتا التي تضم كتاب البهغفض غيطا (الكيتا)، وصولا إلى المصنفات والشروح الحديثة للنصوص الهندوسية.

وسنجد أن الهندوس أنفسهم لا يستطيعون تحديد العقيدة الأساسية والرسمية التي يدينون بها، ففيهم فرق مختلفة في أصول الدين، وشراح مختلفون للكتب القديمة، يتبع كل منهم تيارا مختلفا من تيارات الفكر الهندوسي. وبعض الهندوس ينكر وجود عقيدة محددة للهندوسية، بل يعتبر الهندوسية تتقبل جميع الأديان.

يرى فراس السواح أن الهندوسية (تبدي تحررا واضحا من أية دوغمائية تتعلق بطبيعة الإله، وجوهر الدين لديها لا يقوم على الاعتقاد بوجود الإله من عدمه، أو على تعدد الآلهة أم التقائها في واحد. فمن الممكن للهندوسي أن يكون ملتزما بدينه سواء آمن بإله واحد أم بآلهة متعددة أم لم يؤمن بالآلهة أصلا لأن هذه المسألة لم تشكل أبدا حجر الزاوية للديانة الهندوسية. ولكن الطوائف الهندية تشترك في عدد أساسي من الأفكار والمعتقدات التي لا يصح دين الهندوسي بغيرها، والتي ترقى إلى مقام اليقين المطلق).[٢]

ويرى الأعظمي أن (علماء الهندوس يقدسون كل جديد، ويظنون أن ذلك هو المطلوب والمقصود، وأنهم يعتبرون كل مصلح رسولا منزلا من السماء، وإلها بصورة البشر، ولو خرج على بعض معتقداتهم، إذا بقي في الإطار الهندوسي، ولم يعلن صراحة خروجه من الهندوسية إلى الإسلام أو النصرانية، والسبب كما قلت هو: أنه لا يوجد في الهندوسية مقياس تقاس عليه أمور دينهم، فمن ينتمي إلى الهندوسية فهو هندوسيّ إلى الأبد)[٣].

يقول علي زيعور: (الفكر الهندي عوالم، غابات كثيفة، يدهش بتراثه الباهظ، وبالأخص، هو كالنهر الجارف، يحتضن المتناقضات والمتنافرات: أساطير ورمزيات وأخبار، حكم وقصص وملاحم، أناشيد

---

(١) انظر: جوزيف كاير، **حكمة الأديان الحية**، دط، ترجمة: حسين الكيلاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م، ص١١١.

(٢) فراس السواح، **دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، ط٢، دار علاء الدين، دمشق، دت، ص٢٥٣- ٢٥٤.

(٣) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٢٩. وانظر: عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ط١، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ٢٠٠٢م، ص٣٠- ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعاملات وصلوات... كلها تتكدس تكدسا عجيبا، وبوفرة تفوق الوصف. فالفكر الهندي يوحد ويهضم ما لا يتوحد، وما لا يتزاوج أو يتوافق. تلك ميزة قديمة ولا تزال قائمة... وسواء أكان مدهشا، أم غير منطقي، أو ما أشبه، كون الهندوكية تتقبل بمرونة كل تيار، فإن في ذلك سرا من أسرار استمراريتها...)[١].

وعن هذا الموضوع، وتحت عنوان "مشكلة العقيدة في الهندوسية"، يقول محمد ضياء الرحمن الأعظمي: (إن أهم ما يؤخذ على الديانة الهندوسية أنها خالية من العقيدة الرئيسة. وعلماء الهندوس يشعرون بخلوها من العقيدة، بل ويفتخرون بذلك: يقول الزعيم الهندي ((غاندي)): "ومن حظ الديانة الهندوسية أنها ليست لها عقيدة رئيسة، فإذا سئلت عنها فأقول: إن عقيدتها هي عدم التعصب، والبحث عن الحق بطرق حسنة، **وأما الاعتقاد بوجود الخالق أو عدمه؛ فكلاهما سواء**، ولا يلزم لأي رجل من الرجال الهندوس أن يؤمن بالخالق، فهو هندوسي سواء آمن أم لم يؤمن". ويقول في موضع آخر من كتابه "هندو دهرم": "من حسن حظ الديانة الهندوسية أنها **تخلت عن كل عقيدة، ولكنها محيطة بجميع العقائد الرئيسية**، والجواهر الأساسية للأديان الأخرى").[٢]

كان الهندوس القدماء يؤمنون بتعدد الآلهة، وضرورة عبادتها، ثم حل محلها فكرة أو عقيدة تقديم الأضاحي، دون الاهتمام بمسألة الآلهة في العبادات والطقوس. ثم ابتدعوا نوعا جديدا من الأضحية وهو التضحية بالنفس لا التضحية الحيوانية، لقتل الأهواء والشهوات الجسدية، وذلك بممارسة الزهد والرياضات الجسدية الشاقة.

ثم عمدوا إلى إلباس أعمالهم ثوبا قدسيا مستمدا من عالم الغيب وقالوا إن النجاة لا تكون بالأضاحي وحدها ولا بالرياضات وحدها بل باندماج الروح الأصغر، روح المخلوقات، بالروح الأعظم، روح الإله الأعظم، وهذا الاندماج لا يتم إلا بالتناسخ.[٣]

يقول إحسان حقي: (ولكي ينال المرء الدرجات الرفيعة في أدوار تناسخه العديدة لا بد له من إرضاء الآلهة، وإرضاء الآلهة يكون بأنواع من العبادات، منها التقدمات[٤] والأضاحي، ومنها الرياضات، وهكذا فقد عادوا واستلموا زمام الأمور من جديد قبل أن يفلت من أيديهم. وكان من جراء هذه الفلسفة الجديدة أنهم قسموا الحياة الإنسانية إلى أربعة أدوار منها ما يقوم على التقدمات، ومنها ما يقوم على الرياضات،

---

(١) علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص٨٩.
(٢) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٢٩.
(٣) منو سمرتي، ص ج – د.
(٤) وهي القربات والأضاحي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقسموا أنفسهم إلى أربع طبقات رئيسية بالإضافة إلى كثير من الطبقات الدنيا.. وبذا أعاد البراهمة إلى أنفسهم ما كادوا يخسرونه أمام العامة وأصبح البرهمن إلها، بل قد يفوق الآلهة في بعض الأحيان)[١].

نرى جليا، أن المسألة كانت، في جميع تلك الأدوار، عبارة عن أهواء علماء الهندوس وشهوتهم للتسلط والقوة، والتحكم في عقول وأرواح وأموال العامة المساكين الجهلة، ففي كل مرة يحاول العوام الفهم والتمرد على المتوارث المرهق، يقوم مدعو العلم الماكرون بتحوير الاعتقادات والعبادات لتتماشى مع رغبات العوام في التغيير من جهة، ومع أهوائهم هم واستمرار غلبتهم من جهة أخرى.

يتابع إحسان حقي بقوله: (وخلال هذه الفترات التقلبية **كان الهنادكة يؤيدون اتجاهاتهم الجديدة بكتب جديدة يكتبونها**، فكتبوا ثلاثة كتب أخرى تعرف باسم "الويد" وهي ["رج فيدا" و][٢] "يجر ويد" و "سام ويد" و"أتهرويد" ثم بعد ذلك أضافوا كتابا خامسا سموه بالويد الخامس أو "**يبران**". وكتبوا تفاسير للويد تعرف باسم "**أبنشد**". **وفي زمن "الأبنشد" تحرر الناس قليلا من سلطة البراهمة**، وأصبح للملوك وللنساء الحق بالاشتراك بأعمال التقدمات وكانت من قبل من حق البراهمة وحدهم. وفي القرن الأول الميلادي جمعت جميع الطوائف معلوماتها الفلسفية ودونتها في كتب سموها "**شتر**" **وكتبوا غيرها كتبا كثيرة وكلها اكتسبت، مع مرور الزمن، صبغة قدسية**...)[٣].

وهكذا، فقد رأينا أن التطور الفكري تعلق باحتياجات الشعب الهندي، عامة وعلماء وأمراء، وكله إما لخدمة رغبات علمائهم، أو لتخفيف الضغط النفسي والاقتصادي عن العوام. ولكل مرحلة أو فكرة أو حركة كانت تصنف الكتب التي تخدمها، وترسخ أفكارها واعتقاداتها. وجميع هذه الكتب صارت مقدسة بالرغم من تناقضها الظاهر، واختلاف مفاهيمها.

---

(١) انظر: **منو سمرتي**، ص د - هـ.
(٢) إضافة لا بد منها، ولا يستوي المعنى بدونها.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

الكتب الهندوسية

الكتب الهندوسية كثيرة جدا، ومتنوعة المناهج والأفكار، ولكل عصر ومرحلة كتاب أو كتب خاصة تتماشى مع الاحتياجات والضرورات اليومية، ومن أبرز هذه الكتب:

١ - الفيدا:

وهو أقدم نص هندوسي موجود بين أيدينا اليوم، وهو يمثل الهندوسية الأولى التي أطلق عليها اسم "الديانة الــڤــيدية". والفيدا معناه "العلم"، في القديم كان يطلق لفظ فيدا على جميع الكتب الهندوسية... ثم خص لفظ "فيدا" بأربعة كتب رئيسة.

ويعتبر رج ڤيدا، أحد أجزاء الفيدا وأولها، أقدم مخطوط هندوسي موجود على وجه الأرض، وكلمة ڤيدا التي تعني الحكمة، تشير إلى أن الطريق الذي سار عليه حكماء الــڤــيدا كان طريق من يبحثون عن الحقيقة، والأسئلة التي يطرحونها تتصف بطابع فلسفي: "أي إله نعبد من خلال تضحيتنا وعقائدنا؟". "من يعرف حقا ومن يستطيع أن يصرّح من ولد ومتى تمت هذه الولادة؟ إن الآلهة وجدت بعد إنتاج الوجود. ومن يدري متى ظهرت للوجود؟".

لا نستطيع أن نستغني عن دراسة أناشيد رج ڤيدا عندما نأتي إلى الفكر الهندي. ومهما كان اعتقادنا فيها أنها أساطير أم قصص رمزية أم كتابات غير ناضجة، لكنها تبقى أصل ومصدر الفلسفات المتأخرة للفكر الآري - الهندي، وتعتبر دراستها ضرورية لكي نتفهم الفكر المتأخر تفهما لائقا.

تنقسم الــڤــيدا إلى أربعة أقسام:

١ - رج ڤيدا وتتألف من أناشيد.

٢ - ياجور ڤيدا وتحتوي قواعد الأضاحي والتقدمات.

٣ - ساما ڤيدا وتشير إلى الألحان.

٤ - أثارفا ڤيدا وتحتوي نسبة كبرى من السحر. يوجد سحر لشفاء الأمراض ولإطالة الحياة في اعتقاد الهندوس، ويقال أنه توجد في أثارفا ڤيدا بداية العلوم الهندية في حقل الطب.

وتحتوي كل من الــڤــيدا على أربعة أقسام:

١ - سامهيتا: وهي مجموعة من الأناشيد والصلوات والبركات وقواعد الأضاحي وأناشيد جماعية.

٢ - براهماناس: وهي كتابات نثرية تبحث في مغزى الشعائر والطقوس والاحتفالات التي لها علاقة بالأضاحي والذبائح.

٣ - آرنياكس: نصوص الغابة، وتوجد في براهماناس كما توجد مستقلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤ - الأوبانيشاد.

إن تواريخ تأليف أو تجميع رج ڤيدا مجهولة. ويعتقد أن فترة طويلة من الوقت قد مرت قبل تأليف الأغاني وجمعها. وتشير بعض البراهين إلى أن الأناشيد، كما هي موجودة لدينا بترتيبها، قد وجدت عام ١٥٠٠ ق.م. إن سامهيتا من رج ڤيدا هي مجموعة تمثل تفكير عدة أجيال من المفكرين، تطور خلال الأحقاب التي عبرت عن الكثرة حتى وصلت إلى الوحدانية. ويدعي الهندوس أن الفيدا أزلي وقديم كقدم العالم، ألهمه رجل يسمونه "منو".

إن رج ڤيدا تمثل الحقبة الأولى لتطور الإدراك الديني، وتدل على دهشة العقل إزاء الكون ولغز الحياة. وتوجد فيها عبادة الآلهة مثل سوريا (الشمس) وآجني (النار) ودايوس (الفضاء أو السماء) ومارتوس (العاصفة) وفايو أو فاتا (الريح) وآباس (الماء) وأوساس (الفجر) وبرتيفي (الأرض). وحتى الآلهة التي لم تعد واضحة أو ذات معنى مثل أندرا وفارونا ومترا وأديتي وفيشنو وبوسان ورودا وبارجافيا، كانت لها صلة بالمظاهر الطبيعية. وكانت بعض الصفات البارزة في الطبيعة تعتبر آلهة مستقلة بعض الأحيان.

إن سافتيار - وهو الموحي أو واهب الحياة - وفيفاسان - المنير - كانا في الأساس صفات أي أسماء للشمس لكنهما أصبحا بعد ذلك إلهي شمس، وهذا تغيير وتبديل واضح في العقيدة، فاللفظ كان مجرد اسم، ثم أصبح دالا على ذات مستقلة.

وبعض الآلهة التي كانت تعبدها قبائل مختلفة، مثل بوسان، قبلت في هيكل الـڤـيدا، وهذا أيضا من التبديل، فكل إله يعبده أي هندي، يصبح بعد زمن إلها مقبولا ومعبودا في الهندوسية. وقد وضعت صفات مجردة مثل سرادها - الإيمان - ومانيو - الغضب - وجاندهارفاس - الجن - وابساراس - فتيات سماوية - وأرواح الحقول والغابات في الهيكل، وهي مجرد معان في الأصل لا آلهة حقيقية.

وعلى الرغم أن رج ڤيدا تتحدث عن تعدد الآلهة، لكن لدى عبادة إحداها فإنه يصبح الإله الرئيسي، الخالق، الحافظ والقاضي أو (مهدم) الكون. وكانت عملية رفع بعض الآلهة إلى هذا المقام السامي Henotheism تختلف عن التوحيد أو Monotheism وذلك لأن إلها واحدا كان يرفع عاليا.

إن صفات الخلق والحفاظ عليه أو القضاء عليه أو تهديمه لم تكن تنفصل عن بعضها، كما أنها لم تكن تنسب لآلهة مختلفة، بل لإله واحد يتصف بها، مثلا براجاباتي وهو إله المخلوقات، وفيسفا كارمان وهو صانع الكون. ولو أن التعدد اللانهائي للكون يشير إلى تعدد الآلهة، لكن وحدة الكون تتضمن إلها واحدا.

وفي رج ڤيدا نلمس بدايات الشك. قيل فيها: "عمن يسألون، ومن هو؟" وعنه ذاته يقولون: "ليس موجودا". وعلى الرغم من هذا ينشأ توحيد غير شخصي، ويفسّر الكون عندئذ في أنشودة الخلق المتطور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من واحد مطلق. وتشير هذه الأنشودة إلى التمييز بين الحقيقة المطلقة (براهمان) والإله الشخصي (إيشفارا). هذا التمييز الذي يطبع التطور اللاحق للفكر الهندي[١].

يقول سوامي نيخيلاناندا: (تعاليم الـفـيدا، التي تبقى الأساس الرئيسي للهندوسية، ليست نتاجا للفكر الإنساني. فهذه المخطوطات تحتوي حقائق أزلية تتعلق بطبيعة الحقيقة النهائية والخلق والروح ومصيرها، وهي أشياء لا يمكن تحديدها من خلال المعلومات الحسية والتفكير الذي يرتكز إليها)[٢].

٢ - الأوبانيشاد:

الأوبانيشاد هي الأجزاء الختامية للـفـيدا وأساس فلسفة الـفـيدانتا، كما يقول ماكس مولر: "هي منهاج وصل فيه التأمل الإنساني قمته العليا". وقد سيطرت الأوبانيشاد على فلسفة وديانة الهند لمدة ثلاث آلاف سنة تقريبا. وعلى رغم بعدها الزمني عنا، لكنها قريبة منا فكريا، والمثال الذي سيطر على مفكري الأوبانيشاد هو غبطة الإنسان المطلقة، وكمال المعرفة، ورؤيا الحقيقة التي يجوع إليها المتدين المتصوف الذي يتوق للرؤيا المباشرة، وتساؤل الفيلسوف الذي لا ينقطع عن المعرفة - لا يزال مثالنا نحن.

والأوبانيشاد تعني: الجلوس قرب معلم، أو: الجلوس عند الشيخ لتلقي العلم. وقد أخذت كلمة الأوبانيشاد عن "أوبا" التي تعني قريب، و"تي" التي تعني أسفل، و"شاد" التي تعني يجلس. وكانت جماعات من التلامذة يجلسون قرب معلمهم ليتعلموا منه الحقيقة التي تقضي على الجهل. يصعب تحديد تاريخ الأوبانيشاد، فالنثرية القديمة منها.. تخص القرنين السابع والثامن ق.م.[٣].

٣ - الملاحم:

اشتقت هذه الفترة اسمها من القصيدتين الحماسيتين: رامايانا ومهابهارتا. تتحدث رامايانا عن نزاع الآريين مع سكان الهند، وعن تغلغل الحضارة الآرية. وتسجل مهابهارتا النزاع بين المدعين الاثنين على العرش. وعلى الرغم أنها تصف حضارة العصر، لكن القصة تمثل الصراع بين قوى الخير والشر. ومع أن الحوادث المنسوبة في الأشعار تعود إلى فترة أبكر، لكن الإنشاء يخص فترة الملاحم، التي كانت حوالي القرن السادس قبل الميلاد. وهذه الفترة، كأية فترة أخرى تتنازع فيها الحضارات وتتقارب، كانت فترة نشاط عقلي كبير، وفترة تطورات عديدة. وبينما وجدت تطورات أرثوذكسية للديانات البراهمانية، كما هو الحال في بهاجفاد جيتا (وهي جزء من مهابهارتا) وشريعة مانو وكارتيكيا، فإنه وجدت أيضا مناهج تقدمية وغير أرثوذكسية، مثل كارفاكا وجانيا والبوذية.

---

(١) انظر: سرفبالي راداكريشنا، وشارلز مور، **الفكر الفلسفي الهندي**، ترجمة: ندره اليازجي، دط، دار اليقظة العربية، ١٩٦٧م، ص٢٥- ٢٧، باختصار وتصرف. ومحمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٣٤- ٥٣٨. وعلي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٧٦- ١٨٠.

(٢) سوامي نيخيلاناندا، **الهندوسية**، ص١٨.

(٣) انظر: سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص٧١- ٧٤، باختصار وتصرف. والأعظمي، **دراسات**، ص٥٤٢. وعلي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت البراهمانية خلال هذه الفترة تعيد توازنها لكي تتلاءم مع متطلبات المجتمعات المختلفة التي دخلت حظيرة الآريين. وإلى جانب عمل التجميع العظيم القائم في البهاجفاد جيتا، توجد أيضا باسوباتا وبهاجافاتا ومناهج تانترا في الفكر والواقع. عن المهابهارتا، التي تقبلت في صميمها معتقدات أو تعاليم القبائل المتعددة، اهتمت في أن تجعل ذاتها عملا يجذب شعب الهند كله. هكذا أصبحت خليطا من التاريخ والميثولوجيا، من السياسة والقانون، في الفلسفة واللاهوت. وفي كل هذا التنوع وجد اتجاه للوحدة، والمبادئ الرئيسية للثقافة الآرية كانت بواعث شك. وقبلت سيطرة الــقــيدا. وآلهة جديدة أصبحت تعرف بآلهة ڤيدية. شيفا، وشاكتي، وفيشند أصبحت شهيرة. وتطورت عبادة الإله الشخصي، وأصبحت ميول فلسفية مناهج فلسفية في حينها. واسم المهابهارت مركب من كلمتين "مها" أي العظيم و"بهارت" أي الهند، وعنوان الكتاب يحدث عن محتواه، وهو تاريخ الحرب الكبرى التي وقعت في الهند.[١].

٤ - الغيطا (الكيتا):

هو مؤلف ديني أكثر مما هو مقالة فلسفية. ولم يكتبه مفكر أو مدرسة مفكرين كمنهج فلسفي، بل كأسطورة نبعت من حياة الإنسان الدينية. وتعتبر بهاجفاد - جيتا عملا ميتافيزيقيا وأخلاقيا - برهمافيديا ويوجا - شاسترا - أي علم الحقيقة وفن الاتحاد معها.

وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي "كرشنا" أمام قائد الجيش "أرجن". وفيه التأملات في الذات الإلهية، إذ إن كريشنا حسب زعمهم هو الإله الذي نزل إلى الأرض وتجسد بصورة البشر.

تأخذ الجيتا إلهامها من الأوبانيشاد وتجد فيها عناصر المذهب الــقــيدي للعبادة، وتعاليم الأوبانيشاد عن براهمان المطلق، وألوهية بهاجفاد - جيتا، وثنائية سامكيا. وتأمل اليوجا، أطروحة كاملة. وهي جزء من مهابهارتا. ويقال إن نياسا هو الذي ألفها.

تهتم الجيتا بخلاص العالم، وهكذا توضح معالم فيشنو. يمثل كريشنا معالم فيشنو التي تعود "للسامي". وتعتبر الجيتا أن كريشنا هو تجسد (أفاتارانا) أو حلول المقدس في الشكل الإنساني. وإذا بدا الله اللانهائي في الوجود النهائي خلال الزمان، فإن بيانه يكون في لحظة معينة ويتخذ طبيعة إنسانية واحدة بواسطة الشخص المقدس. ويحرر ذاته المركبة التي بها يحقق الكمال المقدس ذاته كما يميل أن يكون متناهيا. إن نظرية أفارتا هي تعبير عن قانون العالم الروحي. وإذا نظر إلى الله أنه مخلص الإنسان، فإنه يلزم أن يثبت نفسه ويبينها عندما تهدد قوى الشر وتعمل على تهديم القيم الإنسانية.

---

(١) انظر: سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص١٥١- ١٥٢، باختصار وتصرف. والأعظمي، **دراسات**، ص٥٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عالم الجيتا هو مشهد لصراع نشيط بين الخير الشر يهتم به الله كثيرا. ويقدم كل محبته لكي يساعد الإنسان ليقاوم كل ما يسبب له الخوف أو الشر أو البشاعة.

الأخلاق في البهاجفاد - جيتا: الجيتا هي يوجا - شاسترا (مقالة في اليوجا) جامعة كبيرة، مرنة، متعددة الجوانب، وتتضمن مراحل عديدة لتطور الذات وصعودها إلى المقدس. وأنواع اليوجا هي تطبيقات خاصة للنظام الداخلي الذي يقود إلى تحرر الذات وإلى فهم جديد لوحدة ومعنى الإنسانية. وهو الهدف للاتحاد مع الله يمكن الحصول عليه عن طريق جنياناريوجا (طريق المعرفة) أو بهاكتي يوجا (طريق العبادة) أو كارمايوجا (طريق العمل).

فالمعرفة والعبادة والعمل تكمل بعضها عندما نبحث عن الهدف ونصل إليه. يمكننا أن نصعد الجبل من ممراته المختلفة، لكن المنظر من الأعلى واحد للجميع[١].

٥ - منو سمرتي (قانون مانو):

توجد أربعة أهداف للحياة: دهارما أو التقوى، آرثا أو الثروة، كاما أو التمتع، وموكسا أو الحرية الروحية. ويعتمد أدب دهارما على القانون والصلاة اللتين تتحكمان بتطور الفرد والعلاقات التي تقوم بين طوائف المجتمع العديدة. إن شريعة مانو تتحدث في الدين والقانون والسعادة والسياسة. وتحترم هذه الشريعة السعادة ومفهوم الاجتماع على الرغم أن ظروف كتابة هذه الشريعة لم تكن ملائمة لمثل هذه القيم. وتؤمن في النظام الاجتماعي القائم على الطبقات الأربع ويعتبره وسيلة للتعاون الاجتماعي للخير العام، ومع ذلك لم يتكلم هذا المنهج عن التناسق الاجتماعي. ولقد شدد على الأساس الوظائفي، الذي يتميز عن الأساس الطبقي؛ إذ يتحتم على كل فرد أن يتم الوظيفة التي تلائم طبيعته. ويعتقد مانو في المراحل الأربع للنمو وبالغايات الأربع الرئيسية للحياة.

وتعطي شريعة مانو مركزا عاليا للنساء: "عندما تكرم النساء تسر الآلهة؛ وعندما لا تكرم لا تستحق الطقوس الدينية الجزاء أي المكافأة والتقدير". "في المنزل الذي تسر فيه المرأة مع زوجها، والزوج مع زوجته، تدوم السعادة". "إذا لم يوجد زوج ملائم، تبقى الفتاة في منزل أبيها كعازبة حتى نهاية حياتها".

ولا تعتبر شريعة مانو جامدة من الناحية الأخلاقية. يجب على الحكماء الصالحين والمتحررين من الحقد أن يعلموها في كل جيل.

وتوجد، حسب تفكير مانو، أربعة طرق لتحديد الخطأ والصواب: الـــقـــيدا، سمرتي، أسارا (السلوك الجديد) والوعي. تتعلق الثلاثة الأولى بالنظام الاجتماعي، وأما الطريقة الرابعة فإنها تحقق الازدهار الاجتماعي. ويشدد مانو على فعل كل ما ينبثق عن وجداننا ووعينا[١].

---

(١) انظر: سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص١٥٥- ١٥٧، باختصار وتصرف. والأعظمي، **دراسات**، ص٥٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في شريعة مانو تعطى تعليمات مفصلة عن الأحكام الاجتماعية المطبقة عندئذ. أما الفكر الفلسفي الموجود في شريعة مانو لا أهمية له، لأنه ذكر فقط لإعطاء صيغة للشريعة الاجتماعية تقوم على أساس عقلي. ومع أن شريعة مانو تظهر بعض التقدم، لكن التشديد هو على حفظ النظام الاجتماعي. لقد مجدت هذه الشريعة العادة والاجتماع اللذين فقدا قيمتهما من قبل. على كل حال، توجد أمارات كبرى في هذا الكتاب.[٢]

يقول علي عبد الواحد وافي: (ومن أسفار الـــڤـــيدا استمدّت "قوانين مانو" التي تنسب لمشرّع هنديّ قديم اسمه مانو أو مانافا، وهي تفصيل وشرح وبيان لما اشتملت عليه أسفار الـــڤـــيدا، من قصص دينيّ وعقائد وعبادات وشرائع وأخلاق. وينـــزل البراهميون هذه القوانين منزلة التقديس كذلك، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفها هو أحد الآلهة المنبثقين عن الإله الخالق براهما) [٣].

وفي موضع آخر يقول: (تشتمل قوانين مانو (أو: مانافا دهارما ساسترا) أي: [كتاب قوانين مانو] على تفصيل للدين البرهميّ؛ عقائده وعباداته ومعاملاته ونظمه الاجتماعية بمختلف فروعها: (نظم السياسة، والاقتصاد، والأسرة، والقضاء، والحرب، والقوانين المدنية، وقوانين العقوبات، ونظم التربية والأخلاق.. إلخ. كما تشتمل على تاريخ الكون ونشأته وخلق الإنسان وتقسيم الطبقات، وينسب هذا السفر لمشرّع قديم اسمه مانو أو مانافا، ولا نعلم تاريخه على وجه اليقين، وأرجح ما قيل في هذا الصدد من آراء أنه عاش حوالي القرن الثالث الميلادي...

وهو أهم مرجع للباحثين في الدين البرهميّ، لأنه قد استوعب جميع نواحي هذا الدين؛ قصصه وعقائده وعباداته وشرائعه، ولم يغادر أي فرع من هذه الفروع إلا فصّله تفصيلا، ويستمد أحكامه من أسفار الـــڤـــيدا نفسها، كما يصرح بذلك في مقدمته، وقد ألف في شعر منظوم، ويشتمل على (٢٦٨٤) مادة، تندرج تحت اثني عشر كتابا)[٤].

ولقد قام إحسان حقي[٥] بترجمة هذا الكتاب ودراسته دراسة مقارنة مع الكتب السماوية، ولنتركه يحدثنا قليلا عن هذا الكتاب. يقول: (نحن لا نعرف متى كتب هذا الكتاب بالضبط، ولكن العلماء يرجحون بأنه

---

(١) انظر: سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص٢٤٩- ٢٥٠، باختصار وتصرف.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٥٢، باختصار.
(٣) علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، دط، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٧٥.
(٤) المرجع السابق ص١٨٠.
(٥) إحسان حقي: من مواليد دمشق ١٩٠٤- ١٩٩٣م، دكتوراة في التاريخ، أستاذ جامعي، عضو المجمع العلمي الإسلامي أتقن اللغة الأردية، دعا لنشر اللغة العربية في الهند وباكستان، أهدى خزانة كتبه لمكتبة الأسد، ومن كتبه: مأساة كشمير، والمسلمون أمام التحدي. من أعماله: اليقظة العربية الإسلامية، أصغر خمس دول في العالم، الدليل إلى أحكام التوراة والإنجيل، علمانية الهند، علم الفراسة أسرار الخلقة وإبداعها، علم الكف، بروتوكولات حكماء صهيون، أفغانستان: نشأتها وكفاحها. انظر:
http://www.furat.com/index.php?page=authorinfo&a_id

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب في نحو المائة السادسة قبل الميلاد، وأن كاتبه أو واضعه هو الإله براهما، وأنه علمه الإله "منو" وهذا بدوره علمه الحبر "بهركو").[١]

وكتاب "منو سمرتي" كتاب تشريع بكل معنى الكلمة، إذ ليس فيه إلا التشريع، وقد أسهب في هذه الناحية إسهابا كبيرا، وعالج الأمور الفردية والجماعية، ما كان منها أخلاقيا أو اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا أو إداريا أو حقوقيا أو جزائيا أو غير ذلك... فجاء كتابا جامعا لكل ما يحتاج إليه المرء في حياته تلك...

ونحن لا نعرف متى كتب هذا الكتاب ولكننا بالتتبع العلمي نستطيع أن نقول بأنه كتب في فترة ما بين القرن السادس والقرن العاشر قبل الميلاد، ولكن هذا القول لا يبرر قول الهنادكة بأن برهما كاتبه، بل هو على كل حال لا يرتقي إلى أكثر من الألف الأولى قبل الميلاد، اللهم إلا أن يكون برهما، عند الهنادكة، مثل إبراهيم، عند اليهود، فكما أن إبراهيم لم يترك لليهود إلا ما يرددونه عنه من قصة حياته، فكذلك لم يترك برهما للهنادكة إلا أقوالا تناقلوها. ثم لما وضعوا هذا الكتاب نسبوها إليه على سبيل التعظيم والإجلال.

وعلى الرغم مما في منو سمرتي من أحكام وأمور يأباها الذوق السليم ويستنكرها العقل كشرب أبوال البقر وأكل خثيها، وهي أمور ربما اقتضتها مصلحة زمنية نجهلها، أو أن يد المغرضين صاغتها ودستها ثم جاء التابعون فآمنوا بها، فإن الذي لا يسعنا إنكاره هو أن هذا الكتاب ينطوي على أمور جليلة كثيرة تدل على مدنية ذات أصول قويمة وفلسفة عميقة، وأن من يلقي نظرة على ما جاء فيه بشأن المرأة والعناية بها ورعايتها، ثم ما جاء بشأن إدارة الملك وتنظيم البلاد في حالتي السلم والحرب وغير ذلك يجد نفسه أمام تشريع سبق زمنه بقرون، وأن من يقارن بين منو سمرتي وبين التوراة يجد أن منو سمرتي يخاطب أناسا أوسع إدراكا وأكثر علما ممن خاطبتهم التوراة، بينما نجد التوراة تبحث خلقة العالم من ناحيتها المادية المحضة، نجد منو سمرتي يبحثها من ناحيتها الفلسفية مما يدل على أن القوم كانوا قد قطعوا مرحلة التفكير الابتدائي الذي تضمنته التوراة وما تلاها من أسفار، ثم إن تنسيق منو سمرتي وترتيبه وتبويبه، كل هذا يدل على عقل سليم وتفكير منطقي ممتاز.[٢]

---

http://www.fikr.com/?Prog=book&Page=authorinfo&aid

(١) **منو سمرتي**، ص هـ.

(٢) انظر: **منو سمرتي**، ص و - هـ، باختصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الألوهية في الهندوسية

المبحث الأول: الشرك وتعدد الآلهة عند الهندوس

المطلب الأول: عبادة الظواهر الطبيعية
المطلب الثاني: تعدد الآلهة
المطلب الثالث: الثالوث
المطلب الرابع: عبادة الأصنام
المطلب الخامس: عبادة البقر

المبحث الثاني: النصوص الدالة على توحيد الله وتنزيه

المبحث الثالث: الجمع بين النصوص

المطلب الأول: تعدد الأسماء والصفات للإله الواحد
المطلب الثاني: عبادة الظواهر الطبيعية وتأليه الملائكة
المطلب الثالث: عبادة الأصنام
المطلب الرابع: عبادة البقر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

الألوهية أو الإلهية: هي صفة الإله أو المؤله، وهي عبارة عن وجوب الوجود والقدم الذاتي، أي عدم المسبوقية بالغير.[١] وهي عند الصوفية اسم مرتبة جامعة لمراتب الأسماء والصفات كلها، أو اسم لجميع حقائق الوجود، وحفظها في مراتبها[٢].

والإله: هو الذي تستحق له العبادة، وتليق به، وتنبغي له؛ لأنه قادر على فعل ما يستحقها به لأجل ذلك. وهو عبارة عن أجل الموجودات وأرفعها. وهو ذات موصوفة بصفات الكمال[٣]. وبالمعنى الاجتماعي هو معبود الجماعة. وبالمعنى الأخلاقي هو مصدر جميع القيم الأخلاقية. وبالمعنى المنطقي هو مصدر نظام العالم ومبدأ العقل والأساس الذي يضمن مطابقة الحقائق التي في الأذهان للأشياء الموجودة في الأعيان. وبالمعنى الوجودي هو مبدأ العالم وغايته ومصدر وجود الكون وضابط الكل[٤].

وسؤالي هو: هل يوجد شيء من توحيد الله أو تنزيهه في كتب الهندوس المقدسة المعتمدة؟

جميع من كتب عن الأديان - وخاصة من المسلمين - قرروا بأن الهندوسية ليست سوى ديانة شرك غليظ ذي آلهة كثيرة لا تعد ولا تحصى، حتى وصل بهم الأمر إلى تأليه مختلف أنواع الحيوانات والزواحف الحقيرة، وأنها ليست إلا وثنية يعبد أهلها الأصنام الكثيرة التي تحيط بهم والتي يصنعونها بأيديهم، وأنها ليست إلا شعوذات وخرافات وأساطير صنعها عقل الإنسان البدائي الحسي، الذي لا يؤمن إلا بالملموس القريب، ذلك العقل البدائي البعيد عن الحضارة والقيم والوحي والنبوة، ذلك العقل القاصر الساذج الذي يخاف من ظواهر الطبيعة فيعتقدها قوى عاقلة مريدة تتحرك وتؤثر في حياتنا بوعي وإدراك، فاعتقدها آلهة، وصورها أربابا.

ولكن، هل هذه التصورات والعقائد هي الأصل عند الهندوس؟ هل كانت موجودة منذ فجر ظهور الديانة؟ هل قامت الهندوسية ابتداء على هذه التصورات البشرية القاصرة؟

---

(١) **شرح المصطلحات الكلامية**، ط١، إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، دار البصائر، طهران، ومؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٥هـ، ص٣٥.

(٢) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ط١، ٢م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م، م١، ص١٢٩. وانظر: الجرجاني، علي بن محمد الشريف الحسيني الحنفي (ت ٨١٦ هـ)، **كتاب التعريفات**، ط١، (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٩١.

(٣) **شرح المصطلحات الكلامية**، ص٣٣.

(٤) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، م١، ص١٢٧- ١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الشرك وتعدد الآلهة عند الهندوس

كان سكان الهند الأصليون يعبدون النار فقط، فإنها كانت المعبود المقدس الذي تقدم إليه القرابين، ويتولى الكهنة - وهم سدنة معابد النيران - القيام بما يقتضيه التقديس من طقوس ورسوم في تلك الديانة، ولم تكن النار المتفردة بالألوهية، بل كان يشاركها في القداسة آلهة أخرى منها الشمس، لما تفيض به على الكون من أشعة مضيئة، وحرارة منعشة للأجسام، ومنها حيوانات مخيفة كتنين مفزع أو وحش هائل. وكانوا يعتقدون أن هناك عالما آخر هو عالم الأموات، وأن الأخيار إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب، وقدرة على التأثير في الكون، والمشاركة في تصريفه وتدبيره بمجرد مغادرتها الأجسام. وقد استمرت تلك الديانة هي السائدة في الهند، حتى جاءت ديانة الفاتحين[١].

وبعد دخول الغزاة الآريين بلاد الهند وسيطرتهم عليها سياسيا وثقافيا ودينيا، ظهرت عقائدهم وبرزت وغلبت على عقائد السكان الأصليين، وتأثرت بعقائدهم في الوقت ذاته، فتغيرت ملامحها وأصبحت تجمع بين مختلف العقائد التي كانت موجودة في شبه القارة الهندية.

يقول الشيخ أبو زهرة: (الديانة الجديدة وهي البرهمية نسخت تلك الديانة القديمة وحلت محلها، ولكن هل لنا أن نعتقد أنها محتها محوا، وقامت على أنقاضها، وشادت عليها دعائم بنائها...

لابد لنا أن نقول: إن الديانة الجديدة لم تمح الديانة القديمة محوا، ولم تُزِلْ كل آثارها، بل إن الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض عليهم..)[٢].

أما العقائد الجديدة والتي تسمت فيما بعد بالديانة الفيدية أو البرهمية فنستعرض عقائدها فيما يأتي.

---

(١) انظر: محمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان (الديانات القديمة)**، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص٢٠. بتصرف واختصار.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠- ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

عبادة الظواهر الطبيعية

لم تخل أمة من الأمم البدائية والمنحرفة المعروفة في التاريخ، والتي جاءت بعد نبي الله نوح عليه السلام، من تعظيم ظواهر الطبيعة المختلفة والنجوم والكواكب وغيرها من المظاهر الكونية الباهرة المحيرة للعقول، التي أخافت تلك العقول الساذجة. ثم صاروا يعبدونها خوفا منها واتقاء لشرها، وكان السبب في ذلك عدم فهمهم لمثل هذه الظواهر، وعدم إدراكهم لسبب حدوثها أو معرفتهم لصانعها.[١]

جاء في سفر الحكمة[٢] من النسخة الكاثوليكية للعهد القديم ما يلي: (إن جميع الناس الذين لازمهم جهل الله، هم مغرورون طبعا بأنفسهم فإنهم لم يقدروا أن يعرفوا الكائن من الخيرات المنظورة، ولم يعرفوا الصانع من اعتبار أعماله. لكنهم حسبوا النار أو الريح أو الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو المياه الجارفة أو نيري السماء آلهة تسير العالم. فإن حسبوا تلك آلهة لأنهم خلبوا بجمالها فليعلموا كم سيدها أعظم منها لأن الذي خلقها هو أصل الجمال. وإن دهشوا من قدرتها وفاعليتها فليفهموا منها كم مكونها أقدر منها. فإن عظمة المخلوقات وجمالها يؤديان بالقياس إلى التأمل في خالقها. غير أن أولئك الناس يستوجبون توبيخا أخف، فلعلهم لا يضلون إلا لأنهم يلتمسون الله ويرغبون في الاهتداء إليه. بما أنهم يعيشون فيما بين أعماله فهم يمعنون النظر فيها فيغرهم منظرها لأن المخلوقات المنظورة جميلة. مع ذلك فهم أيضا لا يغفر لهم لأنهم إن كانوا قد بلغوا من العلم أن استطاعوا أن يتكهنوا بسير الأشياء الأبدي فكيف لم يهتدوا قبل ذلك إلى سيدها؟)[٣].

لكن الذي حصل هو أن بعضا من تلك الشعوب قد وصلوا بتعظيم الطبيعة والإعجاب بها مراحل من التقديس والتأليه والعبادة، لاعتقادهم بامتلاكها قوة مؤثرة في الكون، وأنها تسير وتتحول بقواها الذاتية المستقلة، لأنهم كانوا أضعف منها وغير قادرين على السيطرة عليها، وفي الوقت ذاته لا تسعفهم علومهم لإدراك طبيعتها وآليتها. ولم يتفكر بعضهم في وجود إله قادر متحكم بهذه الظواهر مسير لها. والبعض الآخر مع اعتقادهم بهذا الإله، إلا أنهم أشركوا معه هذه الظواهر وعبدوها معه.

ومن الأديان التي اشتهرت بعبادة الظواهر الطبيعية، والاعتقاد بإله مسير لكل واحدة منها على حدة: الهندوسية، فقد عينوا لكل ظاهرة منها إلها متحكما بها، سموه باسم خاص به، فهناك أغني: إله النار، وفايو: إله الهواء، وإندرا: إله الرعد.. وغيرهم كثير.

---

(١) انظر: ممدوح الزوبي، **هل كان زرادشت نبيا؟**، ص٤٨.

(٢) وهو أحد أسفار النسخة الكاثوليكية الـ (٧) ويطلق عليها اسم "أسفار أبوكريفا" وهي التي حذفت من النسخة البروتستانتية للعهد القديم.

(٣) **الكتاب المقدس**، ط٦، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٠م، سفر الحكمة، إصحاح ١٣، فقرة ١- ٩، ص١٤١٩- ١٤٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سليمان مظهر: (وعرف الهندوس الآلهة.. كيف عرفوها؟ وما هي مهمتهم في السماء؟ الواقع أن أقدم ديانة في الهند كانت عبادة طوطمية لأرواح كثيرة تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم.. وكانت الثعابين والأفاعي مقدسة.. أما أقوى الآلهة فهي قوى الطبيعة نفسها وعناصرها: السماء والشمس والأرض والنار والضوء والريح والماء والجنس.. كل هذه الأعداد من الآلهة خلقها الهندوس لأنفسهم معتمدين على العناصر الطبيعية. فجعلوا السماء أبا وسموه "فارونا".. وجعلوا الأرض أما وأطلقوا عليها اسم "برينيفي". وكان المطر عندهم هو الإله "بارجانيا" والنار هي "أجني".. والريح هي "فايو" أما العاصفة فهي "أندرا" والفجر "أوشاس" ومجرى الممرات في الحقل هو الإله "سيتا" والشمس هي الإله "سوريا" أو "مترا" أو "فشنو". بينما النبات المقدس الذي يسكر عصيره كل الناس وكل الآلهة فهو الإله "سوما". ومع الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعبدونهم.. وأصبحت الشمس التي تهب الحياة إلها جديدا اسمه "سافيتار" وأما ضوؤها فإله آخر اسمه "فيفاسفات".. ثم أصبحت الشمس التي تولد الحي من الحي إلها عظيما جديدا اسمه "براجباتي" هي رب كل الأحياء.. وإذ كثر عدد الآلهة، نشأت مشكلة جديدة.. هي: "أي هؤلاء الآلهة خلق العالم؟". وقال البعض إنه "آجني" إله النار.. وقال آخرون بل "إندرا" إله العاصفة.. وقالت طائفة: إنه "سوما" إله النبات.. بينما قال الباقون: إنه "براجاباتي" إله الشمس خالق كل شيء ورب كل الأحياء.. وظل هذا الرب يرتفع ويعلو حتى صار ذات يوم يعبد على أنه الإله الواحد.. ثم صار هو "براهما" الذي يفنى في نفسه كل شيء.. والذي ابتلع "براجاباتي" داخل جوفه الكبير..)[١].

يقول الأعظميّ: (بما أن الهندوس لا يتقيّدون بعقيدةٍ خاصّةٍ؛ لذلك يسهُلُ عليهم الإيمان بالله وبغيره من الآلهة الكثيرة؛ من القوى الطبيعيّة وغيرها..)[٢].

---

(١) سليمان مظهر، **قصة الديانات**، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٩١- ٩٢.
(٢) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

تعدد الآلهة

يعبد الهندوس أعدادا هائلة من الآلهة، منها ظواهر الطبيعة المتعددة الكثيرة، كالشمس والقمر والأنهار والبحار والرعد والبرق وغيرها. ويعبدون الحيوانات التي لا تعد ولا تحصى من الأفاعي والفيلة والبقر والقرود. ويؤمنون بتجليات للإله ظهرت على مر العصور، ومن أبرزها: ناراين، وراما وكريشنا. وهي شخصيات إلهية يعتقدون أن الله تعالى قد ظهر للبشر عن طريق حلوله فيها، كما يقول النصارى في عيسى عليه السلام، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

يقول أحمد شلبي: (وقد بلغ التعدّد عند الهنود مبلغاً كبيراً، فقد كان عندهم لكل قوّةٍ طبيعيّةٍ تنفعهم أو تضرّهم إله يعبدونه، ويستنصرون به في الشدائد، كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها.. وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم في ذرّيّتهم وأموالهم من المواشي والغلات والثمار، وتنصرهم على أعدائهم...

وعلى هذا كثُرت الآلهةُ عندهم كثرةً زائدةً، ولكنهم في وسط هذا التعدّد كانوا يميلون أحياناً للتوحيد أو إلى اتجاهٍ قريبٍ منه، فقد كانوا إذا دعَوا إلهاً من آلهتهم أو أثنَوا عليه أو تقرّبوا إليه بقربان؛ أقبلوا عليه بكل عواطفهم وجُلّ ميولهم، حتى يغيبَ عن أعينهم سائر الآلهة والأرباب، ويصيرَ إلهُهُم هو ذلك الإله لا غير، فيسمّونه بكل اسمٍ حسنٍ ويصفونه بكل صفةٍ كماليّةٍ، ويخاطبونه بربّ الأرباب وإله الآلهة تعظيماً وإجلالاً، لا تحقيقاً وإيقاناً، وإذا عطفوا إلى إلهٍ غيره أقاموه مقام الأول، وجعلوه رب الأرباب وإله الآلهة، فهذا التعبير ((رب الأرباب أو إله الآلهة)) كان أوّلا يدل على العظمة والجلال، فلما مضت القرون على هذا النحو أصبح هذا التعبير ثابت المعنى، أي أنهم اعتقدوا فعلا أن في صف الآلهة رئيساً ومرؤوسين وآمراً ومأمورين، وأن الرئيس والآمر هو وحده رب الأرباب وإله الآلهة، وهذا وصفٌ ثابت له لا ينتقل إلى سواه، والكائناتُ كلّها تحت يده، وسائر الآلهة تحت أمره)[١].

ويقول غوستاف لوبون: (مبادئ الآريين الدينية على شيءٍ من الإبهام والغموض، فلم تكن أمور أيّ إلهٍ معيّنة قاطعاً عندهم، فكان للمشاعر والخيالات الشخصية شأنٌ كبيرٌ في تكييفها، وليس قليلا ما تجده من ذلك في الويدا، فمن ينظر في "الرغ - ويدا" يعلم طوراً بعد طورٍ، أن ديانة الآريين **كانت ديانة توحيدٍ خالص**، وديانة وحدة وجودٍ راقية، وديانة شركٍ غليظٍ)!!

(إذن، تبدو الأناشيد الآرية متموّجة بين أشدّ المبادئ الدينية اختلافاً، فتجد فيها عبادة قوى الطبيعة، وتجد فيها وحدة الوجود، وتجد فيها الشرك، **وتجد فيها التوحيد**)[٢].

---

(١) أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٤٥ - ٤٦.
(٢) غوستاف لوبون، **حضارة الهند**، ص٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول أديب صعب: (معظم آلهة الفيدا قديمة جدا، ومنها إيندرا إله العواصف والحرب، وقد أجله عباده أيما إجلال، وتصوروه ذا جثة ضخمة وشعر طويل ولحية كثة يبعث منها صوته الأجش. ومن القصائد المرفوعة إليه واحدة نقرأ فيها: "في قبضة يديه الجياد والقطعان والقرى وكل العربات. إنه خالق الشمس والضحى ومحرك المياه.. بدونه لا يرتفع إنسان، وفي الحرب يدعونه لنصرتهم. إنه مثال كل شيء ومحرك كل ساكن". ومن آلهتهم رودرا الذي كان مستهاب الجانب لأنه مطلق العواصف الهوجاء المنحدرة من جبال الهملايا. ومن الصلوات القليلة المرفوعة إليه واحدة تقول: "لا تقتل كبارنا ولا صغارنا، لا طفلنا الذي ينمو ولا الرجل الذي شب ونما. لا ولا تقتل لنا أبا ولا أما، ولا تقتلنا يا رودرا. لا تقتل قطعاننا ولا جيادنا، ولا تهلك بسخطك أبطالنا، فنحن نقدم لك الذبائح على الدوام". ونقع في هذه الفيدا على عيون الشعر في وصف آلهة الطبيعة. وهناك آلهة "سريعة كالريح، متلفعة بالمطر.. إنها مطربة السماء". ومنها فايو إله الريح، وفيشنو الذي يقطع الأرض والفضاء في ثلاث خطى خفيفة، معتقا العالم من ظلمة الليل. ومن الآلهة القديمة ياما، وهو أول إنسان مات، فصار إله الموتى وحاكمهم والحكم على أفعالهم. وتدعو الفيدا إلى إجلال "الملك ياما الذي يجمع الناس معا، الذي ارتحل إلى السموات العلى فوقنا ليشق الطريق للكثيرين. إنه أول من وجد لنا مكانا نستقر فيه ولا يمكن أن نخسره.. هلموا أيها الناس إلى ملاقاة ياما، إلى ملاقاة الآباء، إلى قطف ثمرة الأعمال الحسنة في أعلى سماء. اهجروا الخطيئة والشر، وابحثوا من جديد عن مسكن لكم، لابسين جسدا آخر" هنا نجد إجلال الآريين لأسلافهم، وهذا من أقدم عقائدهم. وهناك إله متفوق هو فارونا إله النظام، هذا يصنع النظام الطبيعي والخلقي في كل مكان، ويحمي الطبيعة من القوى التي تعمل على تقويضها، والإنسان من الخطيئة والشر، وهو الحكم على أفعال البشر. وعندما يخطئ المرء، عن جهل أو عن معرفة، ضد أخ أو صديق أو جار أو غريب، فهو يرفع الصلاة إلى فارونا كي يسامحه)[١].

يقول سليمان مظهر بعد سرده لأهم الآلهة الهندوسية: (هذه هي الآلهة الرئيسية، وإن كان هناك أيضا بضعة آلاف من الآلهة الصغيرة، هناك مثلا إله آخر هو ابن شيفا واسمه جانيش، هذا الإله هو الفيل الذي تتجسد فيه الطبيعة الحيوانية للإنسان، وتتخذ صورته في الوقت نفسه طلسما يقي حامله من الحظ السيئ. وإلى جانب هؤلاء الآلهة هناك القردة والأفاعي، وهي مصادر الرعب التي ترمز لطبيعة الآلهة، ولعل أخطر هذه الأفاعي المقدسة أفعى تمسى "ناجا" لها عند الهندوس منزلة خاصة، فعضة واحدة منها تؤدي إلى موت سريع، ولهذا فهم يقيمون لها حفلا دينيا كل عام، تقدم لها فيها هي وزملاؤها من الأفاعي قرابين من اللبن والموز، توضع عند مداخل جحورها...

---

(١) أديب صعب، **الأديان الحية، نشوؤها وتطورها**، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٣٠- ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كانت القردة والأفاعي لها هذه القدسية عند الهندوس، فهناك من الحيوانات الأخرى ما يتمتع هو الآخر بمثل هذه القدسية، مثل التماسيح والنمور والطواويس والببغاوات بل والفئران أيضا، فالهندوسي لا يرى فارقا بين الحيوان والإنسان، لأن لكل منهما روحا، والأرواح تمضي متنقلة دائما بين الحيوان والإنسان، ولهذا فهي صنوف إلهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها)[١].

وقد بلغت الوثنية الهندية أوجها في القرن السادس، فقد كان عدد الآلهة في "ويد" ثلاث وثلاثين، وقد أصبحت في هذا القرن (٣٣٠) مليون. وقد أصبح كل شيء رائعا وكل شيء جذابا وكل مرفق من مرافق الحياة إلها يعبد. وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلهات الحصر، وأربت على العد، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله - كما زعموا - في عهود وحوادث معروفة، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس "مهاديو" الإله، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل، وحيوانات أعظمها البقرة، والأجرام الفلكية، وغير ذلك..[٢]

ويزيد هذه المسألة إيضاحا عبد الراضي المحسن فيقول: (تعدد الآلهة هي النزعة الأرسخ وجودا، والأبرز مظهرا، والأطغى حضورا في فكر الهندوس الديني، فالهندوسية نهر دافق من المؤلهات، وسيل عارم متجدد من تأليه الكائنات والموجودات، فإذا كان مؤرخو الأديان والحضارات قد صعدوا بتعدادها في بدايات القرن المنصرم من الثلاثين إلى رقم الثلاثمائة والثلاثين مليونا (٣٣٠ مليون) من المؤلهات، فإن دارسي الديانات من المتأخرين جعلوا الرقم رمزيا، لأن الطموح الهندوسي لا يقف عند حدود هذا الرقم، بل يرنو إلى أن يكون لكل هندوسي إله خاص. فمفهوم الهندوسية للإله يجعل منه محايثا للعالم متداخلا فيه، لذلك أرجع الهندوسي كل حركة كونية أو طبيعية أو تاريخية لا يفهم سرها إلى قوة خفية روحية تسيطر عليها وتوجهها، فبجلها وناجاها وتودد إليها بالعبادة، وتضرع إليها طمعا في إحسانها، وخوفا من غضبها، وسماها إلها. وقاد هذا المبدأ العام في التأليه إلى تقديس ما يحيط بالهندوسي من مظاهر، ويتداخل مع حياته من كائنات)[٣]. حتى وصل به الأمر إلى تأليه الحرف والمهن والمشاعر والمعاني المختلفة[٤].

---

(١) سليمان مظهر، **قصة الديانات**، ص٩٧- ٩٨.
(٢) انظر: سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، ط٣، ٣م، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٦م، م٢، ص٦٢٣- ٦٢٤.
(٣) عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٥٢- ٥٣.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص٥٤- ٥٥، ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث
الثالوث

يقول أديب صعب: (ونجد في الفيدا آلهة أقل قدما، وعددها ثلاثة كما عند الفرس والحثيين والإغريق والرومان، وهي: (١) دايوس بيتار، أي السماء - الأب، وهو شبيه بالإله الإغريقي زفس، والروماني جوبيتر. (٢) بريثيفي ماتار، أي الأرض - الأم. (٣) ميترا، وهذا إله ذو بعد خلقي، يمثل المحافظة على الإيمان والعقيدة)[١].

كان هذا الثالوث المذكور سابقا لمرحلة تعدد الآلهة، ثم ظهر بعد مرحلة تعدد الآلهة ثالوث آخر مختلف، يضم أبرز وأهم ثلاثة آلهة على الإطلاق: براهما الخالق، وشيفا المهلك، وفيشنو الحافظ.

يقول أحمد شلبي: (وحوالي القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرُبُ من التوحيد أو تصلُ إليه، فقد جمعوا الآلهة في إلهٍ واحدٍ، وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه، ثم يهلكه ويردّهُ إليه، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو براهما من حيث هو موجدٌ، وهو فشنو من حيث هو حافظٌ، وهو سيفا من حيث هو مهلكٌ... فبرهما اسم الله في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها، لا حدّ له، وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالم وجوده.

وجاء في كتاب (الباجافاتا بورانا) وهو من الكتب الهندية المقدّسة، أن كاهناً توجّه إلى الآلهة برهما وفشنو وسيفا وسألهم: أيّكُم الإله بحقٍّ؟ فأجابوا جميعاً: اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله، من خلقٍ وحفظٍ وإعدامٍ، ولكنه في الحقيقة واحدٌ، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعاً، أو عبد الواحد الأعلى.

وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الثالوث الجديد ظهر متأخّراً نتيجةً للتطوّر الذي سقناه، ومن أجل هذا ليس له ذكرٌ في الويدا، أما الآلهة الواردة بالويدات فعديدةٌ، ولكنها اجتمعت في ثلاثة آلهةٍ رئيسيّةٍ هم: فارونا في السماء، وإندرا في الهواء، وأغنى في الأرض)[٢].

ويقول علي عبد الواحد وافي: (فالديانة البرهمية كانت في أصلها - على ما يبدو من نصوص أسفارها - ديانة توحيدٍ مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الأرواح ورجوع الكائنات إلى الخالق... ولكنها تغيّرت وحُرّفت على مرّ الأيام، وحلت محلّها عقيدة تثليث، لأنهم زعموا أن "براهما" كان قبل الوجود في فضاءٍ لا نهاية له، فرغب أن يكون كثيراً، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيضٍ من ذاته (نظرية وحدة الوجود) وسمّى نفسه الخالق، ثم انبثق منه الإله المدمّر، وهو الإله (سيفا) الموكل بالخراب والفناء، فلا يذر من شيء أتى

---

(١) أديب صعب، **الأديان الحية، نشوؤها وتطورها**، ص٣١- ٣٢.
(٢) أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٤٦- ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه إلا جعله كالرميم، ولو تُرك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن، ولهذا انبثق من براهما إلهٌ حافظٌ مجدّدٌ وهو الإله (فيشنو). وبذلك انمحت عقيدة التوحيد الأصلية في الدين البرهميّ، واستُبدل بها هذا الثالوث. ويتّجه البرهميّون الآن في معظم عباداتهم إلى الإله فشنو، وهو الإله الحافظ المجدد، أما الإله سيفا المدمّر يُتّقى شرّه، وأما الإله براهما، وهو أصلهم جميعا، فيزعمون أنه قد أدّى وظيفته وهي الخلق، وأنه ينعُمُ الآن بالراحة المطلقة الكاملة)[١].

ويقول محمد أبو زهرة: (وتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلها، ثم عرا عقائدهم التغيير والتبديل، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة أقانيم[٢]، وذلك أنهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة، وهي: براهما، سيفا، فيشنو.. وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لإله واحد في زعمهم، والإله الواحد هو الروح الأعظم واسمه بلغتهم "آتما" ودون هذه الآلهة الثلاثة آلهة أخرى دون هذه الآلهة سلطانا وقوة وعبادة..)[٣].

ويقول سليمان مظهر: (أما براهما فسيد جميع الآلهة، رغم أنه مهمل في شعائر العبادة الفعلية، وكان له من الشهامة ما أبعده عن الميل مع الهوى، وهو القوة الخالقة في الطبيعة. أما فشنو فهو إله الحب الذي ما أكثر ما ينقلب إنسانا ليتقدم بالعون إلى البشر... وهو مثل الإله شيفا تتبعه الأكثرية الكبرى من سواد الشعب الذي يكرم الآلهة، والذي يرسم الواحد منهم على جبهته كل صباح بالطين الأحمر علامة الفشنو، وهي شوكة ذات أسنان ثلاث.. بينما الشيفي المخلص لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته برماد من روث البقر، أو يلبس اللنجا ويربطه إلى ذراعه أو يعلقه حول عنقه. أما أتباعه فيقدسونه على أنه هو الذي خلق الكون كله، وأنه بعد أن قام من النوم أمر براهما أن يخلق الأرض، ثم اتخذ له مكانا في "الفيكونتا" وهي السماء التي كان هو نفسه إلها لها، وهناك يجلس فشنو على العرش بجانب زوجته والإلهتين لاكشمي وسرى إلهتي الحظ السعيد والبركة الطيبة، وفشنو ينتابه القلق أحيانا بسبب هذا العالم، فهو يهبط بين حين وآخر من عليائه يتفقد شؤون البشر. أما شيفا فعبادته من أقدم وأعمق وأبشع العناصر التي تتألف منها العقيدة الهندوكية. وكلمة شيفا لفظ أريد به التخفيف من بشاعة هذا الإله، ومعناها الحرفي "العطوف" مع أنه في حقيقة الأمر إله القسوة والتدمير قبل كل شيء آخر، وهو تجسيد لتلك القوة الكونية التي تعمل واحدة بعد أخرى على تخريب جميع الصور التي تتبدى فيها حقيقة الكون. وشيفا لا يظهر عادة

---

(١) علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٨٦.

(٢) الأقنوم هو الأصل والجوهر والشخص، وهو عند قدماء الفلاسفة يعني الحقيقة الوجودية، وعند اللاهوتيين هو اتحاد الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهية. والأقانيم هم من جهة كونهم جواهر أو أشخاص، أقانيم متميزة بعضها عن بعض. واختلفوا في الأقانيم، فقال بعضهم: هي خواص، وقال بعضهم: هي أشخاص، وقال بعضهم: هي صفات. انظر: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، م١، ص١١٢. ومراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دط، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨٥. **وشرح المصطلحات الكلامية**، ص٣٢. والماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **أعلام النبوة**، ط١، (تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٠. والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت ٦٧١ هـ)، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام**، دط، (تحقيق: أحمد حجازي السقا)، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص٥٥ وما بعدها.

(٣) محمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان (الديانات القديمة)**، ص٢٣- ٢٤. باختصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا في ميادين القتال والمعارك الضخمة والمنازعات الطاحنة، وفي كل هذه الميادين تحل بركته، وهي دائما بركة قاتلة، أما تماثيله المنحوتة في الصخر فهي تمثله وهو يضع فوق رأسه عددا من الجماجم، وتحيط به أرواح الشر، حيث يمارس رقصة العبوس والضراوة، تلك الرقصة التي تنتهي بتحطيم العالم، وهكذا يمكن القول بأنه يمثل الدمار ويضع نهاية لكل شيء..)[١].

ويتابع بقوله: (وإلى جانب كل ذلك فإن شيفا يعتبر الدفعة الجارفة نحو التناسل الذي يتغلب على موت الفرد باستمرار الجنس، وهذه الحيوية الخلاقة الناسلة تمثلها الإلهة "شاكتي" زوجة شيفا، وتسمى في بعض الأوقات "كالي" وهي تعتبر أكثر أهمية من "لاكشمي" زوجة فيشنو، ويقول أتباعها أن قوة الآلهة تحولت لكي تتجسد في جسدها، فأصبح لها قوة منفردة، وبينما الإله الذكر ليس في حاجة إلى أن يعبد، إذ إن عبادته ليست عملية محبوبة في هذا العالم، فإن كالي تصبح مصدر القدسية والعظمة لكل المخلوقات، وعندما تكون كالي غاضبة فإنها ترقص في وحشية وترتعش فوق شيطان، وتصب نقمتها على المجرمين المذنبين. أما عندما تكون كالي راضية فهي في هذه الحالة تبدو سيدة جميلة شابة، تمنح الحب والتسامح والكرم، ويستطيع المتعبدون التقرب إليها بتقديم التضحيات ونحر الذبائح أمام معابدها، وهذه التضحيات كانت في أول الأمر بشرية، غير أنها اكتفت بعدئذ بضحايا الماعز. والإلهة كالي عند بعض الناس شبح أسود بفم فاغر ولسان متدل، تزدان بالأفاعي، وترقص على جثة ميتة، وأقراطها رجال موتى، وعقدها سلسلة من جماجم، ووجهها وثدياها تلطخها الدماء، ومن أيديها الأربعة يدان تحملان سيفا ورأسا مبتورا، وأما اليدان الأخريان فممدودتان رحمة وحماية، ذلك أنها أيضا إلهة الأمومة إلى جانب أنها رمز الدمار والموت، وفي وسعها أن تبتسم كما أن في مقدورها أن تقتل، ويقال: إنها هي وزوجها اتخذا أبشع صورة ممكنة لكي يلقيا الرعب في نفوس الرعاديد فيحتشموا، أو قد تكون هذه البشاعة كلها أريد بها أن تلقي الرعب في نفوس العباد فيجودوا بالعطاء للكهنة)[٢].

يقول غوستاف لوبون: (تُقسم المذاهب الكثيرةُ التي تتألّفُ البرهمية الجديدة أو الهندوسية من مجموعها إلى ديانتين سائدتين: ديانة شيوا وديانة وشنو، ويتألف الثالوث الهندوسي من هذين الإلهين الكبيرين اللذين يقدّس لهما الهندوسي التقيّ مع برهما العظيم.. ولم تحبط مجهودات براهمة الهندوس ومفكّريهم في ابتداع مذهبٍ توحيديٍّ فقط، بل حبطت أيضاً في جمع هذا الاحتياج الدائم إلى العبادة في إلهين كبيرين أو ثلاثة آلهة كبيرة)[٣].

---

(١) سليمان مظهر، **قصة الديانات**، ص٩٤- ٩٦.
(٢) المرجع السابق، ص٩٦- ٩٧.
(٣) غوستاف لوبون، **حضارة الهند**، ص٦٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع
عبادة الأصنام

كانت عبادة الآلهة عند الهندوس في البداية من غير أي اتصال شخصي مباشر بين العابد والمعبود، فظلت الآلهة في عليائها، لا يراها البشر ولا يلمسونها.

ثم أحدث العقل الهندي صورا تقرب الآلهة من البشر، حتى لا يشكل المرء في آلهته التي لا يراها، فصنعوا تماثيل يصور كل واحد منها واحدا من الآلهة المعروفة.

يقول الدكتور الأعظمي: (لا يُعرف بالتحديد العهد الذي ابتدأت فيه عبادة الأصنام في الهند، وقد وجد علماء الآثار مجموعة كبيرةً من الأصنام في حفريّات ((موهان جودور)) و ((هاروبا)) وأكثر هذه الأصنام عارية من اللباس، وفيه إشارة واضحة إلى أن النجاة لا تحصل ما دام الإنسان يعيش حياة دنيوية، وراغباً في الملذات والملابس.

كما أنه بمقابل ذلك، وُجدت أيضا أصنامٌ مزيّنة بأنواع من الألوان الجذابة، ومحلاة بأنواع من الحليّ والملابس، ولا شك أن هذه الأصنام من أعمال فرقة ((فشنو)) التي اهتمّت بالمظاهر الخارجيّةِ لجذبِ الناس إلى جماعتها.

وكذلك كانت عبادةُ الأصنام معروفة أيضاً بشكل الذكر والفرج ((لنج)) و ((يوني)) فإن ((سيفا)) وزوجته ((باروانتي)) رمزٌ للذكر والفرج، وخُلِقَ العالمُ بالتقائهما. فكان من الطبيعيّ أن يعبُدَ أهل الهند الذكرَ والفرجَ اللذين هما مصدر الخلق واستمرار الحياة على وجه الأرض...

ومن الأصنام التي اشتهرت عبادتُها في الهند ((ما ترى ديوي)) أي أرض الوطن... ويمجّد الفيدا عبادَتَها باسم الأرض، لأن الأرض هي أوّل مهدٍ تقوم برعاية الطفل، ثم يتّخذها الإنسان مستقرّاً له طيلة حياته.

ويجزم علماء الأديان، بأن الآريّين ما كانوا يعرفون عبادةَ الأصنام، فلما اختلطوا بأهل الهند بدأوا ينحتون لآلهتهم تمثالاً محاكاةً لأهل الهند، وبالتقاء الحضارتين - الحضارة الهندية القديمة، والحضارة الآريّة - ظهر مذهبٌ جديدٌ عُرف بالهندوسية، فنجد أحياناً غلبة آلهة الآريين وهم ((إندرا)) و ((ورون)) و ((أغنى)) على آلهة الهند وهم ((فشنو)) و ((سيفا)). وفي حينٍ آخر يغلب آلهة أهل الهند على آلهة الآريين، إلى أن جاء ((بوذا)) و ((مهابير سوامي)) قبل ميلاد المسيح بخمسة قرون، فأثرا على الهندوسية تأثيراً قويّاً، فصارت الهندوسية مزيجاً من اعتقادات الآريّين، وخرافات أهل الهند، وتعاليم بوذا، وطقوس مهابيرا)[1].

([1]) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٩٨- ٦٠٠. باختصار وتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول علي وافي: (وسرت إليهم كذلك عبادة الأصنام التي ترمز إلى الآلهة أو إلى الملائكة أو إلى الكواكب أو القديسين، وتفنّنوا في صنعها، ووضعوا لنحتها قواعد ومقاييس مضبوطة تختلف باختلاف ما ترمز إليه، وأعطوا لكلٍّ منها اسماً خاصّاً وتقرّبوا إليها بالصدقات والقرابين)[١].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس
عبادة البقر

يحترم الهندوس البقرة ويبجلونها أعظم تبجيل، حتى وصل الأمر إلى تقديسها وعبادتها. واحترام البقرة نابع من اعتقادهم أنها أكثر مخلوق من العجماوات يشقى في سبيل راحة الإنسان. ومن باب الشعور بالجميل نحوها أفاض عليها الفلاح الهندوسي قدرا عظيما من الحماية، وتطورت تلك الحماية، حتى اكتسبت لونا من ألوان الاحترام العميق، الأمر الذي لا نجد له شبيها في أي دين من أديان العالم الأخرى. وجميع طبقات الهندوس تقدس البقرة.[١]

يقول علي وافي: (وقد سرت صفة القداسة عندهم مع تقادم العهد إلى بعض الأنهار والجمادات وبعض الحيوانات، وعلى الأخص فصيلة البقر، التي يُنزلونها منزلة كبيرة من القداسة تقرُبُ من درجة العبادة، ويحرّمون ذبحها، ويعتبرون التعرّض لها بالأذى من أكبر الجرائم)[٢].

ويقول سليمان مظهر: (والبقرة أكثر الحيوان قدسية عند الهندوسي، فلها تماثيل في كل معبد ومنزل وميدان، وهي تتمتع بحرية مطلقة في ارتياد الطرقات كيف شاءت، ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها أو يستغل جلدها في أي صناعة من الصناعات، وهي إذا ماتت وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين)[٣].

وكان للبقرة من بين الحيوانات قدسية خاصة حظيت بأسمى مكانة من بين المعبودات الهندية، وهي لا تزال حتى الآن تحتفظ بهذه القدسية. وقد ألف في تقديسها نشيد خاص جاء فيه:

((أيتها البقرة لك التمجيد والدعاء في كل مظهر تظهرين فيه،

أنثى تدرين اللبن في الفجر وعند الغسق،

أو عجلا صغيرا أو ثورا كبيرا،

فلنعد لك مكانا واسعا نظيفا يليق بك، وماء نقيا تشربينه،

لعلك تنعمين بيننا بالسعادة))[٤].

ويقول الأعظمي: (حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانةٍ وأرفع درجةٍ وأعلى منزلةٍ؛ لأنها كانت من أغلى ثروات الآريين، وكانوا في حاجةٍ إلى العطف عليها وتربيتها، لأنها تُدرّ لهم فوائدَ كثيرةً، فوضعوا في كتابهم المقدّس أبياتاً لتمجيدها، ففي ((ريج فيدا)):

---

(١) انظر: عبد الرزاق محمد أسود، **موسوعة الأديان والمذاهب**، ط٢، ٣م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠م، م١، ص٥٢.

(٢) علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٨٦.

(٣) سليمان مظهر، **قصة الديانات**، ص٩٨.

(٤) انظر: عبد الرزاق محمد أسود، **موسوعة الأديان والمذاهب**، م١، ص٥٢. نقله عن: أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ط٣، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٠. ولم أجده في الطبعة التي بين يدي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

((إن البقرة أم الأبطال الذين يقهرون الأعداء، وهي ابنة الإله، وأخت أبناء "آدت" (اسم الإله) ومركز للحياة، فإني أطلب من الرجال الغيورين عدم ذبحها)).

((إن الذي يضرب البقرة برجله يستحق العقاب)).

((نحن جعلنا البقرة مصدراً للعلم، والأبقار تقوم بخدمة "الإندرا"))...

وكان أحد أبطالهم وهو ((كرشنا)) شغوفاً بها؛ فكان يرعاها، ولُقب بـــ ((كوبال)) أي (مربّي البقر).

وأحبّ الصدقات إلى الهندوس صدقة البقرة، بل إن الصدقة بالبقرة تُعتبر من أقدس الصدقات في المناسبات الدينية وعند الزواج. وقد كان غاندي من أكبر الدعاة إلى عبادة البقرة وتقديسها ومنعها من الذبح من قِبل المسلمين، وكان يثير حماسة الهندوس بقوله: "الديانة الهندوسية ستبقى على وجه الأرض ما دام الهندوس يحافظون على البقرة")[١].

ويقول أديب صعب: (ويؤمن بعض الهندوس بقداسة البقرة، ومن هؤلاء غاندي الذي قاد حملة لحماية البقر. وقد اعتبر البقرة "رمزا لكل العالم الواقع تحت سلطة الإنسان الذي يستطيع من خلال البقرة، أن يكتشف وحدته مع كل شيء حي" وفي نظر غاندي أن "حماية البقرة تعني حماية كل خليقة الله غير الناطقة")[٢].

ويقول غاندي: (إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند للعالم، وهي إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان. والفكر الهندي يعتقد أن البقرة أم للإنسان، وهي كذلك في الحقيقة. إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي، وهي خير حماية للهند)[٣].

وينقل عمر الأشقر عن غاندي زعيم الهند قوله: (عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيوانا، لأني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع) وقوله: (وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين، وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما، ولا تطلب منا شيئا مقابل ذلك سوى الطعام العادي..). ثم قال الأشقر: (ومضى عابد البقر يقارن بين أمه البقرة وأمه الحقيقية موردا الحجج والبراهين على أفضلية أمه البقرة على أمه الحقيقية إلى أن قال: "إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أعد نفسي واحدا من هؤلاء الملايين"..)[٤].

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٠٠- ٦٠١. باختصار.

(٢) أديب صعب، **الأديان الحية**، ص٣٨.

(٣) انظر: عبد الرزاق محمد أسود، **موسوعة الأديان والمذاهب**، م١، ص٥٢. نقله عن: أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ط٣، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٢. ولم أجده في الطبعة التي بين يدي.

(٤) عمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، ط٨، دار النفائس، عمان، ١٩٩٩م، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

النصوص الدالة على توحيد وتنزيه الله تعالى

التوحيد: في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد[١].

والتوحيد في اليونانية مشتق من لفظي: "مونو" ومعناه الواحد، و"تيوس" ومعناه الله.

و: "وحّد" الشيء، جعله واحدا، و: "وحّد" الله سبحانه، أقر وآمن بأنه واحد، فالتوحيد إذن هو الإيمان بإله واحد لا شريك له.

وله فرعان: الأول: هو أن الله تعالى واحد لا يوجد في ذاته تغير ولا كثرة، وليس له أجزاء تجتمع فيتقوم منها، بل هو واحد من جميع الوجوه.

الثاني: هو أن الله واحد لا شريك له، مباين للعالم ومدبر له، لأن الوجود الذي يوصف به لا يمكن أن يكون لغيره..[٢] لذلك قيل بأن التوحيد هو معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة[٣].

ومعنى الوحدانية أن للحق سبحانه وتعالى كمالا لا يشاركه فيه غيره، وأنه منفرد بالإيجاد والتدبير بلا واسطة ولا معالجة، وأنه لا مؤثر سواه[٤]. والمراد به نفي القسمة عن ذاته واستحالة التبعض والتجزئة في صفته، وعدم مشاركة الغير في صفات الوجود[٥].

وباختصار هو نفي التعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال[٦].

وهو في اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان[٧].

أما **التنزيه** فهو التبرئة، وتنزيه الله يعني تبرئته من السوء، ونزهت عرضي: برأته من العيب[٨]. وهو عبارة عن تبعيد الرب عن أوصاف البشر[٩].

---

(١) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص١٣٣.
(٢) انظر: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، م١، ص٣٦٠.
(٣) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص١٣٣.
(٤) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، م١، ص٣٦١.
(٥) **شرح المصطلحات الكلامية**، ص٣٩٠.
(٦) قحطان عبد الرحمن الدوري، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط١، دار العلوم، عمان، ٢٠٠٧م، ص٢٧٠. وانظر: **شرح المصطلحات الكلامية**، ص٨٦- ٨٧.
(٧) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص١٣٣.
(٨) المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١ هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١، (تحقيق: محمد رضوان الداية)، دار الفكر، بيروت - دمشق، ١٩٩٠م، ص٢٠٩.
(٩) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سأحاول في هذا المبحث معرفة أصول هذه الديانة في بداياتها، وعلى أصل وتاريخ ظهور العقائد الفاسدة الكثيرة التي تشوبها بصورتها التي نعرفها اليوم، وهل هذه العقائد الباطلة هي من أصول الديانة أم أنها دخيلة على الديانة طرأت عليها فيما بعد؟ فإذا استطعت أن أجد ما قد يشير من بعض النصوص الهندوسية القديمة إلى توحيد أو تنزيه للباري سبحانه، أو معارضة لتلك العقائد الفاسدة الكثيرة من كلام الهندوس أنفسهم، فنكون قد توصلنا إلى حقيقة جديدة جديرة بالانتباه والتأمل.

ولقد اعترف الباحثون بوجود (خلاف حول إسناد دور لأنبياء التوحيد السماوي في حياة الهنود، ما بين معارض لهذا الدور، ومؤيد له، وقائل بأصل سماوي انحرفت عنه الهندوسية، ومتوقف في أمر الخلاف لا يجزم بالأصل السماوي التوحيدي، ولا ينفي - في الوقت نفسه - ذلك الأصل السماوي التوحيدي للديانة الهندوسية)[١].

ومن أهم مصادر هذه المعلومات عن ديانة الهند، الكتب التي نقلت من أسفار الهندوس الأصلية ومن لغتها السنسكريتية القديمة، وترجم أصحابها هذه النصوص إلى لغة نعرفها ونفهمها اليوم كالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية مثلا.

وسيكون أهم مصدر لي في دراستي هو كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة" للإمام والفيلسوف الإسلامي الشهير أحمد بن محمد أبي الريحان البيروني الخوارزمي[٢] فقد أتقن هذا الرجل لغتهم ودرس كتبهم وأخذ عنها مباشرة ودون واسطة، وقد كان أمينا في النقل والترجمة منصفا، كما قال الباحثون، فقد قال فيه الأستاذ إحسان عباس[٣] في معرض حديثه عن دراسة البيروني للأدب اليوناني: (ويختلف البيروني عمن سبقه اختلافا جوهريا، لعله من أثر اطلاعه على أساطير يونان والهند،

---

(١) عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٦٠. وقد أحال إلى: محمد العلي، **الهندوسية: عرض ونقد**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٨هـ، م١، ص٢٣٨- ٢٥٥. وقد بحثت عنها ولم أجدها.

(٢) البيروني (٢٦٢ - ٤٤٠هـ = ٩٧٣ - ١٠٤٧م) أحمد بن محمد أو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني السندي الهروي الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، حكيم، فلكي، طبيب، أديب، لغوي. من أهل خوارزم. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره. وصنف كتبا كثيرة جدا، متقنة، وياقوت مكثر من النقل عن كتبه، منها "الآثار الباقية عن القرون الخالية - ط" ترجم إلى الانجليزية، و "تاريخ الأمم الشرقية - ط" و "تاريخ الهند - ط" ترجم إلى الانجليزية في مجلدين، و "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة - ط". الزركلي، **الأعلام**، م٥، ص٣١٤.

(٣) إحسان عباس: عميد المحققين العرب في النصف الثاني من القرن العشرين، تناول التراث العربي بالتحقيق والتدقيق والنشر والتعليق وكل طرق المراجعة والضبط زهاء ستين عاما وقد حقق مجموعة من أهم وأروع كتب التراث العربي كما كانت له إسهامات في حقل الترجمة حيث ترجم إلى العربية يقظة العرب لجورج أنطونيوس والنقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمن بالاشتراك مع محمد يوسف نجم، ودراسات في الأدب العربي لفون جرونباوم والرواية الشهيرة "موبي ديك" وفن الشعر لأرسطو والعديد من الكتب الهامة وكتب العديد من المقالات، وانتدب للمشاركة في عشرات المؤتمرات والندوات العالمية، وعين مستشارا لعدد من الجامعات العربية والإسلامية. انظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki
http://www.awu-dam.org/dalil

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإجراء المقارنات بينهما، وذلك أنه **لم يحاول أن يسخر حكمة اليونان وأدبهم، أو يحورهما، في سبيل خدمة التوحيد** إلا قليلا... أما من عداه، فإنهم لخضوعهم لفكرة التوفيق بين الدين والفلسفة سارعوا إلى إكساب المفهومات اليونانية معان إسلامية توحيدية، ذلك شيء يكاد يكون عاما في الفلسفة، غير أنه امتد أيضا إلى الأدب نفسه... **ثم إن إتقان البيروني للغة السنسكريتية منحه بعدا جديدا في النظر**، فهو شغوف بإجراء المقارنات بين الهنود واليونان والعرب، كلما وجد إلى ذلك سبيلا..)[١].

وهذا الرجل متميز جدا، إذ هو يترجم ترجمة مباشرة من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية بصياغة قوية وواضحة في الغالب، وتمكنه من الفلسفة الهندية شهد به جميع من كتب عنه وعن رحلته إلى الهند، قال عنه عمر رضا كحالة: (سافر إلى بلاد الهند ومكث فيها عدة سنين، وتبحر في الحكمة اليونانية والهندية)[٢]. وهو أكبر دارسي الهندوسية وأهمهم[٣].

وصفه أحد الباحثين بقوله: (وهو عالم عظيم من علماء الفلك والهيئة، ورحالة شهير لم يشهد التاريخ من أمثاله إلا قليلا جدا. والهند تدين له بالكثير ولن تنسى فضله على الفكر الهندي، حين وصف الهند وصفا دقيقا من الناحية العلمية والأدبية والدينية. وكتابه العظيم "تحقيق ما للهند" يعتبر مصدرا هاما في الدراسات، بحيث لا يوجد له مثيل حتى في اللغات الهندية)[٤].

وقال الشيخ سعيد حوى بأن البيروني هو من أشهر من تتبع الديانة البرهمية بحق وفهمٍ ودراسةٍ لنصوصها. وهو حجة فيها بإجماع.[٥]

وهو أول من نقل عن الهندوس مباشرة ودون واسطة، فقبله لم يعرف المسلمون إلا النزر اليسير عن فكر تلك البلاد، وإن عرفوا شيئا فهو مشكوك في دقته وصحته.

يقول علي عبد الواحد وافي: (..ومن أجل ذلك ظلت هذه الكتب مجهولة للعلماء حتى القرن العاشر الميلادي، وفي أواخر هذا القرن، استطاع العلامة أبو الريحان البيروني.. أن ينقل إلى العربية طائفة كبيرة من محتويات الـــقـــيدا (وجرى على تعريبها بكلمة "بيذ") في كتابه الشهير ((تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة)) وذلك أنه ذهب في سن مبكرة إلى بلاد الهند، مرافقا للسلطان محمود الغزنوي، في حملاته وغزواته، وعكف هناك على دراسة اللغات الهندية القديمة والحديثة، وعلى دراسة آداب الهنود وثقافتهم حتى أتقنها جميعها، واستطاع بفضل ذلك أن ينقل في كتابه القيم المشار إليه أهم ما

---

(١) إحسان عباس، **ملامح يونانية في الأدب العربي**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م، ص٣٢- ٣٣ باختصار.

(٢) عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية**، دط، ١٣م، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، م٨، ص٢٤١.

(٣) عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص١٧.

(٤) محمد إسماعيل الندوي، **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**، ط١، دار الفتح، بيروت، دت، ص١٢٨، ١٣٥.

(٥) سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، م٢، ص٨٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتعلق بأسفار الـــقـــيدا وشروحها... **فكان كتابه هذا أول مفتاح لدراسة هذه الأسفار، وأول كاشف لأسرارها)**[١].

وبذلك نضمن أمانة البيروني في الترجمة وعدم تحريف الكلم عن مواضعه، وهو العالم التقي الذي وثقه العلماء والأمراء وأثنوا عليه خيرا[٢]، نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا. ولهذا فسأعطي كتابه وكلامه ونقوله الأهمية القصوى، وسأعلق على كلامه بقدر المستطاع.

١ - رأي البيروني:

يقول الإمام البيروني عن عقيدة الهندوس في الله تعالى، ناقلا من كتبهم، حاكيا عنهم مباشرة: (واعتقاد الهند في الله سبحانه؛ أنه **الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء**، المختار في فعله، القادر الحكيم، الحي المحيي، المدبر المبقي، **الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء)**[٣].

فهذا نص صريح، بأن الهنود يؤمنون بوحدانية الله تعالى، وبأزليته أيضا، وأنه تعالى ليس كمثله شيء، بل هو سبحانه مخالف للحوادث، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء من مخلوقاته، وهذا قمة التنزيه.

ويوثق البيروني كلامه - ناقلا عن كتبهم - فيقول: (ولنورد في ذلك شيئا من كتبهم؛ لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط:

((قال السائل في كتاب "باتنجل"[٤]: من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته؟

قال المجيب: **هو المستغني بأوليته [أو: بأزليته] ووحدانيته عن فعل** لمكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى، أو شدة تخاف وتتقى، والبريء عن الأفكار، لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة، والعالم بذاته سرمدا، إذ العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلوم، وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما أو حال))[٥].

فماذا بعد هذا النص المليء بالتنزيه؟! ولاحظ جيدا أن الحديث هو عن واحد أحد، لا يضم إلى ذكره أحدا غيره.

((ثم يقول السائل بعد ذلك: فهل له من الصفات غير ما ذكرت؟

---

(١) علي وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٧٨- ١٧٩.
(٢) انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، م٨، ص٩١- ٩٢.
(٣) البيروني، أبو الريحان أحمد بن محمد، أو محمد بن أحمد، السندي الهروي الخوارزمي، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، دط، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، إعادة طبع في عالم الكتب، بيروت، ١٩٥٨م، ص٢٠.
(٤) وكتاب "**باتنجل**" كان تأليفه في القرن الثالث بعد الميلاد. وهذا هو اسم المؤلف، أما الكتاب نفسه فاسمه: "يوجا سوترا" انظر: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٠٧.
(٥) البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة**، ص٢٠- ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول المجيب: **له العلو التام، في القدر لا المكان؛ فإنه يجل عن التمكن**، وهو الخير المحض التام الذي يشتاقه كل موجود، وهو العلم الخالص عن دنس السهو والجهل))[١].

وهاهنا نفي المكانية عن الله تعالى، وهي منقبة عظيمة لهؤلاء الناس، الذي اعتقدوا أن الله تعالى يجل عن المكان، بل علوه علو قدر ومكانة، على قول طائفة من علماء الإسلام.

((قال السائل: أفتصفه بالكلام أم لا؟

قال المجيب: **إذا كان عالما، فهو لا محالة متكلم**.

قال السائل: فإن كان متكلما لأجل علمه؛ فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم؟

قال المجيب: الفرق بينهم هو الزمان، فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين، ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم، فكلامهم وإفادتهم في زمان، **وإذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال؛ فالله سبحانه عالم متكلم في الأزل**))[٢].

وهاهنا نفي الزمانية عن الله تعالى أيضا، أي أنه تعالى لا يخضع لقوانين الزمن ومستلزماته. تأمل أخي القارئ مثل هذا النص الرائع الذي لا يختلف عن كلام أهل السنة في الاعتقاد في الباري سبحانه وتعالى. فالله ما دام عالما فهو لا شك متكلم لكي يستطيع الناس معرفة ما يريده سبحانه من الحق والأمر والنهي. وهو سبحانه متكلم في الأزل، فليس هناك صلة بين الباري وبين الزمن المخلوق الذي يجري على المخلوقات.

((وهو الذي **كلم "براهم" وغيره من الأوائل على أنحاء شتى، فمنهم من ألقى إليه كتابا، ومنهم من فتح لواسطة إليه بابا، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ما أفاض عليه**))[٣].

فهو سبحانه متكلم، يوحي بكلامه إلى الأنبياء ليرشدوا البشر إلى الصراط المستقيم. فهنا إثبات للوحي والنبوة أيضا.

((قال السائل: فمن أين له هذا العلم؟

قال المجيب: **علمه على حاله في الأزل**، وإذ لم يجهل قط؛ فذاته عالمة لم تكتسب علما لم يكن له، كما قال في "بيذ"[٤] **الذي أنزله على براهم**: احمدوا وامدحوا من تكلم ببيذ وكان قبل بيذ))[٥].

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة**، ص٢٠- ٢١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) وهو كتاب "**الفيدا**" أو "**الويد**" ذاته.
(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا أيضا إثبات للوحي وإنزال الكتاب على من اصطفاهم سبحانه من البشر، فالله قد تكلم بهذا الكتاب، وكان قبله، أي قبل إنزاله للبشر، أو قبل التكلم به.

((قال السائل: كيف تعبد من لم يلحقه الإحساس؟

قال المجيب: تسميته تثبت إنيته، فالخبر لا يكون إلا عن شيء، والاسم لا يكون إلا لمسمى، **وهو وإن غاب عن الحواس فلم تدركه، فقد عقلته النفس وأحاطت بصفاته الفكرة**، وهذه هي عبادته الخالصة، وبالمواظبة عليها ينال السعادة))[١].

وهنا أيضا نفي أية صلة بين المعبود والحس، فهذا قمة التنزيه الصريح. وهو يؤيد كلام علماء المسلمين الذين نصوا على أن الله تعالى يستدل على وجوده وعلى صفاته بالعقل والتفكر، وبالوحي المحفوظ عن الخطأ والتحريف.

ويختم البيروني كلامه قائلا: (فهذا كلامهم في هذا الكتاب المشهور)[٢].

وينقل البيروني عن كتاب آخر، قائلا: (وفي كتاب "كيتا"[٣] وهو جزء من كتاب "بهارت"[٤] فيما جرى بين "باسديو" وبين "آرجن": **(إني أنا الكل من غير مبدأ بولادة أو منتهى بوفاة، لا أقصد بفعلي مكافأة ولا أختص بطبقة دون أخرى لصداقة أو عداوة**، فقد أعطيت كلا من خلقي حاجته في فعله، فمن عرفني بهذه الصفة وتشبه بي في إبعاد الطمع عن العمل انحل وثاقه وسهل خلاصه وعتاقه..))[٥].

وهذا أيضا تنزيه للباري سبحانه عن الميلاد والوفاة وعن المصلحة والغاية، فهو الغني سبحانه، المستغني عن خلقه.

وقال في هذا الكتاب: ((أكثر الناس يلجئهم الطمع في الحاجات إلى الله، وإذا حققت الأمر لديهم وجدتهم من معرفته في مكان سحيق..))[٦].

تأمل في هذا القول، ألا يتفق مع قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة**، ص٢٠- ٢١.
(٢) المرجع السابق، ص٢١.
(٣) وكتاب "**الكيتا**" هو نفسه "الغيطا" أو "البهغفض غيطا" أو "نشيد المولى".
(٤) وكتاب "**بهارت**" وهو المعروف باسم "**ملحمة المهابهارتا**" صنف قبل الميلاد بثلاثمائة سنة. انظر: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٤٨. وقيل بأنه قد صنف على امتداد ثمانية قرون بين العامين ٤٠٠ قبل الميلاد و٤٠٠ بعده. وأن "الغيطا" قد ضم إلى ملحمة المهابهارتا في القرن الميلادي الأول. انظر: أديب صعب، **الأديان الحية، نشوؤها وتطورها**، ص٣٦.
(٥) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٢١- ٢٢.
(٦) المرجع السابق، ص٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٢]..؟

ثم فسر سبب هذا الجهل بقوله: **((لأن الله ليس بظاهر لكل أحد يدركه بحواسه، فلذلك جهلوه؛** فمنهم من لم يتجاوز فيه المحسوسات، ومنهم من إذا تجاوزها وقف عند المطبوعات، **ولم يعرفوا أن فوقها من لم يلد ولم يولد ولم يحط بغير [أو: بعين] إنيته علم أحد، وهو المحيط بكل شيء علما))**[٣].

وهذا نص واضح في التوحيد والتنزيه، ونفي الولد والوالد والشريك.

والسؤال هو: من أين أتت هذه العبارة؟ إن قلنا أن هذا الكتاب قد يكون متأثرا بديانة سماوية توحيدية! فالجواب أنه قد صنف قبل الميلاد.

وإذا زعم أحدهم أن الكتاب قد دس فيه، أو أن التأثر بديانات التوحيد قد حصل متأخرا، ثم أضيفت هذه العبارات إلى هذا الكتاب. فنقول: عند هذه النقطة لا يسلم لنا كتاب في الأرض، فاحتمالية الدس والتحريف والزيادة واردة على كل كتاب مما خط البشر بأيديهم، حتى على الكتب المنزلة التي لم يتكفل الله بحفظها، حاشا من ذلك كله القرآن الكريم، فهو كتاب محفوظ غير قابل للتحريف أو الزيادة أو النقصان، وهو زعم يحتاج دليلا قويا أيضا، فالهندوس قبل "كبير" والسيخ وحتى قبل القرن الثالث عشر للميلاد[٤] لم يكن أحد منهم يبالي بالإسلام ولا بالتقريب بينه وبين الهندوسية، والبيروني ألف كتابه بين الأعوام (٩٧٣ - ١٠٤٧) للميلاد، فغير مقبول القول بأن الهندوس السابقين له كانوا قد حرفوا نصوصهم لإرضاء المسلمين مثلا أو للتقريب بينهم وبين الهنود، ونحن نعلم شدة تمسك الهندوس بديانتهم وبغضهم للإسلام والمسلمين، زيادة على أن كثيرا من التيارات الإسلامية في الهند هي صوفية متأثرة بالهندوسية، وبعضها قريب الشبه بالتصوف الهندوسي، فالمسلمون الهنود هم الذين تأثروا بالهندوسية وليس العكس، وهذا دافع قوي لتحريف المفاهيم الإسلامية لا العكس، فاحتمالية الدس وتغيير النص للتقرب من المسلمين بعيد وضعيف. ثم إن من يدعي التحريف عليه بالدليل والأصل عدمه.

وإذا قلنا بأن البيروني - بحكم بيئته الإسلامية، ولغته العربية - قد أخطأ العبارة في الترجمة واستخدم مصطلحات الإسلام والتوحيد، والنص لا يحتمل مثل هذه المعاني، فنقول: أولا: من يستطيع منا اليوم أن يجد هذا النص السنسكريتي القديم ويقوم بترجمته ترجمة أدق من ترجمة البيروني له لكي نستطيع معرفة

---

(١) سورة يونس، آية: ٢٢- ٢٣.
(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦٥.
(٣) المرجع السابق.
(٤) يقول أديب صعب بأن طبقة القديسين قد نشأت في القرن الثالث عشر وتأثرت بالأديان التوحيدية. انظر: أديب صعب، **الأديان الحية، نشوؤها وتطورها**، ص٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعنى الدقيق الذي أراده النص؟! ثم إن هذا الكلام يفقدنا الثقة في كل ترجمة قد نعود إليها في أبحاثنا ودراساتنا، ويلزم كل واحد منا الرجوع إلى اللغة الأصلية ودراستها وإتقانها إتقانا تاما، بل أن يصبح متقنا لها كأهلها، كي يستطيع التوصل إلى المعنى الدقيق للنصوص، والترجمة الدقيقة التي لا يداخلها الخطأ ولا الوهم، خاصة وأن المجاز والكناية والاستعارات موجودة في كل لغة من لغات الأرض. وهذا أمر مستحيل، ويلزم منه أن لا ينقل الواحد إلا كلام أهل لغته فقط، ثم ما أدرانا أن هذا الباحث أو ذاك، من الذين أتقنوا تلك اللغات، ستكون ترجمتهم دقيقة متجردة لا تتأثر بالبيئة التي عاشوا فيها، أو بالعقيدة التي يحملونها؟! فإذا سلمنا لأي واحد منهم بدقة ترجمته، فالبيروني أحق بهذا، ولا بد أن نسلم له، من باب أولى، فما الفرق بين الباحث وبينه؟ وهو الذي شهد له القاصي والداني بالإنصاف وبإتقان اللغة السنسكريتية، فإذا شككنا بدقة ترجمته فغيره من باب أولى. والله أعلم.

فهل على من يريد أن يكتب عن الكونفوشية أو الفرعونية مثلا أن يتقن الصينية القديمة والحديثة أو الهيروغليفية مثلا؟! هذا ما لا يقوله عاقل أبدا.

فالوثوق بالبحوث والدراسات والترجمات هي من باب الظن الراجح فقط، فإن لم نسلم ونثق بما يكتبه الباحثون والعلماء هنا وهناك، فلن يكون هناك بحث علمي أبدا، ولزمنا التشكيك في كل ما نقرأه عن الثقافات الأخرى.

والبيروني ذاته قد صرح بأنه اجتهد قدر المستطاع في أن ينقل لنا المعنى الدقيق للنص الهندي بكلمات عربية مفهومة وواضحة، يقول في هذا الشأن: (ونحن نحكي أقاويلهم في ذلك بحسب ترجمتنا، فإن خالفت الألفاظ ما جرت عليه العادة، فليعتبر بها المعاني، فإنها المطلوبة..)[١].

ثم لماذا نثق بما يقوله الشهرستاني - مثلا - أو غيره، من أن البراهمة ينفون النبوة - على سبيل المثال - من غير تشكيك أو مطالبة بالنص الهندي الأصلي، ومن غير تردد في قبول كلامه الذي لا نعلم مصدره أصلا؟! ومن الذي قد ترجمه وأوصله إلى الشهرستاني بهذه الصيغة وبهذا المعنى؟! فإذا سلمنا للشهرستاني الذي لم يعش في الهند ولم يتقن لغتهم، فالتسليم للبيروني من باب أولى أيضا.

يعلق البيروني على الكلام السابق الذي نقله بقوله: (فهذا قول خواصهم في الله تعالى، ويسمونه "ايشفر" أي **المستغني الجواد الذي يعطي ولا يأخذ، لأنهم رأوا وحدته هي المحضة**، ووحدة ما سواه بوجه من الوجوه متكثرة، ورأوا وجوده حقيقيا، لأن قوام الموجودات به)[٢].

فينص هنا على أن الخواص من العلماء والأحبار والربانيين يعتقدون بتنزيه الله تعالى عن كل نقص أو احتياج، فهم الذين عندهم علم الكتاب.

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٢٢١.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتابع بقوله: (ثم إذا تجاوزنا طبقة الخواص من الهند إلى عوامهم، اختلف الأقاويل عندهم، وربما سمجت، كما يوجد مثله في سائر الملل، بل وفي الإسلام، من التشبيه والإجبار..)[١].

والبيروني هنا بين ولم يبهم، وفصل ولم يجمل، فكلامه غاية في الإنصاف والدقة، فهو يقول: الخواص - وهم عادة القلة القليلة في كل مجتمع - موحدون منزهون للباري سبحانه، أما العوام - وهم السواد الأعظم والجمهرة العظمى - تختلف ألفاظهم واعتقاداتهم، حتى تصل إلى أرذل وأحط الاعتقادات من التشبيه والتجسيم وقياس الغائب على الشاهد.

وهذه التصورات الحسية العامية لربما انتشرت واستفحل أمرها بين الناس حتى طغت على العقيدة الأصلية الحقة.

فالمهم أن العقائد الفاسدة والوثنية إنما تكون عند العوام وعلماء السوء دوما، أما علماء الحق فإنهم دائما ثابتون على العقيدة الصحيحة البعيدة عن الضلال، وإن كانوا قلة قليلة، فهذا لا يعيبهم.

وقد تابع البيروني على هذا التفصيل البديع والتفريق بين مذاهب العامة ومذاهب الخاصة في الاعتقاد جمهرة من علماء الأديان والدارسين المحدثين الغربيين والشرقيين. كان من أبرز الغربيين الألماني جون هاردون في كتابه الموسوعي: "الله في ديانات العالم" فقد تناول معتقد الهندوس في الألوهية في مبحثين: الأول عن العامة، والثاني عن المفكرين والمثقفين[٢]. وقد تطورت هذه الرؤية لدى بعض الباحثين المعاصرين إلى التعميم والقطع بأن الهندوسية ديانة توحيد، بل ونواة التوحيد في العالم[٣].

وينقل البيروني من نصوصهم أيضا قائلا: (ففي كتاب "بشن"[٤] دهرم": إن "بريكش" الملك الذي من نسل "بركك" سأل "اشتانيك" رئيس جماعة من الحكماء حضروه عن معنى من المعاني الإلهية؟ فأجابه بأنه لا يقول فيه إلا ما سمعه من "شونك" وهو عن "اوشن" وهو عن "براهم": **إن الله هو الذي لا أول له ولا آخر، لم يتولد عن شيء ولم يُولِّد شيئا**، إلا ما لا يمكن أن يقال إنه هو، ولا يمكن أن يقال إنه غيره)[٥].

وهذا أيضا نص صريح في تنزيه الله تعالى عن البدء والانتهاء، وعن الولد والوالد، ويوافق هذا النص قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[٦] وقوله جل شأنه: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾[٧].

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة**، ص٢٣.
(٢) انظر: عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص١٨.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص١١٧- ١١٨. وأحال إلى: هاشم الدفتردار ومحمد علي الزغبي، **الوحدة الدينية في العالم: البراهمة**، دط، دار الإنصاف، بيروت، ١٩٤٨م، ص١٧، ٣٣- ٣٤.
(٤) "بشن" هو ذاته "فيشنو" الإله الحافظ، وهذه هي ترجمة البيروني للاسم السنسكريتي.
(٥) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٥٨.
(٦) سورة الحديد، آية: ٣.
(٧) سورة الإخلاص، آية: ٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإلى هنا ننتهي من كلام البيروني في عقيدة الهنادكة في ذات الله تعالى، وهي نقول وتحليلات دقيقة، وعاها رجل عالم عاش بين أهلها وعاشرهم فترة مكنته من فهم مغزى كلامهم.

ثم نجد كثيرا من الباحثين المعاصرين، قد أيدوا البيروني فيما ذهب إليه، ونصوا على أن البراهمة يعتقدون بوحدانية الله تعالى، وأن بعض كتبهم قد أشارت إلى عقيدة التوحيد، بقوة حازمة تارة، وبتلميحات باهتة مترددة تارة أخرى.

وسننقل كلام الباحثين من مسلمين وغربيين وهندوس في هذا الموضوع، بعد أن ننقل اعتراض الشيخ الإمام محمد أبو زهرة على كلام البيروني السابق ونعلق عليه.

٢ - رأي الشيخ محمد أبو زهرة:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة، مناقشا البيروني فيما ذهب إليه: (هذا كلام البيروني، **كله ناطق بأن خواص الهنود موحدون، وعوامهم وثنيون**، ولنا نظرة في كلامه، وذلك أنه في الاستدلال لدعواه نقل نصوصا من كتبهم، وأن هذه لا تمنع أنه يوجد في الكتب ما يناقضها، ففيها ما يشير إلى الأقانيم الثلاثة التي سنبينها، ففي هذه الكتب عبارات تفيد وحدة الإله المسيطر، بينما فيها ما يفيد التثليث أيضا، **ويجب أن يفهم هذا محمولا على ذلك، ليتكون منهما وحدة مؤتلفة الأجزاء، مترابطة الأفكار**، فإذا فسرنا الوحدة إذن بما يتفق مع عقيدة التثليث والحلول التي سنبينها، لا تكون فكرة التوحيد التي نقل عبارتها مفيدة لمعنى التوحيد الذي يفهمه المسلمون.

ولو سلمنا أن الكتب التي نقل عنها لا يفسر فيها التوحيد إلا بالمعنى الذي نفهمه معاشر المسلمين، وما تدل عليه ظواهر عبارتها، **فمن أين جاء لنا أن الخواص لم ينحرفوا عن مسلك تلك الكتب؟** وإنك لتجد في التوراة التي يقرؤها اليهود اليوم عبارات وأحكاما دينية قد تجانف عنها اليهود جميعا اليوم، خواصهم وعوامهم في ذلك سواء، ولو كان قد حكى لنا أخبارا عن موحدي الخواص الذين لقيهم وشاهدهم وتحدث إليهم، وحاورهم وعرف حقيقة نحلتهم لتلقينا كلامه بالقبول، ولصدقناه في كل ما يدعي من توحيد الخواص، **أما نقل نص الكتب فليس بكاف لإثبات أن الانحراف لم يقع**، فإن الانحراف عن المبادئ الدينية إذا وقع شمل الخواص والعوام، بل في بعض الأحيان يبدأ بالانحراف والتغيير من يكون في مرتبة الخواص، وأن الفرق التي ضربها في الإسلام مثلا - وهم المشبهة والجبرية - حجة عليه، وليسوا حجة له، فإن أولئك لا نستطيع أن نقول: إنهم من العوام، بل هم في مرتبة الخواص، لأن منهم من كان ذا فلسفة وذا علم، لهذا كله لا نستطيع أن نسلم للبيروني دعواه، لأن ما ساقه من الأدلة لا ينتجها، **وليس بطلان الدليل مستلزما بطلان المدلول، فيجوز أن يكون فيهم موحدون يعتقدون التوحيد كما يعتقد المسلمون**، ولكن ما ساقه من دليل لا يصلح أن يكون حجة في هذا المقام، **ويظهر على أية حال أن موحديهم (إن**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانوا) من الندرة بحيث لا يمنعون تعميم الحكم بالوثنية على البرهميين، لأن الحكم يتبع الغالب الشائع، ولا يتبع القليل النادر)[١].

هذا هو كلام الشيخ الإمام في هذا المجال، ومناقشتي له لن تكون حول ما اعترض به، فهو مسلم له، ولكنني سأصب اهتمامي وأوجه أنظار القارئ وألفت انتباهه إلى مسألة مهمة جدا مرت في كلام الإمام، وهي حجة لي ولفرضيتي، فهو يقول صراحة بأنه من المحتمل المستساغ وجود التوحيد الصحيح في الكتب دون الواقع، وهذا التسليم الجدلي كاف تماما بالنسبة لي، فإذا استطعنا أن نظن - مجرد ظن - بأنه قد يكون هناك عقيدة سليمة في الكتب الهندوسية، فإن هذا الظن يهدم المسلم عند الجميع بأن الديانة لا توحيد فيها، وأن كل عقائدها ونصوصها شركية، إذ هذا التوحيد ماثل بين أيدينا لا يسعنا تجاهله.

وقول الإمام: (أما نقل نص الكتب فليس بكاف لإثبات أن الانحراف لم يقع..) ومقارنة الانحراف الهندوسي عن النصوص بالانحراف اليهودي عن التوراة ونصوصها السليمة هو تقرير رائع، فإذا استطعنا أن نقرر بأن ما حصل في الهندوسية هو ذاته الذي حصل في اليهودية، فإن النتيجة المنطقية من هذا التشبيه هو أن الهندوسية في أصلها دين توحيد كاليهودية تماما. فالانحراف قد وقع هنا وهناك، بالرغم من وجود النص السليم الموحى به من عند الله تعالى، فالبشر دوما، بتحريش[٢] من الشيطان وإغواء، ينحرفون عن الدين السليم، ويستبدلون به البدع والأهواء، إما بتحريف النصوص، وإما بمخالفتها في التطبيق والسلوك، وكلا الأمرين قد وقع في اليهودية وفي الهندوسية، ولكن تحريف النص لا يمنع بقاء شيء من النص الأصلي السليم، وهو الذي أبحث عنه في دراستي.

أما قول الإمام: (فيجوز أن يكون فيهم موحدون يعتقدون التوحيد كما يعتقده المسلمون..) فهو تصريح بإمكانية وجود موحدين بين الهندوس، على النهج السليم، والصراط القويم، وهو مخالف لقوله بأن فكرة التوحيد التي نقل عبارتها ليست مفيدة لمعنى التوحيد الذي يفهمه المسلمون، بل إن الإمام ابن حزم قد نص على أن البراهمة يقولون بالتوحيد على نحو قولنا[٣]، فهو تأييد قوي لفهم البيروني لكلام الهندوس، وأن هذا التوحيد المذكور في كتبهم إنما هو موافق لمعنى التوحيد الذي يفهمه المسلمون.

أما اعتراض الشيخ أبي زهرة بأن ما ساقه البيروني من دليل لا يصلح أن يكون حجة في هذا المقام، هو اعتراض سليم وفي محله، فليس النص المجرد دليلا على وجود من يعتقده ويؤمن به على أرض

---

(١) محمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان (الديانات القديمة)**، ص٢٢- ٢٣.

(٢) جاء في الحديث الشريف: ((إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)). انظر: مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دط، ٥م، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، م٤، ص٢١٦٦، برقم: ٢٨١٢.

(٣) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط١، ٣م، (تحقيق: يوسف البقاعي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، م١، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الواقع، ولكن الذي أبحث عنه هنا ليس وجود موحدين هندوس على أرض الواقع أم لا، بل بحثي في النصوص النظرية المجردة، فلكي أستطيع إثبات أو نفي وجود التوحيد في الهندوسية، أحتاج إلى النظر في النص، هل فيه شيء من التوحيد أم لا؟ فالواقع لن يسعفني البتة، فواقع الهند معلوم لكل أحد، فليس في ممارسات الهنود إلا الشرك فالشرك ثم الشرك!!

والشيخ الإمام مستعد للتسليم بوجود الموحدين بين الهندوس، ولم يورد أي مانع شرعي أو عقلي لوجود مثل هؤلاء في الواقع، بل كان إنكاره لوجودهم حاليا، وأنهم إن كانوا موجودين حقيقة فإنهم من الندرة بحيث لا يمنعون تعميم الحكم بالوثنية على البرهميين، لأن الحكم يتبع الغالب الشائع، ولا يتبع القليل النادر.

وهذا الكلام غير مسلم في رأيي، فإذا قال أحدهم: اليهودية ديانة شرك ووثنية، فيكون قد أجمل ولم ينصف، فاليهودية في الأصل ديانة توحيد سماوية ربانية، ولكنها حرفت وأخرجت عن مسارها الصحيح فأصبحت ديانة شرك في النهاية. أما إطلاق القول بأنها ديانة شرك فهو غير سليم فموسى عليه السلام وأتباعه الصالحون من بني إسرائيل كانوا على اليهودية، وعلى شريعة التوراة، أما بعد التحريف فهو أمر آخر.

وكذلك قولنا في الهندوسية، فإذا كان في نصوصها شيء من التوحيد، فهي في الأصل ديانة صحيحة، أما بعد التحريف فهي ديانة شرك. والله أعلى وأعلم.

٣ - آراء الباحثين المعاصرين:

وكما سبق وأشرنا، فإن عددا لا يستهان به ولا يمكن تجاهله من الباحثين في الأديان، مسلمين وغربيين وهندوس، قد أيدوا بعضا مما قرره البيروني من وجود الاعتقاد بالتوحيد في أصول الديانة الهندوسية.

وبالنسبة للباحثين العرب، فبعض منهم قد نقل كلام البيروني واقتصر عليه، وقام بالتعليق عليه بما رآه، والبعض الآخر نقل من الكتب الهندوسية ذاتها، أو من كلام باحثين آخرين سابقين له.

يقول أديب صعب في أثناء حديثه عن الكتب الهندوسية: (وبعد الـــفـــيدا تأتي البراهمانيات، وهي عبارة عن محاضرات أو أجزاء من محاضرات كانت تلقى على المرشحين للكهنوت في المعاهد الخاصة، ودونت للمرة الأولى نحو العام ٣٠٠ قبل الميلاد، وجلها تفصيل للطقوس التي ترافق التقدمات، لكنها تنطوي على إشارات إلى العقائد، مثل عقيدة الخلق، ومبدأ الوحدة في الكون، **وتشير بقوة إلى اتجاه التوحيد**)[١].

(١) أديب صعب، **الأديان الحية**، ص٣٢- ٣٤. باختصار وتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتابع بقوله: (أما الفلسفة الدينية الأولى لدى الهندوس، فنجدها في مجموعات ((الأوبانيشاد)) وهي بمثابة هوامش على البراهمانيات، كتبت خلال قرون ثلاثة أو أربعة، تنتهي نحو العام ٣٠٠ قبل الميلاد... إلا أنها شديدة العمق والتعقيد أحيانا... وترد فيها مقاطع حول خلق العالم، **تتلاقى فيها الهندوسية مع الأديان التوحيدية**)[١].

فهناك شبه إذا - في رأي الباحث - بين نصوص معينة في الهندوسية ونصوص الأديان السماوية فيما يخص صفة خلق العالم. هذا بالإضافة إلى التوحيد الموجود في هذه الكتب.

فالبراهمانيات تشير بقوة إلى اتجاه التوحيد، وهذا التيار كان موجودا قبل الميلاد بـــ (٣٠٠) سنة، فمن أين جاء هذا التوحيد يا ترى؟ أنا أعتقد أنه إما أن هذه الكتب أخذت عن نصوص أقدم منها نصت على التوحيد، أو أن هذه الكتب قد دونت في زمن أرسل الله فيه أنبياء أو سخر علماء مصلحين مجددين، دعوا إلى التوحيد وصدعوا بالحق، فتضمنت هذه الكتب أقوالهم وتعاليمهم. وقد تكون نفسها قد أنزلت على رسل وأنبياء، ولكنها تغيرت مع الزمن فبقي فيها ما يشير إلى أصول صحيحة.

ويقول أحمد شلبي: (يوجد في التفكير الهندوسي - فيما يختص بالإله - نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف، وهما: **نزعة الوحدانية** ونزعة التعدد، وإن كانت نزعة التعدد أقوى وأكثر انتشارا... وعلى هذا كثرت الآلهة عندهم كثرة زائدة، ولكنهم في وسط هذا التعدد **كانوا يميلون أحيانا للتوحيد أو إلى اتجاه قريب منه..**)[٢].

وهذا نص صريح على أن التيار الموحد سار جنبا إلى جنب مع التيار الشركي، وهو الذي حصل في بدايات النصرانية، حيث كان التوحيد موجودا، وإلى جانبه التيار الشركي الذي دعا إلى تأليه عيسى عليه السلام.

ويقول علي وافي: (فالديانة البرهمية **كانت في أصلها - على ما يبدو من نصوص أسفارها - ديانة توحيد** مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الأرواح ورجوع الكائنات إلى الخالق... **ولكنها تغيرت وحرفت على مر الأيام**، وحل محلها عقيدة تثليث، لأنهم زعموا أن "براهما" كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له، فرغب أن يكون كثيرا، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته (نظرية وحدة الوجود) **وسمى نفسه الخالق**، ثم انبثق منه **الإله المدمر** وهو الإله (سيفا) الموكل بالخراب والفناء، فلا يذر من شيء أتى عليه إلا جعله كالرميم، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن، ولهذا انبثق من براهما

---

(١) أديب صعب، **الأديان الحية**، ص٣٤، باختصار وتصرف.
(٢) أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٤٥ - ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إله حافظ مجدد وهو الإله (فيشنو). **وبذلك انمحت عقيدة التوحيد الأصلية** في الدين البرهمي، واستبدل بها هذا الثالوث)[١].

وقوله: (ولكنها تغيرت وحرفت على مر الأيام) تصريح بالتحريف والتبديل الذي حصل، فالديانة لم تكن منذ بداياتها على هذا الانحراف والشرك، بل طرأ عليها فيما بعد.

وقوله: (وبهذا انمحت عقيدة التوحيد الأصلية في الدين البرهمي) أيضا يؤيد تلك الفكرة، وهو تصريح باندثار التوحيد واستبداله بالشرك.

أما غوستاف لوبون، المؤرخ والباحث الفرنسي الشهير، فيقول عن أسفار الهندوس المقدسة: (..فمن ينظر في "الرغ - ويدا" يعلم طورا بعد طور، أن ديانة الآريين **كانت ديانة توحيد خالص**، وديانة وحدة وجود راقية، وديانة شرك غليظ..)[٢].

ويقول أيضا: (..إذن، تبدو الأناشيد الآرية متموجة بين أشد المبادئ الدينية اختلافا، فتجد فيها عبادة قوى الطبيعة، وتجد فيها وحدة الوجود، وتجد فيها الشرك، **وتجد فيها التوحيد**)[٣].

والرغ - ڤيدا هو أقدم كتاب عند الهندوس على الإطلاق، من النصوص التي لا زالت موجودة ولم تندثر، وهو الجزء الأول والأهم من أجزاء الـڤـيدا المقدس عندهم، ويعود تاريخ تدوينه إلى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وبعض العلماء يقولون بأنه موجود بين الهندوس ومتناقل شفهيا بينهم قبل ذلك الوقت بكثير، فبعضهم يصل به إلى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد!

أما وصفه لوحدة الوجود بأنها راقية، فهذا من وجهة نظره الغربية المنحرفة، أما نحن فنعتقد بطلان هذه النظرية وانحرافها.

ويقول فوزي محمد حميد: (ويظهر التوحيد في بعض أناشيدهم الدينية، فقد ورد في كتاب الـڤـيدا ما يلي: ((إنني أنا الله، نور الشمس، وضوء القمر، وبريق اللهب، ووميض البرق، وصوت الرياح، أنا الرائحة الطيبة التي تنبعث في أنحاء الكون، والأصل الأزلي لجميع الكائنات.. أنا حياة كل موجود، وصلاح الصالح.. **أنا الأول والأخير**، والحياة والموت لكل كائن))[٤].

وفي قوله: "أنا الأول والأخير" من هذا النص توافق واضح مع قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[٥].

ويتابع فوزي نقله فيقول: (ويقول الإله براهما: ((أنا أقوى من السماء، وأعظم من الأرض، وأرفع من كل هذه الأجرام والكواكب حولي، أنا أعلى من جميع هذه الأشياء.. أنا الكل في الكل.. **أفعل ما أريد..**

---

(١) علي وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٨٦.
(٢) غوستاف لوبون، **حضارة الهند**، ص٢٨٠.
(٣) المرجع السابق.
(٤) فوزي محمد حميد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ط٢، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٩٩م، ص١٧٥- ١٧٦.
(٥) سورة الحديد، آية: ٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخلق كل ما يخطر لي.. أنا جوهر العالم الواحد الشامل.. لست بالذكر ولا بالأنثى.. إنما أنا روح غير مشخص في صفاته.. أحتوي كل شيء.. وأكمن في كل شيء، **لا تدركني الحواس**، لأنني أنا حقيقة الحقيقة.. أنا.. براهما))..)[١].

ففي هذا النص عبارات من التنزيه الجميل كقوله: "أنا أعلى من جميع هذه الأشياء" وقوله: "أفعل ما أريد.. وأخلق كل ما يخطر لي" وقوله: "لست بالذكر ولا بالأنثى" وقوله: "لا تدركني الحواس".. فتأمل.

وينقل شارح البهغفض غيطا (الكيتا) نعمته الربانية ا.س. بهكطي فيدانت سوامي بربهوباض، مؤسس آشازيا (السيد الروحي) لحركة العالمية لأجل وعي كريشنا، نصا فيداويا ورد في سفر "شفطاشفطر أوبانيشاد"[٢] جاء فيه ما معناه: (في العالم المادي، يعتبر "بْرَهما" الكائن الحي الرئيسي في كل كرة كونية، وهو الأسمى بين الملائكة والبشر والحيوانات السفلية. لكن فيما وراء "بْرَهما" **هناك المتعالي الذي لا يملك أية صورة مادية، والحر من كل الأدناس المادية**. وكل من يعرفه يتعالى بدوره، ومن يجهله يقاسي عذاب العالم المادي)[٣].

فبْرَهما ليس هو الخالق الأزلي، كما هو متصور، بل هو أول المخلوقات، يشبه آدم عليه السلام، أو هو ملك من الملائكة يوازي جبريل عليه السلام عندنا، لكن الله الأزلي الأعظم لا يُصَوَّر في أية صورة مادية، بل هو أعلى من كل شيء.

ويقول علي عبد الواحد وافي أيضا بأن العقيدة البرهمية في أسفار الـــڤـــيدا وقوانين مانو تقوم على دعائم ثلاث، أولها **أن الله واحد لا شريك له**، وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان، فالموجود بحق هو الله وحده، وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه، وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود[٤].

وسأناقش مسألة وحدة الوجود فيما بعد، لكن المهم هنا هو تصريح الباحثين المتكرر بأن في أسفار الهندوسية القديمة الاعتقاد بإله واحد لا شريك له، وليس الآلهة المتعددون الآخرون بآلهة على الحقيقة.

---

(١) فوزي محمد حميد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ص١٧٥- ١٧٦.

(٢) **لا** يقصد الشارح بقوله: "نصا فيداويا" أن هذا الكتاب هو جزء من الفيدا كما يتبادر، لأن للفيدا ثلاثة أجزاء رئيسية تحدثنا عنها سابقا، وأضيف إليها الجزء الرابع بعد ذلك بزمان ليس بالطويل، وهي كلها ذات طابع واحد مميز كما يفهم من كلام الباحثين، وبعد ذلك بأزمان وبعد أن كتبت الفيدا كتابة، ظهرت لها شروح كثيرة أضيفت إليها، وهي ليست منها حقيقة، ولكنهم أضافوها إليها من باب أنها موضحة لها، فأصبح الهندوس يطلقون على أي كتاب مقدس أو شرح للكتب المقدسة أنه من الفيدا من باب التجوز فقط، كالفيدانت والأوبانيشاد والكيتا وغيره، وإلا فإنها ليست منها. وكلمة فيدا تعني العلم، فهم يطلقون هذا الاسم لغة على جميع كتبهم، فهي كلها تحتوي علما دينيا. انظر: جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٣٨- ١٣٩.

(٣) **الغيطا**، ص٣٥٨.

(٤) انظر: علي وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سرفبالي راداكريشنا[١]، الرئيس الهندي الأسبق، وهو فيلسوف هندوسي معاصر: (هناك ثلاثة مظاهر فكرية في "ريج - فيدا": التعددية الطبيعية، **الميل للتوحيد والتوحيد)**[٢].

ويقول: (..وتعتبر مرحلة الانتقال من التعددية الطبيعية **إلى التوحيد ومن ثم إلى الاعتراف بالإله الواحد**، هذا الاعتراف الذي يشكل العقيدة الفلسفية الرئيسية للفيدا... **وينتهي الميل للتوحيد بإقرار فكرة التوحيد التي هي أفضل وأجل من مجموعة آلهة أو آلهات يحطم الواحد الآخر**...)[٣].

إذن فالإيمان بإله واحد هو الأصل في أسفار الـــفـــيدا، وهذه العقيدة - بلا شك - تنفي نفيا تاما وجود آلهة عديدة متصارعة، وهو بكلامه هذا اقترب مما قرره علماؤنا في دليل التمانع، فلا يتصور آلهة كثيرون، متساوون في القدرة، إلا متصارعون متخالفون، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى دمار الكون وفساد الخليقة. وهو أمر باطل حسا ومشاهدة وبداهة. وبطلان اللازم يقتضي بطلان الملزوم لا محالة.

ودليل التمانع مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٥].

وعبارته التي قال فيها: إن فكرة التوحيد أفضل وأجل من مجموعة آلهة أو آلهات يحطم الواحد الآخر، فيها إقرار عقلاني فطري قوي، يرفض التصديق بآلهة متقاتلة متنازعة، لأن الإله يجل عن مثل هذه العبثية الصبيانية. فراداكريشنا يدرك أبعاد الأمور.

ويذهب عمارة نجيب أيضا إلى أن الكتب الويدية والهندوسية تقول بتوحيد الخالق وتنزيهه عن النقص والشرك[٦]. وينقل العقاد عن ماكس مولر بأن الهنود الأصليين قبل ظهور الفيدا كانوا موحدين[٧].

وينفعنا في هذا المقام أن ننقل ما قاله الشيخ محمد علي الزعبي في تقديمه للترجمة العربية لكتاب "بْهَغْفَض غيطا" أو "الكيتا" الذي هو جزء من ملحمة "المهابهارتا" هذه الترجمة التي قام بها رافاناري ضاس (رابح يونس) من الإنجليزية، بعد أن ترجم الكتاب من السنسكريتية إلى الإنجليزية، يقول الشيخ: **(وحدانية الله في الـــفـــيدا ملموسة**، جاءت على الأصل الفطري، [وما جاء على أصله لا يسأل عنه].

---

(١) ويكتب اسمه أيضا: "رادها كريشنا" وهو أحد فلاسفة الهندوس المعاصرين، ولد سنة ١٨٨٨م، وفي الخمسينات تولى رئاسة جمهورية الهند، له أكثر من مائة وخمسين كتابا في الفلسفة والدين. انظر: الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٢٨، حاشية ١.

(٢) سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص٢٨.

(٣) المرجع السابق ص٤٤.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٢.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٩١.

(٦) عمارة نجيب، **الإنسان في ظل الأديان**، دط، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٧٩م، ص١٨٧، ١٨٩- ١٩١.

(٧) عباس محمود العقاد، **الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٧٧- ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدرك ولدنا الأستاذ رابح قوة **النصوص الــڤــيداوية التي لا ترضى عن الوحدانية السليمة المنزهة بديلا**، طبعا والإنسان الهندي يمثل الإنسان السليم في الأصل، ولذا **تحتفظ ڤيداه بسلامة العقيدة، فلا ترى إلا الخالق العظيم**، وإن دعته أحيانا "بهغفان" أو "كريشنا". صحيح أن الــڤــيدا تتحدث عن "بْرَهما" و "شيف" لكن تراهم مخلوقين، **وطالما صرحا: نحن ملائكة موكلون ولسنا آلهة**. وصحيح أنها تتحدث عن كريشنا وولادته وكراته ورجعاته ولهوه وزوجاته، لكنها تعود وترى كل هذا من قبيل التجاوزيات **وتصرح بتنزيهه تنزيها إيجابيا**.

ومن هنا يجزم القارئ أن الــڤــيدا لا ترى آلهة متعددين بل إلها واحدا... هذا هو موقف الراسخين من خدام الــڤــيدا، الذين يحرصون على التوسط ويرون التنزيه حقيقة...

إذ لا يخفى أن كريشنا وصف عابدي غير الله بالأغبياء. أما الذين بالغوا باحترام كريشنا، فقد برروا مبالغتهم بكلمة: كريشنا هو اسم آخر لله، أو هما اسمان لمسمى واحد، وهذان الاسمان يطلقان على ذات واحدة هي: الذات العليا، المسيطرة على الكون، هي علة العلل، هي كائن ليس كالكائن العادي، **ليس لها شكل تجسدي**، وكل حواسها تجاوزية، ليست مولودة، ليست فيضا، ما تتكلم به هو مقدس بل المقدس... **وحذر من تعدد الآلهة، لأن البشر - كما قال كريشنا - بحاجة إلى عبادة الله وحده**...)[١].

وأبرز شيء في كلام الشيخ هو الإصرار على أن التوحيد هو الأصل في الهندوسية، وأن عبادة غير الله غير معترف بها، بل هي دخيلة وطارئة.

وعن طبيعة براهما يقول الدكتور رحمات الإندونيسي: (براهمانا هو **الوجود المطلق الذي له صفة الوحدانية**، لا يمكن أن يقسم لأنه لا يتغير ولا يتبدل طول الزمان، ولا يقدر أحد على أن يتصرف فيه، إنه خارج الفكر... سلطة الحياة بيد براهمانا..)[٢].

ويقول فوزي محمد حميد: (يتكلم الهندوس عن آلهة لا يحصى عددها، **ومع ذلك يقولون بالتوحيد وعبادة الإله الواحد، ويخلصون له، ويقدمون له القرابين، ويسمونه رب الأرباب**، حتى وصلوا **في القرن التاسع قبل الميلاد** إلى الاعتقاد بإله واحد، بيده مقادير الكون، وهو الإله "براهما" خالق كل شيء، والجد الأكبر لكل الآلهة، وهو إله الآلهة)[٣].

---

(١) **بهغفض غيطا**، ص٢- ٤ باختصار.

(٢) حاج أورانج كاي رحمات بن داتو بحر الدين الإندونيسي، **من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ**، المطبوع بالعربية باسم: **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، مطالعة في مكتبة علماء الملايو**، دط، عرض وترجمة وتعليق: رؤوف شلبي، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، دت، ص١٩٨. وانظر: عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٣٢- ٣٣.

(٣) فوزي محمد حميد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول سيرغي توكاريف: (ويغنى فارونا في نصوص معينة باعتباره إلها أعلى. ولهذا يعتقد بعض الباحثين أنه **إله الهنود الأقدم والوحيد**)[١].

أقول: لا بد هنا من وقفة ضرورية، فبعض الباحثين يقولون بأن **براهما** هو الإله الأول والخالق الأعظم عند الهنود، والذي انبثقت عنه الآلهة الأخرى والعالم، وأن شيفا وفشنو أدنى منه مرتبة، إذ هو خلقهما، وتارة تجد ثلاثتهم يعبرون عن شخصية واحدة بأسماء ثلاثة، وتارة تجد أن براهما هو أول مخلوق وهو أبو البشر، وأن الله أعظم منه وأجل، وهو الذي يطلقون عليه اسم **برماتما**، وفي بعضها يطلق عليه اسم **آتمان** أو **برهمان**، وأحيانا يطلق بعضهم على براهما لقب الملك، فهو ليس إلها وليس بشرا عند هؤلاء، وتارة تجد **كريشنا** هو الخالق الأسمى، وهو تجل للإله الأوحد والأقوى **فيشنو**، وأن بْرَهما وشيفا دونه، وتارة أخرى تجد كريشنا أحد الآلهة فقط وليس أعظمها، أو تجده مجرد بطل أسطوري لا يلتفت إليه إطلاقا ولا قيمة له، بل بعضهم قال بأنه شخصية وهمية مفتعلة وغير حقيقية، ولم يكن لها وجود في الواقع. ومن الباحثين من قرروا بأن **فارونا** هو الإله الأول، وبعضهم قال: هو **نارايان**.

والأمر الوحيد الواضح هنا هو أن الهندوس وكتبهم وعلماءهم متناقضون جدا، يحطم أحدهم كلام الآخرين، فالأقوال في هذا المجال تتضارب وتتناقض في تحديد اسم هذا الإله الأوحد القديم، بحسب الفرق والتيارات، ولكن الشيء المشترك في جميع هذه الأقوال هو أن هناك إلها واحدا أزليا واجب الوجود، وجميع ما دونه مخلوقون. والذي أستطيع قوله باطمئنان هو: أن الإله الأول الخالق عندهم غير مدرك بالحواس، وهو ما صرحت به نصوص كثيرة، وليس له اسم محدد أو صفة أو شكل. **فالمهم أن الهنود يؤمنون بإله واحد، وإن سموه فارونا أو براهما أو كريشنا أو غير ذلك من الأسماء.**

وقد استنتجت من جميع هذه النصوص والاختلافات أن السبب في هذا إما اختيار كل فرقة من الفرق الهندوسية للإله الأسمى[٢]، وإما أنه خلط في التصور وعدم وضوح في فهم النصوص، إذ أنها متناقضة متعارضة، فكل فئة ترجح الشخصية التي تراها أقرب إلى أن تكون ممثلة للخالق الأزلي الأسمى.

ثم تكلم فوزي عن الثالوث الهندوسي المعروف: براهما الخالق، فيشنو الحافظ، وشيفا المهلك، ثم قال: (وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم **لإله واحد**، وهو الروح الأعظم واسمه "أتما". ودون هذه الآلهة آلهة أخرى أدنى منها سلطانا وقوة وعبادة، ولكن البراهمة وهم رجال الدين يرجعون كل شيء إلى الآلهة الثلاثة، **ويمكن أن يرجعوا كل شيء إلى إله واحد**)[٣].

---

(١) سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ط١، ترجمة: أحمد فاضل، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٨م، ص٢٩٦.

(٢) انظر: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٩٦-٥٩٧. وجفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٦٧-١٨٢. وغوستاف لوبون، حضارة الهند، ص٦٠٣- ٦٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول السيد أخلاق حسين الدهلوي: (ومن أغلب الظن أن الشيخ معين الدين الأجميري[١] كان **يدعو متبعي الديانة الـــڤـــيدية إلى الإسلام في ضوء الحقائق والتعاليم الـــڤـــيدية**...)[٢].

وهذا لا يكون إلا بوجود قواسم مشتركة بين الديانتين، كوجود نصوص في الـــڤـــيدا الأقدس تشابه ما عند المسلمين من عقائد أو عبادات أو أخلاق.

ويقول أيضا: (ومن بين الروائع المخطوطة المنظومة الطويلة لأمير الشعراء خسرو[٣]، هناك منظومة باسم "منظومة نه سبهر" وقد قارن فيها بين أديان العالم من وجهة نظر التوحيد، وفضل **الديانة الـــڤـــيدية ومعتنقيها على المذاهب الأخرى ما عدا الإسلام، وعدهم موحدين**)[٤].

وقال: (مما سوف يتضح بصورة جلية أن الديانة الـــڤـــيدية أيضا **كانت ديانة كاملة مثل اليهودية والمسيحية**، وقد بلغ أتباعها درجة الكمال ونالوا سمعة عالمية...)[٥].

وقال أيضا: (هكذا، يعترف بعض المستشرقين المنصفين بأن **الـــڤـــيدا المقدس حامل لراية التوحيد**.. إذا لا بد من التسليم بأن قول سيدنا الميرزا جانجان مطهر[٦] صحيح وصائب، بأن **الـــڤـــيدية كانت ديانة ثم نسخت**، فيثبت من هذه المصادر والمراجع أن **الديانة الـــڤـــيدية تتعلق أساسا بالكتب السماوية، بل هي مأخوذة منها**)[٧].

فهذا الباحث الهندي المسلم ينص على أن الهندوسية ديانة كاملة، أي سماوية كاليهودية والنصرانية، وهو ما أبحث عنه في هذه الدراسة، فهذا الباحث ومن نقل عنهم من الهنود المسلمين، مطلعون قطعا على الكتب الهندوسية، إلى درجة أن يفهموها ويستنبطوا منها ما يتفق مع الإسلام، بحيث يقدرون على مثل هذا التصريح الخطير المخالف للمألوف.

---

(١) الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري، مؤسس الطريقة الجشتية في الهند، كانت وفاته في سادس رجب سنة ٦٢٧ هـــ. انظر: الدهلوي، إسماعيل بن عبد الغني، **رسالة التوحيد**، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـــ، ص٢٧.

(٢) **مجلة ثقافة الهند**، دط، ٥٥م، إصدار المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، رئيس التحرير: البروفيسور نثار أحمد الفاروقي، عدد ٤، ١٩٩٠م، م٤١، ص٩٦.

(٣) خسرو محمد بن سيف الدين محمود أوجين الحسيني البخاري الدهلوي أبو الحسن الجشتي أمير الكلام (٦٥١ - ٧٢٥هـــ = ١٢٥٣ - ١٣٢٥م): أشهر شعراء الهند - بالفارسية - في عصره. وكان ماهرا بالموسيقى، علما وعملا. له شعر عربي فيه ضعف، ومصنفات قد يكون بينها ما هو عربي، منها (الإعجاز الخسروي) في البدائع ومحسنات الكلام، ثلاثة أجزاء، و (تحفة الصغر ووسط الحياة) و (غرة الكمال) و (البقية النقية) و (نهاية الكمال) وخمسة (دواوين) فارسية. ولد في (بتيالي) من أعمال دهلي، ونشأ ومات بدهلي.. قال صاحب خزينة الأصفياء: له تسع وتسعون مصنفا نظما ونثرا. الزركلي، **الأعلام**، م٢، ص٣٠٥.

(٤) **مجلة ثقافة الهند**، م٤١، ص٩٧.

(٥) المرجع السابق، م٤١، ص٩٨.

(٦) لم أجد له ترجمة. وهو من الأولياء المعروفين في الهند، (ت ١٧١٧م). انظر: محمد الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٠١.

(٧) **مجلة ثقافة الهند**، م٤١، ص١٠٦. وانظر: محمد الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص١٠١- ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشار هنا إلى أن الصوفي المعروف عبد الرحيم جان جنان (اغتيل سنة ١٧٨١م) كان يؤمن بأن الله تعالى قد أرسل رسلا إلى الهندوس، وكان يرى أن برهمن يشبه آدم عليه السلام، وقد أقر بأن كتب الفيدا كان موحى بها في الأصل[١].

ويؤيد هذا المذهب ما ذهب إليه الأستاذ الكبير أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى، حيث نسب إليه مالك البدري القول بأن الهندوسية والبوذية ديانتان صحيحتان حرفتا، استنادا إلى تشابه بعض العبادات التأملية والتسبيح عندهم بالتفكر والتسبيح في الإسلام. قال البدري: (ولعل المتأمل في ذلك "التأمل الارتقائي" وأصوله في الديانات الشرقية القديمة، والتشابه الظاهري بينه وبين التفكر والتسبيح، يرجح صواب نظرية الأستاذ أبي الأعلى المودودي بأن **البوذية والهندوكية كانتا في الماضي من الديانات الصحيحة التي طمست معالمها**، فلم يبق منها إلا عقائد منحرفة، وممارسات تعبدية تمسكت بالشعائر المفيدة الظاهرة كالتأمل، وتركت الغاية الحقيقية، ألا وهي توجيه هذا التأمل لعبادة الله وتسبيحه والتفكر في مخلوقاته..)[٢].

ونجد في نصوص الهندوسية أيضا ما يذكر وجود الله تعالى وحده في الأزل قبل خلق الخلق. وفي ذلك من التنزيه والتوحيد ما لا يخفى، وفيه إثبات مخالفة الله للحوادث.

يقول الدكتور رحمات الأندونيسي: (فيما يتعلق بالحالة قبل خلق العالم ثم إيجاد العالم يقول ريج - ڤيدا: ((في ذلك الوقت **ليس هناك وجود كما أن نفي الوجود أيضا غير موجود**. ليس هناك دنيا وليس هناك سماء.. الموجود فقط شيء ما "Sesuatu" **له تنفس من غير هواء، إنه هناك بذاته وحده وليس معه شيء موجود آخر**. هناك ظلمات مغلفة بظلمات أكثف منها..))[٣].

ويظهر لي أن قوله: "له تنفس من غير هواء.." هو من باب المجازات، والمراد منه أن الله تعالى حي حياة حقيقية ولكن دون مشابهة المخلوقات، فحياته لا تقتضي وجود هواء أو ماء أو طعام أو غير ذلك مما يحتاجه المخلوقون لبقائهم على قيد الحياة.

وفي بعض نصوصهم ذكر للصفات التي نسميها بالخبرية، جاء في الغيطا:

- ((إن الذات المثلى هي مصدر الحواس الأصلي، **ومع هذا فهي بلا حواس**. مع أنها ترزق كل حي، لكنها تبقى دون تعلق. وتتعدى ظاهر الطبيعة، إذ أنها سيدتها))[٤].

---

(١) انظر: محمد الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص١٠٦.
(٢) أبو الأعلى المودودي، **مبادئ الإسلام**، دط، دار القرآن الكريم، دمشق، ١٩٧٧م، دص. نقلا عن: مالك البدري، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود**، ط٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢م، ص٥٧- ٥٨. وانظر: هيام الملقي، **التجارب الروحية بين التأصيل الإسلامي والاغتراب الثقافي**، ط١، دار الفكر، بيروت - دمشق، ٢٠٠١م، ص٣٥. وقد بحثت عن هذا النص في كتاب المودودي فلم أعثر عليه.
(٣) رحمات الإندونيسي، **التفكير الديني**، ص٢١٠.
(٤) **الغيطا**، ص٦٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الشارح: (رغم أن المولى الأسمى هو منبع كل حواس الكائنات الحية، **فليس لديه حواس مادية مثل حواسنا**. الواقع أن للنفس الفردية حواسها الروحية، لكن هذه الحواس الروحية محجوبة بالعناصر المادية في الحياة المشروطة، وعليه تظهر نشاطاتها الحسية من خلال المادة. لكن حواس المولى الأسمى غير محجوبة، **بل هي تجاوزية... ولا بد من الفهم بأن حواسه لا تشابه حواسنا**، رغم أنه منبع كل نشاطاتنا الحسية. إن لديه حواسه التجاوزية غير المدنسة... **ليس لدى الإله الشخصي الأسمى أيد مدنسة ماديا، مع ذلك فهو يملك يدين**، وهو يقبل بكل تضحية تقدم إليه... **ليس لدى المولى عيون مادية، ولكن له عيناه - وإلا كيف يمكن له أن يرى؟ إنه يرى كل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل**، وهو يعيش داخل قلب الكائن الحي، كما يعلم بكل ما فعلناه في الماضي، وبكل ما نفعله حاضرا، وبكل ما سوف نفعله في المستقبل... **يرد بأن المولى الأسمى ليس له أرجل مثل أرجلنا، لكنه قادر على التجول في أرجاء الفضاء لأن رجليه روحيتان**. بكلام آخر، إن المولى ليس بمعدوم الشخصية، بل له عيناه ورجلاه ويداه... لكن يديه ورجليه وعينيه وحواسه غير مدنسة بالطبيعة المادية... وبقدر ما يمكن لنا أن نفهم من الأدب الفيداوي **فإن المولى الأسمى تجاوزي على الدوام**. رغم أننا لا نرى رأسه ووجهه ويديه ورجليه لكنه يتمتع بكل هذا، **وعندما نسمو إلى المقام التجاوزي يصبح بمقدورنا أن نرى صورة المولى**. إننا لا نستطيع أن نرى صورة المولى نتيجة حواسنا المدنسة ماديا..)[١].

٤ - النصوص الهندوسية المؤيدة:

بعد استعراض كلام الباحثين حول المسألة، رجعت إلى الكتب الهندوسية التي وجدتها متوفرة ومترجمة إلى اللغة العربية، لأبحث عما قد يؤيد ما نقله العلماء وقرروه من أن في الهندوسية توحيدا قديما.

وكان المصدران اللذان عثرت عليهما في هذا المجال كتابين: الأول هو كتاب منو سمرتي أو قانون مانو، والثاني هو كتاب البهغفض غيطا (الكيتا).

أما كتاب منو سمرتي، فقد قام بترجمته عن الهندية ودراسته والتعليق عليه الأستاذ الكبير إحسان حقي، وهذا الكتاب أعده ثاني أهم مصدر من مصادري في هذه الدراسة، لأنه كتاب هندوسي معتمد جدا عندهم، ويعد بالنسبة للـــقـــيدا مبينا وشارحا ومختصرا في الوقت ذاته، وهو القانون المعتمد عند الهندوس المتأخرين.

أما كتاب البهغفض غيطا، أو الكيتا، ويدعى أيضا "نشيد المولى" فهو جزء من أهم أجزاء الملحمة الهندية الكبرى: المهابهارتا، أو "مها بهارات" الملحمة الشهيرة، التي تشبه الإلياذة والأوديسة عند اليونان، وقد وقعت هذه الملحمة الكبرى حوالي سنة ٩٥٠ ق.م. ودونت في حوالي سنة ٣٠٠ ق.م. على اختلاف

---

(١) الغيطا، ص٦٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين الباحثين، واسم الكتاب مركب من كلمتين: "مها" أي العظيم، و"بهارت" أي الهند، وعنوان الكتاب ينبئ عن محتواه، وهو تاريخ الحرب الكبرى التي وقعت في الهند. وكانت الغاية من تأليفه التوحيد بين الفرق الهندوسية الثلاث: فرقة براهما، وفرقة فشنو، وفرقة سيفا، وبين الأديان الهندية المختلفة: الهندوسية والبوذية والجينية. فجمع الكتاب بين أفكار الديانات الثلاثة. وتتخلل الكتاب أفكار فلسفية جاءت على لسان أحد الأبطال وهو "كرشنا"[١] وهذا هو الجزء الذي أطلق عليه اسم الكيتا.

يقول الشيخ محمد علي الزعبي في تقديمه للنسخة العربية من الترجمة الشرعية لكتاب الكيتا: (وبين يدي القارئ فصول من الـــفـــيدا[٢] مترجمة من لغتها الأصلية - السنسكريتية - للإنكليزية ثم للعربية بقلم ولدنا الأستاذ رابح يونس... ولعل الأستاذ رابح حين أقدم على هذه المهمة، يذكرنا بالعصر العباسي الذي عرف فيه العرب لأول مرة منذ ثلاثة عشر قرنا شيئا عن الـــفـــيدا، فاستأنف معرفتنا القديمة وعرض ما لم يكن مجهولا عند أسلافنا، وساعدنا في مهمة التمحيص والمقارنة..)[٣].

ويقول مترجم الكتاب إلى العربية رابح يونس: (إن نشيد المولى الذي يعرف أيضا بـــ "غيطو بانيشاد" هو جوهر كل المعارف الفيداوية، وأكثر الأوبانيشاد أهمية في الأدب الفيداوي..)[٤].

ويقول: (يحتوي نشيد المولى على معارف الحكمة الفيداوية الكاملة... ونشيد المولى هو خلاصة وجوهر كل العلوم الفيداوية... وعلينا تصديق المعرفة الكاملة المتوارثة كما يذكرها نشيد المولى... لا يسمح للإنسان بتصديق جزء من نشيد المولى، والتشكيك بجزء آخر، بل علينا أن نقبل بنشيد المولى بدون أي تأويل، بدون حذف وبدون مشاركة نزواتنا في الموضوع. يجب أن يؤخذ هذا النشيد على أنه التمثيل الأكمل للمعارف الفيداوية..)[٥].

ويرى الدكتور رحمات الإندونيسي أن البهاغفاد - جيتا يؤكد على الاعتقاد بإله واحد..[٦].

جاء في كتاب منو سمرتي:

١ - ((إن هذه الكائنات كانت ظلاما لا ترى، وليس لها علامات تميزها، ولم تكن معرفتها تستطاع بدليل، بل كانت مجهولة وكأنها غارقة في سبات عميق))[٧].

٢ - ((ثم إن برماتما (Pramatma) **اللطيف الخفي** في ذاته ومظهر الكائنات بقدرته، **ذو القوة الأزلية الأبدية**، خلق العناصر، وما إليها، وأظهر نفسه وأباد الظلام))[١].

---

(١) انظر: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٤٩.
(٢) قد أشرت سابقا إلى مسألة إطلاق اسم الفيدا على كتب هندوسية كثيرة تلت ظهور الفيدا بقرون كثيرة على سبيل التجوز فقط، وإشارة إلى أن هذه الكتب كلها إنما هي شروح للفيدا ومكملة لها.
(٣) **بهغفض غيطا**، ص١.
(٤) المرجع السابق، ص١٣.
(٥) المرجع السابق، ص٢٨ - ٢٩.
(٦) رحمات الإندونيسي، **التفكير الديني**، ص١٩٢.
(٧) **منو سمرتي**، ص٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علق الأستاذ إحسان حقي بقوله: (عدد الآلهة عند الهنادكة كثير، ولكل واحد منهم مقام محفوظ، ودرجة لا يتعداها، **وكلهم مخلوقون، إلا برماتما، فهو واجب الوجود**، وهو سيد الآلهة وأعظمهم على الإطلاق... ولعله أراد بظهوره هنا: ظهور ما يدل عليه من المخلوقات، إذ أن المخلوق لو كان معدوما؛ لما علم بوجود الخالق..)[٢].

وهذا تصريح بأن واجب الوجود الأزلي المتصف بصفات الألوهية والربوبية واحد فقط، وما دونه ليسوا كذلك، وإن دعوا آلهة أو أربابا، فهم مخلوقون محدثو الوجود، وتلك صفة العاجز المحتاج، وليست صفة للخالق الغني. ونرى أن النص يتحدث عن بدء الخلق، ويثبت وجود خالق واحد أحد كان موجودا وحده في الأزل ولا شيء معه، فلا آلهة أخرى تنازعه قدراته وصفاته وملكوته. ويصف النص هذا الإله بأنه لطيف وخفي، وبأن قوته أزلية وأبدية.

٣- ((إن برماتما، الذي لا يدرك [إلا] بالعقل وحده، اللطيف الخفي، والمحيط بجميع المخلوقات، أظهر ذاته بذاته))[٣].

وعلق الأستاذ حقي بقوله: (يظهر من هذه الفقرة، **أن الهنادكة لا يخرجون في وصف برماتما، عن الوصف الذي وصفت به باقي الأديان الذات الإلهية، وهذا دليل على أن التوحيد هو الأساس في دين الهنادكة**، ومفهوم هذه الفقرة لا يخرج عن مفهوم الآية: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٤])[٥].

وهذا التحليل من المعلق يؤيد دعوانا، فالهندوسية وصفت الله تعالى بما وصفته به الأديان السماوية، وهو دليل عنده بأن الهندوسية في أصلها كانت على الدين الحق والتوحيد الصحيح.

٤- ((ثم بدا له أن يخلق المخلوقات من جسمه، فخلق أولا الماء بالفكر، ثم ألقى فيه بذرته))[٦].

فعلق المترجم قائلا: (اتفقت الأديان كلها على اعتبار الماء أول مخلوق... أما قوله: "بالفكر" فلعله قصد به مجرد الإرادة، كما في القرآن: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٧]..)[٨].

وهذا نص جلي أيضا، يثبت التشابه والتقارب بين الهندوسية والأديان المنزلة من عند الله تعالى في بعض التفاصيل الغيبية.

---

(١) **منو سمرتي**، ص٩.
(٢) المرجع السابق، ص٩- ١٠.
(٣) المرجع السابق، ص١٠.
(٤) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.
(٥) المرجع السابق، ص١٠.
(٦) المرجع السابق، ص١٠.
(٧) سورة النحل، آية: ٤٠.
(٨) المرجع السابق، ص١٠- ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما قوله "يخلق المخلوقات من جسمه" فإما أنها كناية عن أنه هو الخالق وحده، وأن جميع المخلوقات قد وجدت بأمره وقدرته، وإما أنها تحريف دخل النص في عصور الانحراف عن الدين الأصلي.

وفي قوله: "ثم ألقى فيه بذرته" صورة توافق قول الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[١].

٥- ((ثم إنه سمى كل المخلوقات، وقدر أعمالها، التي خلقت لها، وفاقا لما ذكر في الويد))[٢].

فقال المعلق: (تسمية المخلوقات جاءت في القرآن بقوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٣]... أما قوله: وفاقا لما ذكر في الويد، والويد خلق بعد خلق البشر!! فلعله أراد بذلك: أن تسمية هذه الأشياء تمت كما هو في علم الله من الأزل، لأن معنى الويد اللغوي: هو العلم)[٤].

أما أنا فقد وجدت في هذا النص تشابها كبيرا مع قول النبي ﷺ: ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له..))[٥].

وفيه أيضا إثبات تقدير الله لأفعال العباد، ومعرفته الأزلية بها، وقد يكون مراده من قوله: ((وفاقا لما ذكر في الويد)): كتابة هذه الأعمال في اللوح المحفوظ. والله أعلم.

ومما لا بد من قوله هنا هو أن بعض هذه النصوص قد تكون خارجة عن موضوع المبحث أو الفصل، إلا أنها جميعا تخدم موضوع الرسالة وهدفها، وتؤيد وجود تشابه كبير في بعض العبارات والنصوص، للنصوص المقدسة المنزلة على أنبياء الله ورسله.

٦- ((ثم إن براهما خلق الآلهة العاملة، على مختلف طبقاتها، وخلق الأرواح اللطيفة..))[٦].

وأقول: قد تكون الآلهة العاملة هي الملائكة، والأرواح اللطيفة هي أرواح البشر وسائر المخلوقات. وهذا ليس بمستبعد أبدا، فإن كثيرا من النصوص التي ستمر معنا أثبتت وجود الملائكة، وهي مخلوقات عاملة عابدة لله، تؤدي القربات للإله الأعلى كالبشر، وهي ذات طبقات ومراتب أيضا، فالنص في نظري لا يتحدث عن غيرها بحال. وأيضا أثبتت تلك النصوص وجود الأرواح البشرية التي تخرج عند الموت وتذهب إلى أماكن مختلفة، ويمكن وصف هذه الأرواح باللطف أو الأثيرية.

٧- ((ولذا؛ فقد انصرف كل مخلوق، حين ظهوره إلى عالم الوجود، إلى ما خلق له، وإلى عمله الذي خصه به بْرَهما، منذ الأزل))[١].

---

(١) سورة الحجر، آية: ٢٩. وانظر: سورة الأنبياء، آية: ٩١. وسورة السجدة، آية: ٩. وسورة ص، آية: ٧٢. وسورة التحريم، آية: ١٢.

(٢) **منو سمرتي**، ص١٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣١.

(٤) المرجع السابق، ص١٦- ١٧.

(٥) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، ط٣، ٦م، (تحقيق: مصطفى ديب البغا)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٩٨٧م، كتاب التفسير، باب تفسير سورة {والليل إذا يغشى} (الليل)، م٤، ص١٨٩١، برقم: ٤٦٦٦. ومسلم، **الصحيح**، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، م٤، ص٢٠٣٩، برقم: ٢٦٤٧.

(٦) **منو سمرتي**، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأقول: واضح في هذا النص أيضا التشابه مع الحديث الشريف سابق الذكر؛ والحديث الآخر الذي جاء فيه: ((إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوما على حالها لا تغير فإذا مضت الأربعون صارت علقة ثم مضغة كذلك ثم عظاما كذلك فإذا أراد الله أن يسوي خلقه بعث إليها ملكا فيقول الملك الذي يليه أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد أقصير أم طويل أناقص أم زائد قوته وأجله أصحيح أم سقيم قال فيكتب ذلك كله)) فقال رجل من القوم: ففيم العمل إذن وقد فرغ من هذا كله؟ قال: ((اعملوا فكل سيوجه لما خلق له))[٢].

٨- ((ثم إن براهما شطر جسمه، وجعل شطرا في صورة رجل وشطرا في صورة امرأة..))[٣].

قال إحسان حقي: (هما كآدم وحواء عند أصحاب الديانات الأخرى..)[٤].

وهذا أيضا تشابه في مسألة غيبية بين الهندوسية والأديان السماوية، فهو وإن كان لا يتعلق بمباحث الألوهية، إلا أن الأمور كلها تؤدي إلى بعضها. وأما قوله بأن براهما شطر جسمه شطرين، فلا أشك أبدا بأنه من قبيل المجاز والتجاوزات التشبيهية.

٩- ((تقوم الدنيا؛ ما دام براهما مستيقظا، فإذا نام؛ نام العالم))[٥].

لعل هذا النص أريد به أن العالم لا يقوم بإله ينام، لأنه إذا نام سقطت السماء على الأرض واختلت موازين الكون، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[٦] وما جاء من تفسير لهذا الأمر في الحديث الشريف عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع: ((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه ويرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار))[٧].

١٠- ((وعليه أن يعلم أن الإله الأعظم، الذي هو ألطف من كل لطيف، اللامع مثل الذهب، والذي لا يدرك إلا بالعقل وحده، هو الحاكم المطلق فوق جميع هؤلاء))[٨].

وهذا النص أيضا يقرر بأن الله لطيف جدا، بل هو ألطف من أي شيء آخر، وأنه تعالى لا تدركه الأبصار والحواس، بل لا يعرف سبحانه بغير العقل الذي يتفكر في خلقه فيعرفه، وبالوحي الذي ينزله.

---

(١) **منو سمرتي**، ص١٩.
(٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، دط، ٦م، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دت، م١، ص٣٧٤، برقم: ٣٥٥٣.
(٣) **منو سمرتي**، ص٢٠.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق، ص٢٦.
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(٧) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: (إن الله لا ينام)، م١، ص١٦١، برقم: ١٧٩.
(٨) **منو سمرتي**، ص٧٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١- ((إن بعض الناس يدعون هذا الإله (نارا) وآخرون يسمونه (منو) خالق العالم، وغيرهم يسمونه (إندرا) وفريق يسمونه ريح الحياة، وآخرون يقولون بل هو بْرَهما الأبدي))[١].

وهذا النص الأخير دليل واضح على أن الذات الإلهية واحدة، ولكن الناس ينادونها بمختلف الأسماء والألقاب، فالبعض يسميها إندرا، والآخرون يسمونها براهما، وغيرهم يسمونها كريشنا أو فيشنو أو فارونا أو أغني، أو غيرها من الأسماء المعروفة وغير المعروفة.

وجاء في كتاب الغيطا:

١- ((قال المولى "بهغفان": عزيزي أرجون، كيف جاءتك هذه الوساوس الدنسة؟ إنها لا تليق بإنسان يعرف قيم الحياة المتجددة، ولا تقود إلى الجنات بل إلى الحضيض))[٢].

قال الشارح: (إن **حالات تحقيق الحق المطلق ثلاث، ولكن هذا الحق واحد أحد**، ويرمز إليه بـــ "برهمن"، "برما آطما" و "بهغفان". وبالإمكان شرح هذه الثالوثية بمقارنتها بالشمس، التي تملك ظواهر ثلاثا وهي: أشعتها، وسطحها وكوكبها نفسه. يعنى **التلميذ الابتدائي بدراسة أشعة الشمس، في حين يتعمق بدراسة سطحها من هو أعلى درجة. لكن من يدخل كوكب الشمس ذاته فهو الأرفع مكانة**. الآن يمكننا مقارنة التلميذ العادي (الذي يقتنع بمجرد فهم الأشعة بمعنى انتشارها في أرجاء الكرة الكونية) بالروحاني الذي حقق "برهمن" اللاشخصي من الحق المطلق، في حين يقارن التلميذ الذي تعمق أكثر بمعرفة استدارة الشمس بمن حققوا "برما آطما" من الحق المطلق. **أما التلميذ الذي دخل كوكب الشمس، فيقارن بمن حقق معرفة مقام الحق المطلق الشخصي "بهغفان" وهو التجاوزي الأسمى "بهكطي". رغم أن محور دراسة كل تلامذة الحق المطلق واحد** فلا يمكن فصل أي من أشعة الشمس، وقرصها وأمورها الداخلية عن بعضها البعض، ومع ذلك فإن محققي المقامات الثلاثة ليسوا على صعيد واحد..)[٣].

فالشارح ينص على أن هؤلاء الثلاثة المذكورين، ليسوا إلا مراتب لمعرفة الإله، وليسوا ثلاثة ذوات منفصلة أو مستقلة عن بعضها، فهو واحد أحد، لكنه قد يدرك بثلاث صور أو مراتب مختلفة متفاوتة بحسب علم ويقين الباحث أو التلميذ. فلا فرق بين برهمن وبرما آطما وبهغفن الذي هو كريشنا أو راما اللذان هما تجليان لفيشنو. وهذا يشبه قولنا: الإسلام والإيمان والإحسان، فهذا التشابه في مراتب الإيمان والعلم بين الإسلام وبين كلام العالم الهندوسي مثير للدهشة والتساؤل.

وقال شارح البهغفض غيطا أيضا في الموضع ذاته: (لا يمكن لأي كائن أيا كان، ولا حتى "بْرَهما" أو المولى "شيف" أو "نارايان" امتلاك قدرات تعادل سمو قدرات "كريشنا". لقد ذكر "بْرَهما" نفسه في نشيده

---

(١) **منو سمرتي**، ص٧٠٣.
(٢) **الغيطا**، ص٨٤.
(٣) المرجع السابق، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسمى "برهم - سمهيطا" بأن كريشنا الإله الشخصي الأسمى، هو أعظم الجميع على الإطلاق، وهو المولى الأولي "بهغفان" المعروف بـــ "غوفينض" وهو علة كل علة..)[١].

وهنا تنزيه للإله المدعو كريشنا عن مشابهة أحد له، فهو الأعلى والأقوى والأعظم، وحتى عظماء الآلهة - الملائكة، كبْرَهما، لا يصلون إلى مرتبته العليا. فهذا توحيد في صفات الباري سبحانه.

٢- ((يا ابن "بريطها"، لا يوجد من واجب يلزمني ضمن العوالم الثلاثة. كما لا أرغب بشيء ولا أنا بحاجة لكسب شيء - مع ذلك فإنني أعمل))[٢].

ومما جاء في الشرح: (يوصف الإله الشخصي الأسمى في أسفار الـــفـــيدا على النحو التالي: ((إن المولى هو والي كل الولاة، وهو أعظم كل قادة الأنظمة الكوكبية المختلفة. الجميع تحت سلطته. وتتمتع كل الكائنات بقوى معلومة بإرادته فقط. **كما تعبده كل الملائكة**، وهو المرشد الأسمى لكل المرشدين. لذا، فإنه يتعدى كل القادة والولاة الماديين **وهو معبود الجميع**. لا يوجد من يفوقه وهو علة كل علة. **لا يملك المولى صورة جسدية مثل الكائنات الحية**، ولا يوجد من فارق بين جسده وذاته. **وقدراته لا تحصى ولا تعد**، وبذا **يقول: "كن فيكون"**..))..)[٣].

ويظهر من كلام الشارح، وهو عالم هندوسي كبير، تنزيه المولى عز وجل عن الصورة والجسمية، ووصفه تعالى بالقدرة الكاملة النافذة بمجرد الإرادة والمشيئة. ونجد إشارة إلى توحيده تعالى في العبادة، فهو المعبود الأعلى والوحيد عند جميع العابدين.

ويوافق هذا النص قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٥].

ويشبهه النص الذي جاء في ياجور - فيدا: (عندما تتوجه رغبتي نحو شيء لا بد وأن توجد)[٦].

٣- ((من يعرف أنني **اللامولود، الأزلي ورب العوالم**، ليس بضال بين البشر، وهو الذي يتحرر من كل الخطايا))[٧].

يقول الشارح: (فإن من يقدر على الوصول إلى صعيد الفهم بأن كريشنا هو الإله الشخصي الأسمى، **مالك الملك، الذي لا يولد**، يعتبر الأكثر نجاحا بين جميع المحققين روحيا... لقد كان المولى موجودا قبل

---

(١) **الغيطا**، ص٨٦.
(٢) المرجع السابق ص١٨٦.
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة البقرة، آية: ١١٧.
(٥) سورة النحل، آية: ٤٠، وسورة آل عمران، آية: ٤٧، وسورة الأنعام، آية: ٧٣، وسورة مريم، آية: ٣٥، وسورة يس، آية: ٨٢، وسورة غافر، آية: ٦٨.
(٦) **ياجور - فيدا**، نقلا عن رحمات الإندونيسي، **التفكير الديني**، ص٢١٨.
(٧) **الغيطا**، ص٤٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلق، كما أنه يختلف عن خلقه. **إن الملائكة كلها قد خلقت ضمن هذا العالم المادي، لكن فيما يختص بكريشنا، فقد قيل: "إنه غير مخلوق"، لذلك فإن كريشنا يختلف حتى عن عظام الملائكة أمثال "بْرَهما" و"شيف".** وبما أنه خالق "بْرَهما" و"شيف" وكل الملائكة الآخرين، فإنه الشخص الأسمى على كل الكواكب..)[١].

نجد في هذا الكلام تصريحا بالتفريق بين المولى الأزلي الأول الخالق، وبين جميع خلقه من الملائكة العظام، الذين اعتاد النص الهندوسي على مناداتهم بالآلهة. فهو سبحانه لا يماثله شيء، ولا يصل إلى مقامه ومرتبته أي أحد. فنجد تفريقا جليا بين الخالق غير المخلوق، وبين المخلوقات الحادثة في هذا الكون، الخاضعة للسنن الربانية الكونية أو القوانين الطبيعة المادية التي خلقها الله، أمثال بْرَهما وشيفا وغيرهما من الملائكة العاملة العابدة الخاضعة للمولى الأسمى ممن هو أدنى مرتبة منهما. ونجد في النص تنزيها للباري عن الولادة، فهو سبحانه لم يولد من شيء، بل هو خالق وموجد جميع الموجودات.

وقد قرر بعض العلماء والباحثين، سماح بعض اللغات إطلاق لفظ الإله على غير الله تعالى تشريفا وتعظيما، لا تأليها. ولقد فصل الإمام البيروني في هذه المسألة، وقرر أن إطلاق اسم الآلهة على غير الله الخالق سبحانه، كان مسموحا به عند بعض الشعوب والديانات، مع اعتقادهم بأنها مخلوقة وغير قديمة، وهو أمر وجد في نصوص التوراة، التي أطلقت لفظ الآلهة على الملائكة وبعض الأنبياء، مع وضوح التوحيد في نصوص التوراة، كما هو معلوم.[٢]

من ذلك قول سعد رستم: (والمسألة هي أن **كلمة "إله" في اصطلاح الإنجيل واصطلاح الكتاب المقدس بشكل عام لا تعني بالضرورة الله، بل تأتي أحيانا على معنى السيد والرئيس المطاع، مثل كلمة الرب، أو على معنى الملاك العظيم**.

جاء في سفر الخروج من التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام: ((قد **جعلناك إلها لفرعون** وأخاك هارون رسولك)) الخروج (٧/ ١).

وفي المزمور الثاني والثمانين من سفر المزامير قول الله تعالى لداود عليه السلام: ((الله قائم في مجمع الله، **في وسط الآلهة** يقضي.. [إلى قوله]: أنا قلت **إنكم آلهة وبنو العلي كلكم**، لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون)) المزامير (٨٢/ ١، ٦ - ٧).

حيث يتفق مفسرو العهد القديم أن **المقصود بالآلهة وبني العلي هنا: الرؤساء والقضاة والملائكة الذين هم أعضاء البلاط الإلهي**، إذا صح التعبير، وأن **لقب آلهة وأبناء الله، ليس إلا لقبا تشريفيا لا أكثر،**

---

(١) **الغيطا**، ص٤٨٨.

(٢) انظر: البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٢٥- ٢٨. وسعد رستم، **التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا**، ط١، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م، ص١١٦- ١٢٢، ١٦٤، ٢١٥- ٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يعني أبدا أنهم شركاء الله تعالى في ذاته وإلهيته، كيف ومن تعاليم التوراة الأساسية وحدانية الله تعالى)[١].

وفي هذا المعنى قول النبي ﷺ: ((الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))[٢].

٤- ((أنا مصدر العوالم الروحانية والمادية كلها. والحكيم الذي يعرف هذا يقينا ينذر نفسه لخدمتي المكرسة ويعبدني من كل قلبه))[٣].

يقول الشارح الهندوسي: (إن كل الآداب الفيداوية توافق على أن **كريشنا هو مصدر "بْرَهما"، و"شيفا" وكل الملائكة الآخرين**. في "أطهرف - فيدا" يرد ما يلي: ((في البداية قام كريشنا بتلقين "بْرَهما" المعارف الفيداوية وهو الذي قام بنشر المعارف الفيداوية في الماضي))، كذلك يرد ما يلي: ((عندئذ رغب الإله الشخصي الأسمى "نارايان" بخلق الكائنات الحية))، وكذلك ترد الآية التالية: ((من "نارايان" ولد "بْرَهما" ومن "نارايان" ولد الآباء الأولون أيضا. من "نارايان" ولد "إينضرَ"، من "نارايان" ولد "فاسوس" الثمانية. من "نارايان" ولد "روضر" الإحدى عشر، من "نارايان" ولد "آضيطياس")). يرد في نفس الفيدا: ((**في بداية الخلق كان هناك الإله الشخصي الأسمى "نارايان" وحده. لم يكن هناك "بْرَهما" ولا "شيف" ولا نار ولا قمر ولا نجوم في السماء ولا شمس. كان هناك كريشنا فقط، الذي خلق الجميع، ويتمتع بهم جميعا**)).

في كثير من أسفار "بوران" يرد أن المولى "شيف" قد ولد من الإله الأسمى، المولى كريشنا. **وتقول الـفـيدا بأن المولى الأسمى، خالق "بْرَهما" و "شيف" هو واجب العبادة**. في "موكص ضهرم" يقول كريشنا كذلك: ((أنا خالق "شيف" والآباء الأولين وكل الآخرين، مع ذلك فإنهم لا يدركون ذلك لأنهم موهومون بطاقتي الموهمة)). في "فراها بوران" يرد كذلك: ((إن "نارايان" هو الإله الشخصي الأسمى ومنه ولد "بْرَهما" الذي ولد منه "شيف"))..)[٤].

أما قوله: (في البداية قام كريشنا بتلقين "بْرَهما" المعارف الفيداوية وهو الذي قام بنشر المعارف الفيداوية في الماضي) فيشبه في نظري تعليم الباري سبحانه المعارف والأسماء كلها لأبي البشر آدم عليه السلام، لأنه هو أول من نشر تعاليم السماء بين البشر الأوائل في الماضي، أو تلقين الله لجبريل العلوم التي عليه تبليغها للأنبياء عليهم السلام. فقد يمكن أن يكون بْرَهما هو أول البشر، وقد صرحت بذلك كتب كثيرة مثل كتاب منو سمرتي وغيره الذين نصوا على أن بْرَهما هو أول المخلوقات.

---

(١) سعد رستم، **التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا**، ص٢٣٤.
(٢) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، **المسند**، ط١، ١٣م، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني)، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م، م٦، ص٦٥، برقم: ٣٣١٥.
(٣) **الغيطا**، ص٤٩٩.
(٤) **الغيطا**، ص٤٩٩- ٥٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النص يشبه قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[١]. وقد يكون ملكا مرسلا من الله تعالى إلى البشر، وهذا الذي صرح به هذا الكتاب في مواضع عديدة، والله تعالى يصطفي من الملائكة رسلا كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٢].

وأما قوله: (في بداية الخلق كان هناك الإله الشخصي الأسمى "نارايان" وحده..) إلخ، فيشبه قول النبي ﷺ: ((كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض))[٣]. وأما نارايان، فهو في اعتقادهم اسم من أسماء الله تعالى.

ونجد أيضا في هذه النصوص التي نقلها الشارح توحيدا في العبادة للإله الأسمى، ونجد تأكيدا على مخلوقية بْرَهما وشيفا والآلهة الآخرين. وكم كنت سعيدا حين وجدت المترجم والشارح قد اصطلحا على تسمية هؤلاء الآلهة باسم الملائكة، فهذا مما يؤيد فرضيتي من أن الإله الحقيقي في الهندوسية هو واحد فقط، أما الآخرون فهم مخلوقات ضعيفة محتاجة للإله الأسمى دوما، وتقوم على عبادته والتقرب إليه.

٥- ((إذا كنت تعتقد أنه بمقدوري رؤية صورتك الكونية، أرجوك أن تظهر لي تلك الذات الكونية يا مولاي، يا رب القوى الغامضة))[٤].

يقول الشارح: (قيل إن الإنسان لا يقدر أن يرى أو يسمع أو يفهم أو يدرك المولى الأسمى كريشنا بواسطة الحواس المادية. لكن إذا شغل الفرد نفسه في الخدمة الحبية التجاوزية للمولى من البداية، فباستطاعته أن يراه بالوحي..)[٥].

وفي هذا النص تنزيه للإله عندهم عن أن يرى أو يسمع أو أن يدرك من قبل البشر بحواسهم وقدراتهم العقلية المحدودة. وفيه تصريح بأن الإنسان يقدر على معرفة الله تعالى فقط عن طريق الوحي وكلام الرب عن نفسه ووصفه لذاته، فالعقل قاصر عن معرفته تعالى وتصوره، ويحتاج إلى كلام من الرب ذاته عن ذاته لكي يقدر على الفهم وتقريب الصورة إلى الذهن.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣١- ٣٣.
(٢) سورة الحج، آية: ٧٥.
(٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} سورة الروم، آية: ٢٧، م٣، ص١١٦٦، برقم: ٣٠١٩.
(٤) **الغيطا**، ص٥٣٦.
(٥) **الغيطا**، ص٥٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- ((لكنك لا تستطيع أن تراني بعينيك الشحميتين تلك، لذا! سوف أمنحك أعينا إلهية يمكنك بها أن ترى قدراتي التجاوزية))[١].

يقول الشارح: (ينبغي فهم النظرة الإلهية بهذا الصدد. من يمكنه امتلاك نظرة إلهية؟ إن كلمة إلهي تعني رباني، وما لم يحرز الفرد الحالة الإلهية مثل حالة الملاك، فلا يمكنه امتلاك النظرة الإلهية. ومن هو الملاك؟ يرد في الأسفار الفيداوية بأن المكرسين إلى المولى "فيشنو" هم ملائكة..)[٢].

في هذا النص تشابه مع اعتقاد المسلمين بأن الله تعالى لا يرى في هذه الدنيا بهذه العيون البائدة الفانية، بل يمكن أن يرى في الآخرة بعينين أبديتين لا تفنيان. وقد استعمل النص للتعبير عن هاتين العينين القادرتين على رؤية الله تعالى مصطلح "الإلهيتان" أو "الربانيتان" أي أنهما عينان تتصفان بصفة من صفات الباري تعالى وهي صفة الأبدية، وأنهما لن تفنيا أو تبيدا.

٧- ((أيها العظيم، يا من هو أعظم من "بْرَهما"، أنت المولى الأصيل. فلم لا يقدمون لك كل الولاء، أيها اللامتناهي؟ يا ملاذ الكرة الكونية))[٣].

قال الشارح: (يشير أرجون بانحنائه هنا إلى أن **كريشنا هو معبود كل فرد**... كذلك يرى أرجون أنه **يليق بكل الكائنات الحية الكاملة وكل الملائكة الأقوياء الانحناء احتراما أمام كريشنا لأنه الأعظم على الإطلاق**. وهو يذكر بصفة خاصة أن كريشنا هو أعظم من "بْرَهما"... **إن "بْرَهما" والمولى "شيف" الذي ولد من "بْرَهما" بالإضافة إلى كل الملائكة الآخرين يجب أن ينحنوا احتراما أمام كريشنا**. ولذلك فإن المولى "شيف" و "بْرَهما" وجميع الملائكة الآخرين يحترمون المولى الأسمى..)[٤].

وهنا أيضا إثبات العجز لهذه الملائكة والنص على احتياجها للإله الأعظم والأوحد الخالق الأزلي، فكريشنا هو المعبود الأوحد لجميع الخلق، فليس هناك من يستحق العبادة غيره في اعتقادهم. ومع عظم بْرَهما وشيفا عند الهندوس إلا أنهما لا يساويان شيئا أمام الإله الأعظم، فهم مجرد مخلوقات ضعيفة فانية. والاحترام هنا بمعنى العبادة والتقديس.

٨- ((أنت أب هذه الظاهرة الكونية الكاملة، **أنت الزعيم المعبود**، والسيد الروحي. **لا أحد يعادلك**، كما **لا يمكن لأحد أن يفني فيك**. وضمن العوالم الثلاثة، **لا حد لطاقتك المهيمنة** دون حدود))[٥].

نجد في هذا النص مسائل عدة، فالإله هو الزعيم الأوحد أي سيد الأكوان ورب العالمين، وهو المعبود بحق والوحيد الذي يستحق العبادة، ولا أحد يعادله أو يوازيه أو يساويه في أي شيء ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ

---

(١) المرجع السابق، ص٥٣٩.
(٢) المرجع السابق، ص٥٦١.
(٣) المرجع السابق، ص٥٥٢.
(٤) المرجع السابق.
(٥) **الغيطا**، ص٥٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سَمِيًّا﴾[١] و ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٢] ولا حدود لطاقاته وقدراته المسيطرة على كل شيء في هذه العوالم كلها.

٩- ((أنت الله، **واجب العبادة على كل كائن حي**. إنني أسجد وأحني رأسي أمامك طالبا رحمتك. أرجوك أن تتحمل الأخطاء التي قد أكون ارتكبتها بحقك وعاملني كما يعامل الأب ولده، أو الصديق صديقه، أو المحب حبيبه))[٣].

وهنا أيضا توحيد للعبودية، وأن الله وحده المستحق للعبادة من بين جميع الكائنات.

١٠- ((من تتغلب عليه ظاهرة الصلاح يعبد الملائكة، ومن تتغلب عليه ظاهرة الانفعال يعبد الشياطين، وأما من تتغلب عليه ظاهرة الجهل، فيعبد الأشباح والأرواح الشريرة))[٤].

قال الشارح: (**استنادا إلى وصايا الكتب المقدسة، فإن المعبود الوحيد هو الإله الشخصي الأسمى**، لكن غير الضليعين أو غير المؤمنين بوصايا الكتب المقدسة يقومون على عبادة مواضيع مختلفة وفقا للأوضاع الخاصة في ظواهر الطبيعة المادية. إن الراسخين في الصلاح يقومون غالبا على عبادة الملائكة. **إن قائمة الملائكة تشمل "برَهما" و"شيف" وآخرين أمثال "إينضرَ" و"شنضر" وملاك الشمس. هناك ملائكة متنوعون.** إن المتأثرين بظاهرة الصلاح يعبدون ملاكا معينا لأجل غاية معينة. على هذا النحو، فإن من هم في ظاهرة الانفعال يقومون على عبادة الشياطين... الآن يوصف هنا بوضوح أن الخاضعين لظاهرة الانفعال، يعبدون ويخلقون مثل هذه الآلهة وأما الخاضعين لظاهرة الجهل (الظلمة) فإنهم يعبدون الأرواح الميتة. يقوم الناس أحيانا بالعبادة قرب قبر ميت. إن عبادة الجنس تعتبر في ظاهرة الظلمة كذلك. على هذا النحو، يوجد في القرى الهندية النائية كثير من عباد الأشباح. ونرى في الهند أن الطبقات السفلى من الشعب تذهب أحيانا إلى الغابة، وإذا تطرق إلى علمهم وجود شبح ما يعيش داخل شجرة، فإنهم يعبدون تلك الشجرة ويقدمون التضحيات. **إن مختلف أنواع العبادة هذه ليست بعبادة لله فعلا**، إذ إن عبادة الله تقتصر على الراسخين تجاوزيا في الصلاح الخالص..)[٥].

في هذا النص أيضا التصريح بمنع عبادة أي شيء مع الله تعالى، فهو وحده الخالق المعبود المستحق للعبادة، وكل من يعبد شيئا آخر غيره أو معه يكون مخطئا وضالا، فعبادة الملائكة مرفوضة كما هي عبادة الأرواح والقبور والجنس، وهذا دليل على نفي نظرية وحدة الوجود، إذ لو كان الله موجودا في جميع هذه الكائنات لجازت عبادتها كلها على السواء.

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٥.
(٢) سورة الإخلاص، آية: ٤.
(٣) المرجع السابق، ص٥٥٧.
(٤) المرجع السابق، ص٧٣٩.
(٥) الغيطا، ص٧٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النص يثبت أيضا أن جميع الآلهة الأخرى عدا الإله الأسمى إنما هي مجرد ملائكة موكلة وخاضعة لقدرة الله تعالى، وهي ترجو رحمته وتخاف عذابه كما جاء في الكيتا: ((وإن كلا من الآلهة: دانو، وكندهرب، وراكشش، وآلهة الطيور وآلهة الحيات... كلهم يقومون بأعمالهم خيفة العقاب))[١].

الخاتمة:

رأينا في هذا المبحث أنه قد تحدث عما نقله البيروني من كتب الهندوس، وكان جليا للقارئ بأن الهندوس البراهمة كانوا يؤمنون - في مرحلة من المراحل، وفي البدايات تحديدا - بأن الله تعالى، الخالق الأزلي واجب الوجود المستحق وحده للعبادة واحد أحد، لا يشابه المخلوقات، وهو مريد قادر، عليم متكلم، وهو محيط بكل شيء، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، يجل عن الصورة والشكل، ويتنزه عن المكان والزمان، لم يلد ولم يولد، لا أول له ولا آخر.

وهذه نتائج جديرة بالاهتمام كما لا يخفى، إذ إنها من الأهمية بمكان، حيث يمكن أن تكون منطلقا للقول بأن الديانات الوضعية المعروفة، إن وجد فيها ما يدل على أصول سماوية، ليست بوضعية في حقيقة الأمر، بل هي ديانات سماوية، لعبت فيها أيدي البشر وعقولهم، فحرفتها عن طريقها القويم، وأبعدتها عن أصولها ومنابعها. والله أعلم.

ورأينا التأييد الجزئي تارة، والكلي تارة، لما فهمه البيروني من كلام الهندوس في مختلف الكتب التي نقل عنها، وما ذهب إليه صراحة من أن البراهمة يوحدون الله تعالى في الذات وفي الصفات وفي العبادة أيضا، وقد أيد باحثون كثيرون هذا المذهب، ونصوا على أن الهندوسية في البداية كان فيها من التوحيد ما لا نستطيع تجاهله بحال من الأحوال، وإن بدا غامضا مبهما في أحيان كثيرة، وملتبسا مشوبا بالوثنية وتعدد الآلهة ووحدة الوجود أحيانا أخرى. ونص بعضهم صراحة على أن الديانة قد دخلها التحريف الكثير الذي غير ملامحها كلية، فصار الشيء الوحيد البارز فيها هو الشرك الغليظ والوثنية العميقة المتأصلة.

يقول إحسان حقي: (إن لكل شيء - عند الهنادكة - أصولا وقواعد. وهذا يدل على مدنية عريقة، **وإن كنا لا نفهم كثيرا من الأشياء، التي ربما تكون فقدت معانيها المقصودة؛ لعدم معرفتنا بعللها. أو أنها حرفت تحريفا أبعدها عنا بحيث أصبحت لدينا خرافة لا معنى لها**)[٢].

وهذا التحريف لم تخل منه ملة ولم ينج منه مذهب، حاشا كتاب الله المحفوظ المعجز.[٣]

---

(١) المرجع السابق، ص٣٥١.
(٢) **منو سمرتي**، ص١٨٧، حاشية ١.
(٣) انظر: ممدوح الزوبي، **هل كان زرادشت نبيا؟**، ط١، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الجمع بين النصوص

من المعلوم أن الهنود على مر العصور عبدوا الأصنام التي صنعوها بأيديهم، وقبل ذلك عبدوا آلهة غير مرئية تمثلت في ظواهر الطبيعة من أمطار ورعد وبرق وزرع وموت أو في كواكب مميزة كالشمس والقمر والمشتري وغيرها، وسموا لكل ظاهرة أو كوكب إلها باسم خاص به، فهنالك إله الشمس وإله الموت وإله الرعد وغيرها من الآلهة المتكثرة.

وفي مرحلة ما من مراحل تغير الديانة ظهر ثالوث أقدس، يضم الآلهة الثلاثة الأساسية لهذا الكون، وهم الإله براهما الخالق، والإله ويشنو أو فشنو الحافظ، والإله سيفا أو شيفا المهلك.

والسؤال هو: هل كان هذا التعدد هو الأصل في الهندوسية، أم هو طارئ عليها؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

تعدد الأسماء والصفات للإله الواحد

ذهب بعض الباحثين إلى أن تعدد الأسماء للآلهة المختلفة إنما هو تعدد لأسماء وصفات ووظائف الإله الواحد القديم واجب الوجود[١].

يقول فيليسيان شالي: (بيد أنه حتى في أعظم العهود الـــقـــديدية، كانت بعض النفوس تتساءل عما **إذا لم تكن كل هذه الآلهة المتعددة، وجوها مختلفة لإله مجهول واحد، هو الإله الأعلى**. ويعبر النشيد ١٢١ من الكتاب العاشر من الريغ - ڤيدا عن هذا القلق، بكلمات رائعة:

((هو الذي يهب الحياة، ويمنح القوة، وظله هو الخلود، وظله هو الموت، فمن هو هذا الإله؟! ولنمجده بالأضاحي)). ((وهو الذي بفضله تقوم جبال الثلج والبحر، مع الساقية البعيدة. هو الذي ذراعاه، مناطق السماء، فمن هو هذا الإله؟! ولنمجده بالأضاحي)). ((وهو الذي، بقوته، كان يطوف بعينيه حتى فوق المياه، التي تهب القوة، وتأتي بنار الأضحية، وهو الذي يقوم، وحده، فوق كل الآلهة، فمن هو هذا الإله؟! ولنمجده بالأضاحي))..)[٢].

ويتابع بقوله: (لكن نشيدا آخر من الريغ - ڤيدا يردد مثل هذه الفكرة: ((**إن الحكماء يسمون الكائن الأوحد، بصور شتى: فهم يسمونه أنيي Agni، وميترا، وفارونا...**))..)[٣].

فإذا كان الريغ - ڤيدا ينص صراحة على أن ذلك الإله واحد وله أسماء مختلفة كأغني وميترا وفارونا، فهو دليل ناصع قوي لا يضاهيه دليل، فهؤلاء الثلاثة هم من أبرز آلهة الهندوسية، فإذا كان الآلهة المتعددون إنما يرمزون إلى ذات واحدة، فقد ثبتت فرضيتنا والحمد لله.

وهذا النص الأخير قد نقله ألبير شويتزر في كتابه، مستدلا به، مؤيدا الفكرة القائلة بأن الذات الإلهية واحدة والأسماء مختلفة، فيقول: (هذه الديانة الشعبية تؤمن بالوحدانية دون أن تنكر من أجلها تعدد الآلهة، وإنما توفق بين إحداهما والأخرى **معتبرة الآلهة المختلفة تجليات للإله الأوحد**، ففي هذه الآلهة إنما يعبدون الله، ووجهة النظر هذه ينبئ عنها واحد من أناشيد الريغ - ڤيدا حيث يقول: "**يتحدثون عن إندرا ومترا وفارونا وآغني، رغم أنه لا يوجد إلا كائن واحد يطلق عليه المنشدون أسماء مختلفة**"..)[٤].

---

(١) عمارة نجيب، **الإنسان في ظل الأديان**، ص١٨٨.
(٢) فيلسيان شالي، **موجز تاريخ الأديان**، ط٢، ترجمة: حافظ الجمالي، دار طلاس للدراسات، دمشق، ١٩٩٤م، ص٧٣.
(٣) المرجع السابق.
(٤) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذا النص الصريح الجلي من الريغ - ڤيدا نجد أن الأسماء الإلهية المتعددة، التي يعدها الباحثون آلهة متغايرة، إنما هي أسماء لإله واحد أوحد، لا شريك له البتة، وهذا الكتاب هو أهم وأقدم كتاب على الإطلاق في الديانة الهندوسية، فتأمل.

وعن هذا النص ذاته يقول جفري بارندر: (..ومع ذلك فأعظم التأملات نفاذا في الريج - ڤيدا هي تلك التي تصنع مبدأ محايدا مثل "الواحد الحق" الذي يقال لنا أنه **يتسمى بأسماء مختلفة مثل: إندرا ومترا، وفارونا وأجني..** إلخ، على نحو ما يقال إن الآلهة هي مظاهر للمطلق، وفي مكان آخر ينسب الخلق إلى هذا "الواحد" الذي يشرف على الكون، والذي لا يعرف إلا ببصيرة القديسين لا من التراث، ولا من الآلهة.. **وهكذا تحقق ضرب من الواحدية الحقة في نهاية الفترة التي تم فيها تأليف "الريج - ڤيدا"**. وواصلت النصوص التالية البحث عن "المبدأ الواحد" الذي يكمن خلف الكون)[١].

ويقول شويتزر: (في كثير من الفرق الهندوسية يحتل شيفا مكان فيشنو، وفي فرق أخرى يعتبر الإله براهما هو الإله الأوحد... نفهم من الهندوسية الشكل التوحيدي من الديانة الشعبية التي **يعتبر فيها كريشنا وفيشنو وشيفا وراما والإله براهما وآلهة أخرى من المقام الأول تجليات مختلفة للإله الكوني الوحيد**. في نظر هذه الهندوسية المتطورة يشكل فيشنو وشيفا والإله براهما نوعا من الثالوث، **فالإله نفسه له ثلاثة أسماء ترتبط بثلاثة مظاهر لشخصيته ونشاطه**. والاسم المعتاد للإله في الهندوسية هو "بهاغافات" أي السيد أو المعبود..)[٢].

ويقول أيضا: (يضاف إلى ذلك أنه يوجد في الأناشيد الـڤـيدية **ميول توحيدية واضحة**، والآلهة العليا ليست مميزة تماما بعضها عن بعض وإنما تشكل **شخصية واحدة متعددة الجوانب لها أسماء مختلفة**)[٣].

فهذا رأي صريح في أن الإله واحد ولكن الأسماء متكثرة.

يقول أحمد شلبي: (وحوالي القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى إبراز هذه النتيجة التي **تقرب من التوحيد** أو تصل إليه، **فقد جمعوا الآلهة في إله واحد**، وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه، ثم يهلكه ويرده إليه، **وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو براهما من حيث هو موجد، وهو فشنو من حيث هو حافظ، وهو سيفا من حيث هو مهلك**... **فبْرَهما اسم الله في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها، لا حد له، وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالم وجوده**)[٤].

---

(١) جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٥٤.
(٢) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص١٥٢ باختصار.
(٣) المرجع السابق، ص٣٢.
(٤) أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٤٦ - ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذا الكلام تصريح بأن الإله واحد ولكن أسماءه أو صفاته عديدة، وهو الذي نص عليه الهندوس، فهم قد عبدوا إلها واحدا، له من الأسماء والصفات الكثير، ولكن أهمها كانت الخلق والحفظ والإفناء.

وفي رأيي أنه ما دام أن التوصل إلى التوحيد حصل مرة قبل الميلاد، فالاحتمال الأكبر هو أنه قد ظهر في تلك الأزمان أنبياء أو ورثة أنبياء من علماء ومصلحين، قاموا على التصحيح والتجديد، ولم ينقل لنا التاريخ عن شخصياتهم وأعمالهم وتعاليمهم غير شيء يسير، ممزوج بالباطل والتحريف.

أقول هذا، وأنا أستحضر في ذهني ما حدث مع بوذا من إشراقة أو إلهام عده بعض الباحثين الغربيين وحيا ربانيا[١]. فقد يكون هو - بشكل أو بآخر - أحد هؤلاء المصلحين الثائرين على التحريفات والبدع التي ظهرت بين الهندوس.

أما قول شلبي: "وصل فكر الكهنة الهنود" فكل باحث له الحق في استنتاج وترجيح ما يراه. أما أنا فأخالف المؤلف وأرى أن ما حصل لم يكن تطورا، فلم نعهد أمة تطورت من الشرك إلى التوحيد، بل كل من قرأنا عنهم في القرآن الكريم وفي كتب التاريخ تحولوا من التوحيد إلى الشرك، فالبداية دائما تكون في أنوار الحق ثم تعبث الأيدي الآثمة بالتعاليم فيحصل التحريف إلى الشرك والبدع. تماما كالذي حصل مع قوم نوح وعرب الجزيرة واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

وقد يكون هؤلاء الكهنة الهنود الذين توصلوا إلى التوحيد، لم يتوصلوا إليه بعقولهم، بل محتمل جدا أنهم كانوا أنبياء أو علماء مجددين ورثة لأنبياء سابقين، جاؤوا بالدين الحق لتصحيح الاعتقاد، والله أعلم.

ويتابع شلبي فيقول: (وقد جاء في كتاب (الباجافاتا بورانا) وهو من الكتب الهندية المقدسة، أن كاهنا توجه إلى الآلهة بْرَهما وفشنو وسيفا وسألهم: أيكم الإله بحق؟ فأجابوا جميعا: اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة، **فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله**، من خلق وحفظ وإعدام، **ولكنه في الحقيقة واحد**، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا، أو عبد الواحد الأعلى)[٢].

وربما عكر على نظريتنا هذه قوله: "فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا" فيظن القارئ لأول وهلة بأن هذه الثلاثة هي أقانيم وذوات مستقلة.

وهذا لا يلزم، فإنه من الراجح عندي أن هذه الصورة تشبه ما قد يفعله أي مسلم من دعائه الله تعالى الواحد بأسمائه المختلفة، مصداقه قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[٣] فالله تعالى له أسماء عدة، فأيا دعا المؤمن فهو على صواب ورشاد، وهو إنما يدعو إلها واحدا ولكن بصفات مختلفة فهو الله وهو الرحمن. وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ

---

(١) انظر: أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص١٤٢- ١٤٣.
(٢) المرجع السابق، ص٤٨.
(٣) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[١] أيضا إرشاد مشابه، فهو الله الواحد؛ خالق وبارئ ومصور.

ويتابع شلبي بقوله: **(وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الثالوث الجديد ظهر متأخرا نتيجة للتطور الذي سقناه، ومن أجل هذا ليس له ذكر في الويدا**، أما الآلهة الواردة بالويدات فعديدة، ولكنها اجتمعت في ثلاثة آلهة رئيسية هم: فارونا في السماء، وإندرا في الهواء، وأغنى في الأرض)[٢].

فليس لهذا الثالوث الذي أصبح أهم وأبرز عقائد الهندوس أي ذكر في الفيدا المقدس، بل كان لهذه الأسماء الثلاثة معان أخرى لا علاقة لها بالألوهية والتأليه. يقول عبد الرزاق أسود بأن كلمة (البراهما) في الأزمنة القديمة كانت تعني الصلاة التي تصحب القربان، وأنه لا يظهر أنها كانت شيئا آخر. والظاهر أن فكرة براهما المعددة للآلهة نشأت بواسطة الكهان، ويقول بأن عقيدة التثليث قد وجدت لدى الهنود فغلبت على توحيدهم السابق[٣].

وينقل محمد الشرقاوي عن كتاب مجمع البحرين (الهندوسية والإسلام) للأمير المقتول محمد دارا شيكوه[٤]، قوله بأن **عباد الهنود يؤمنون بإله واحد، يصفونه بثلاث صفات، وهي الخلق والحفظ والإفناء**[٥].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢٤.

(٢) أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٤٨. وانظر: عبد الرزاق محمد أسود، **موسوعة الأديان والمذاهب**، م١، ص٥٣.

(٣) انظر: عبد الرزاق محمد أسود، **موسوعة الأديان والمذاهب**، م١، ص٥٤.

(٤) هو محمد قادري (٠٠٠ - ١٠٧٠ هـ) (٠٠٠ - ١٦٦٠م) محمد داراشكوه بن شاه جهان الملقب بقادري. صوفي، من أبناء ملوك الهند. وكاد أن يصبح سلطانا خلفا لأبيه، لولا أن أخاه أورنك زيب قد هزمه وقبض عليه ثم أعدمه، واستولى على الملك لنفسه. من آثاره: السر الأكبر في التصوف، سكينة الأولياء، سر الأسرار، ديوان الإكسير، وحسنات العارفين. انظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، م٩، ص٢٩٤. وإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ، ١٩٢٠م)، **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دط، ٢م، وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م، م٢، ص٢٨٨. ويوسف اليان سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، دط، ٢م، مطبعة سركيس، مصر، ١٩٢٨م، م١، ص٤٩٧.

وهو ابن ملك الهند السلطان خرم شاه جهان بن جهان كير ابن شاه أكبر، الذي بنى "تاج محل" تخليدا لذكرى زوجته "ممتاز محل"، وينتهي نسبه إلى الأمير تيمورلنك السلطان المغولي المشهور.

وأخوه المذكور هو ملك الهند السلطان محمد أورنك زيب عالم كير (١٠٢٨ - ١١١٨ هـ = ١٦١٩ - ١٧٠٧م) من علماء الملوك المسلمين. فتح بلدانا كثيرة. ووصفه مؤرخوه بأنه المجاهد العالم الصوفي. حفظ القرآن من صغره وكتب الخط المنسوب ومنه مصحف بخطه أرسله إلى الحرم النبوي. وكان مرجعا للعلماء. وأمر الأحناف منهم بأن يجمعوا باسمه فتاوى لما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية، فجمعوا (الفتاوى الهندية - ط) أربعة مجلدات، وتسمى (الفتاوى العالمكيرية) أقام في الملك خمسين سنة، وتوفي بالدكن ودفن في تربة آبائه. انظر: الزركلي، **الأعلام**، م٦، ص٤٦. والمرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (ت ١٢٠٦ هـ)، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ط١، ٤م، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، م٤، ص١٢٦-١٢٧.

(٥) انظر: محمد عبد الله الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الكتاب حاول فيه مؤلفه إيجاد نقاط التقاء بين الإسلام والهندوسية، **وقد كان يعتقد هذا الأمير بأن الأسفار الهندوسية فيها بقية وحي وآثار نبوة، وبأنها ليست وضعا إنسانيا خالصا، لأنه لابد وأن الله الرحيم قد أرسل للهند رسولا أو رسلا يبشرونهم وينذرونهم**[١].

ويقول الأمير بأن النصوص الدالة على التوحيد المذكورة في كتب الفيدا قد جمعت وشرحت في الأوبانيشاد التي هي محيط من التوحيد زاخر.. فهو من أقدم الكتب السماوية في نظره ومن ينابيع التوحيد المتدفقة..[٢]

ويتحفظ الشرقاوي على بعض تفاصيل محاولة الأمير تلك للتقريب بين الديانتين[٣]، غير أنه يبدي إعجابه بها؛ فيقول: (كما أننا لا نجزم بأن ما جاء في الأوبانيشاد فيه "بقية وحي وأثارة نبوة" فإننا لا نقطع كذلك بأن هذا الكتاب لا يحتوي على شيء من ذلك، فالأمر على الجواز والإمكان، وإن كان ذلك كذلك، فمن الجائز أن يكون فيه بقية وحي وأثارة نبوة، وبما أن الوحي كله سابقه ولاحقه من مصدر واحد، وأن الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم أنه، أي أن الإشارة إلى القرآن أو إلى بعض معانيه وتعاليمه وأسراره مذكورة في الكتب السابقة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ولئن جاز أن يكون في الأوبانيشاد بقية وحي وأثارة نبوة، جاز أن تكون من "زبر الأولين". والله أعلم)[٤].

وينقل محمد الشرقاوي أيضا عن مؤرخ ومفكر هندوسي يدعى "تاراشند"[٥] قوله: (لقد أصبح التوحيد في العصور الوسطى الديانة المسيطرة على الهند كلها، **وقد يسمى الإله الواحد بأسماء عديدة مثل شيفا وفشنو أو بأي اسم آخر، وربما وجدت نظريات مختلفة عن وجوده وخلقه وصلته بالإنسان، لكنه إله واحد فوق الجميع**)[٦].

والقول بأنهم توصلوا إلى التوحيد قبل الميلاد قد يساعدنا على الاعتقاد بأن أنبياء أو مصلحين مجددين من ورثة الأنبياء، قد ظهروا بين الهندوس وأعادوهم إلى العقيدة السليمة الأصلية، والله أعلم.

والذي يفيدنا في دراستنا من هذا النص هو تأويل الثالوث وحمله على معنى الصفات للإله الواحد، وهو الذي ذهب إليه كثير من الباحثين، وهذا النقل يؤيد النقول الأخرى السابقة، وهو الذي أبحث عنه.

ونجد أيضا أن الإله الأسمى في البهغفض غيطا وهو المدعو "كريشنا" والذي يعدونه أحد تجليات "فيشنو" تطلق عليه أسماء وصفات كثيرة مختلفة، كل لفظ له دلالته الخاصة. وفي هذه المسألة.

---

(١) انظر: محمد عبد الله الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص٨١، ١٠١.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص٩٥.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٠١.
(٤) المرجع السابق.
(٥) لم أجد له ترجمة.
(٦) محمد عبد الله الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص١٠٣- ١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول شارح الكيتا: (إن تحقيق الحق الأعلى ثلاثي المراحل: "برهمن" اللاشخصي و "برما آطما" المتمركز وأخيرا الإله الشخصي الأسمى. وعليه، فإنه عند المرحلة الأخيرة لفهم الحق المطلق يصل الفرد إلى الإله الشخصي الأسمى. إن المتحرر وحتى الإنسان العادي قد يكون بمقدوره تحقيق "برهمن" اللاشخصي أو "برما آطما" المتمركز، مع ذلك قد لا ينجحون بفهم شخصية المولى من آيات نشيد المولى الذي قاله كريشنا. في بعض الأحيان يقبل اللاشخصيون كريشنا بصفة "بهغفان" أو حتى يقبلون بسلطته. مع ذلك لا يقدر كثير من المتحررين أن يفهموا كريشنا بصفة "بورشوطم" الشخص الأسمى، أبو جميع الكائنات الحية. وعليه، يخاطبه أرجون بصفة "بوروشوطم". وإذا استطاع أحد أن يفهم بأنه أبو جميع الكائنات الحية، فقد لا يعرفه بصفة الحاكم الأعلى، وعليه، يخاطبه أرجون هنا بكلمة "بهوطش" الحاكم الأعلى لكل فرد. وحتى إذا عرف أحد كريشنا بصفة الحاكم الأعلى لجميع الكائنات الحية، فقد لا يعرف أنه أصل جميع الملائكة، وعليه، فإنه يخاطبه هنا بصفة "ضف ضف" الرب المعبود عند جميع الملائكة. وحتى إذا عرفه أحد بصفة معبود جميع الملائكة، فقد لا يعلم بأنه المالك الأعلى لكل شيء، وعليه، خوطب بصفة "جغط بطي"..)[١].

ونستطيع أن نستخرج بعض الصفات الإلهية من هذا النص على النحو التالي:

* "برهمن" اللاشخصي
* "برما آطما" المتمركز
* "كريشنا" الإله الشخصي الأسمى.
* "فيشنو"
* "بهغفان"
* "بورشوطم" الشخص الأسمى، أبو جميع الكائنات الحية.
* "بهوطش" الحاكم الأعلى لكل فرد.
* "ضف ضف" الرب المعبود عند جميع الملائكة.
* "جغط بطي" المالك الأعلى لكل شيء.

وهناك أسماء أخرى خاطب بها أرجون مولاه كما جاء في النشيد المبارك، ومنها:

* "غوفينض"[٢]
* "مضهوسوضن" قاتل الشيطان "مضهو"[٣].
* "جنارضن"[١]

---

(١) **الغيطا**، ص٥١١.
(٢) المرجع السابق، ص٧٣.
(٣) المرجع السابق، ص٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* "مهاطما" الجواد واللامحدود[٢] وهو لفظ مركب من لفظين: "مها" ومعناه: العظيم، أو الأعظم. و"آتما" ومعناه: الروح. أي: الروح الأعظم. وهذا اللفظ يطلق على الصلحاء والقديسين..[٣]

فإذا هم أرادوا لهذه الصفات والأسماء الكثيرة أن تعبر عن شخص واحد وذات واحدة، فلا نستطيع أن نلزمهم بأنهم يؤمنون بعدد من الآلهة مساوٍ لهذه الأسماء والصفات ونقول: أنتم تؤمنون بآلهة عديدة. فإذا قرروا صراحة بأن الإله فيشنو مثلا له أسماء عديدة بحسب الصفة أو الوظيفة فهو الشيء المعتمد.

وذكر مثل هذا علي زيعور أثناء حديثه عن الآلهة، فقد أشار إلى أنه يعتقد البعض بأن **هذه الآلهة الكثيرة المتعددة إنما هي مظاهر أو صفات أو أسماء لوحدانية مخبأة داخل هذه الكثرة المتكثرة وتحت تلك الوثنية البادية الجلية**[٤]، وفي موضع آخر يتقبل فكرة وجود التوحيد في أسفار الـڤيدا، ولكنه يعتبره مجرد تطور فكري، لا رباني موحى به، فيقول: (يذهب بعض المتحمسين إلى أن في الـڤيداوات إيمانا بالوحدانية، وأن الشرك [التعدد في الآلهة] ليس سوى مظاهر وصفات وأسماء مختلفة للإله الواحد. والحقيقة، إن في الـڤيداوات ما هو شرك، **وفيها أيضا ما ينم بوضوح عن العقيدة الوحدانية في الإله**، لاسيما في النتاج المتأخر، الفلسفي، والمتطور، في بعض الأقسام كما في الأوبانيشادات مثلا. بعبارة تقول أكثر، إن التوحيد الذي نلقاه كان نتيجة تطور فكري، ونضج في التفلسف التعبدي والديني..)[٥].

أما قوله: "إن التوحيد الذي نلقاه كان نتيجة تطور فكري" فهو رأيه، وأخالفه في ذلك، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الفيدا يحتوي على التوحيد الصريح الجلي.

يقول السيد أخلاق حسين الدهلوي: (هكذا، يعترف بعض المستشرقين المنصفين بأن **الـڤيدا المقدس حامل لراية التوحيد**، ولكن بعض المستشرقين المتعصبين من ذوي العقول الضيقة يرون التعدد في الآلهة في الـڤيدا المقدس، ويظنون أن الديانة الـڤيدية وثنية، وهذا خطأ، فإن الذين ليسوا متعصبين، لا يرون كثرة الآلهة، وإنما **يحسبونهم أسماء لصفات الله**، ويثبتون أن **عبادة الأصنام كانت شائعة في عهد الجهالة**، وهم يعتبرون الديانة الـڤيدية دين الوحدة أساسا..)[٦].

وأختم بكلام الأستاذ الكبير إحسان حقي المؤيد لذلك التفسير لمسألة تعدد الآلهة إذ يقول: (ويعتقدون [يعني: الهنادكة] بآلهة ثلاثة، وهم: براهما، ويشنو، ومهيش[٧]، كصفات ثلاث للإله الأعظم برماتما...

---

(١) **الغيطا**، ص٥١٣.
(٢) المرجع السابق، ص٥٥٢.
(٣) **منو سمرتي**، ص٢٦٩، حاشية ١.
(٤) علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص١١٤.
(٥) المرجع السابق، ص١١٩.
(٦) **مجلة ثقافة الهند**، م٤١، ص١٠٦.
(٧) "مهيش" هو ذاته الإله "شيفا" المهلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويزعمون أن صفة الخلق تمثلت في بْرَهما، وصفة الإعاشة تمثلت في ويشنو، وصفة الإبادة تمثلت في مهيش..)[١].

الخاتمة:

رأينا في هذا المطلب، أن تعدد الآلهة عند الهندوس لم يكن في الأصل مرادا هكذا على ظاهره، إنما كان المقصود هو تعدد الأسماء أو الصفات للإله الواحد الأزلي، فحين يقول المسلم مثلا: أنا أعبد الجبار، أو الرزاق، أو مالك الملك، فهل يريد ذوات مغايرة لذات الله تعالى؟! هذا لا يقوله مسلم! وكذلك الأمر حين يقول الهندوسي: أن أعبد شيفا، مثلا، والذي معناه المهلك، أو براهما والذي معناه الخالق، أو فيشنو الذي معناه الحافظ، فإنما يريد الله تعالى الواحد، ولكن وصفه بصفات مختلفة، أما الانحراف عن هذا واعتبارها ذوات متعددة فهو انحراف طارئ على الديانة، وهو متأخر عن العهود الأولى لظهور الديانة.

ومن أسباب مثل هذه الانحرافات ما قاله ألبير شويتزر: (في البدء كان البراهمانيون لا يزالون مشبعين بفكرة أن سر ما وراء الطبيعة يكمن في الطقس والرموز الطقسية والأساطير، فأخذوا ينقبون في أقسام الـــقـــيدا الأربعة **ويشرحونها معتمدين في ذلك على علوم الاشتقاقات اللغوية والمجازات والاستعارات الأكثر تعسفا واعتباطا**، وكانت تلك بداية الفكر البراهماني الذي تعبنا كثيرا من أجل فهمه)[٢].

فالتأويل الفاسد للنصوص، وتحوير معانيها إلى مقاصد يريدها البشر، يؤدي إلى التغيير في العقيدة والتصور، فتكون الديانة في المشرق، ثم لا تلبث مع الأيام واختلاف الفهوم، أن تصير في المغرب، فيصبح أولها وآخرها على طرفي نقيض.

ويقول شويتزر أيضا: (**وبتأثير من المفاهيم الشعبية** تحول البراهمان اللاشخصي إلى براهمان اعتبر كشخصية إلهية، وللدلالة على هذه الشخصية الإلهية لم يستعملوا الصيغة الحيادية براهمان، وإنما الصيغة المذكرة براهما، والإله براهما هذا هو الذي تجلى - بحسب الرواية الشعبية - لبوذا من أجل إقناعه بألا يقصر على نفسه معرفة الخلاص بل ينشرها بين الناس)[٣].

---

(١) **منو سمرتي**، ص١١ الحاشية.
(٢) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٣٣.
(٣) المرجع السابق، ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

عبادة الظواهر الطبيعية وتأليه الملائكة

مر معنا في السابق أن الهندوس قد قدسوا ظواهر الطبيعة وجعلوا لكل ظاهرة إلها معبودا، لكن السؤال الذي يطرح هنا هو: هل كانت هذه العبادات هي الأصل في هذه الديانة العريقة؟

أفترض، أن تأليه الظواهر الطبيعية إنما حصل من تعظيم الملائكة الموكلين بهذه الظواهر، ومع مر الزمان وفشو الجهل، اعتقد الناس هذه الملائكة آلهة تشاطر الله ملكوته وتصرفه في الأكوان، فعبدوها مع الله تعالى.

جاء في كتاب البهغفض غيطا:

١ - ((بينما تقوم الطبيعة بكل أنواع الأعمال، تتوهم النفس الموهومة نتيجة تغلب ظواهر الطبيعة عليها، بأنها الفاعلة))[١].

قال الشارح: (قد يبدو العامل بوعي كريشنا[٢] على صعيد واحد، في الظاهر، مع صاحب الوعي المادي، إلا أنه يوجد بون شاسع بين مقاميهما. حيث يوحد الأخير ذاته بالأنا الباطلة، وبذا يعتقد أنه هو الفاعل لكل شيء، **جاهلا أن ميكانيكية الجسد ناتجة عن الطبيعة المادية، التي تعمل بتوجيه المولى، وبالتالي فإنه تحت سيطرة كريشنا في الأساس**. كما يأخذ الموحد ذاته بالأنا الباطلة، كل الفضل لنفسه متوهما استقلاله بإنجاز أي عمل، وهذه هي علامة جهله..)[٣].

في هذا النص يصرح كريشنا بأن الناس قد يتوهمون وينظرون إلى الطبيعة على أنها هي التي تقوم بمختلف الأعمال والظواهر الطبيعية كإنزال المطر وإنبات الزرع وشروق الشمس وجريان الأنهار وغيرها، فهم ينظرون إلى الظاهر فقط، ويحكمون بأن الطبيعة قادرة ومريدة ومستقلة عن أية قوة علوية تتحكم بها.

وهذا الاعتقاد - في نظري - يؤدي إلى عبادة هذه الطبيعة وتقديسها واعتبارها إلها مريدا أو آلهة تتحرك بذاتها دون احتياج لأحد، فتصبح الأرض إلها والسماء إلها والأنهار آلهة أيضا، ومع مرور الزمن يصبح لكل ظاهرة من الظواهر إله مستقل مسؤول عنها يحركها ويقودها، فيعبد هذا الإله ويعظم.

قال البيروني: (ولذلك قيل في كتاب "كيتا": ((إن كثيرا من الناس يتقربون في مباغيهم إلي بغيري، ويتوسلون بالصدقات والتسبيح والصلاة لسواي، فأقويهم عليها وأوفقهم لها وأوصلهم إلى إرادتهم لاستغنائي عنهم)). وقال فيه أيضا "باسديو" لأرجن: ((ألا ترى أن أكثر الطامعين يتصدون في القرابين

---

(١) **الغيطا**، ص١٩١.
(٢) إن وعي كريشنا يعني: العمل وفقا لأمر كريشنا. انظر: **البهغفض غيطا**، ص٨١٣.
(٣) **الغيطا**، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والخدمة **أجناس الروحانيين** والشمس والقمر وسائر النيرين، فإذا لم يخيب الله آمالهم لاستغنائه عنهم، وزاد على سؤالهم وآتاهم ذلك من الوجه الذي قصدوه، أقبلوا على عبادة مقصوديهم لقصور معرفتهم عنه، وهو المتمم لأمورهم على هذا الوجه من التوسيط، ولا دوام لما نيل بالطمع والوسائط إذ هو بحسب الاستحقاق، وإنما الدوام لما نيل بالله وحده عند التبرم بالشيخوخة والموت والولادة)). فهذا ما في كلام باسديو..)[١].

وفي ظني أن المراد بأجناس الروحانيين الملائكة، وهذا اعتراف منهم وفي كتبهم المعتبرة، فيه أن كثيرا من الناس والعباد يتقربون لغير الله من الملائكة والكواكب وغيرها مما يعتقدون تأثيره في الكون، وامتلاكه القوة المؤثرة في العالم. وهذا ما صرح به كريشنا في نشيد المولى، وشارحه أيضا، كما مر معنا سابقا، وسيمر قريبا الكثير منه.

وسبق وأن نقلنا كلام الشيخ محمد علي الزعبي في مقدمته لكتاب البهغفض غيطا، وننقل هنا جزءا منه، للحاجة الماسة إليه في هذا الموضع. قال الشيخ: (أدرك ولدنا الأستاذ رابح قوة **النصوص الـــڤـــيداوية التي لا ترضى عن الوحدانية السليمة المنزهة بديلا**، طبعا والإنسان الهندي يمثل الإنسان السليم في الأصل، ولذا **تحتفظ ڤيداه بسلامة العقيدة، فلا ترى إلا الخالق العظيم**، وإن دعته "بهغفان" أو كريشنا... صحيح أن الـــڤـــيدا تتحدث عن "بْرَهما" و "شيف" لكن تراهم مخلوقين، **وطالما صرحا: نحن ملائكة موكلون ولسنا آلهة**...

ومن هنا يجزم القارئ أن الـــڤـــيدا لا ترى آلهة متعددين بل إلها واحدا، أما احترام هؤلاء فلا يعني إلا ما يقوله مشركو الجاهلية: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[٢]... هذا هو موقف الراسخين من خدام الـــڤـــيدا، الذين يحرصون على التوسط ويرون التنزيه حقيقة...

على أن احترام الملائكة لا يعني أنها أقانيم - جواهر مشتركة في التكوين - بل يعني - كما يفهم بعض علماء الـــڤـــيدا - التنازل المؤقت لعقول السواد البسيط الذي يراهم مظاهر ساهمت بالتكوين، كأن التوجيه المخلص يقول لهم: "إذا لم تعبدوا الله وحده؛ اعبدوا الملائكة" يعني الذين يقومون بدور الوساطة بين الله والناس برأي ذاك السواد، لأن عبادتهم ولو كانت غير صحيحة خير من الإلحاد..)[٣].

جاء في مقدمة البهغفض غيطا: (**لا ينصح نشيد المولى بعبادة مختلف الملائكة، أو بأداء خدمة إليهم**، كما ينص في الآية العشرين من الفصل السابع على ما يلي: ((من تكون عقولهم مشوهة بالرغبات المادية يسلمون بالملائكة ويتبعون القوانين والأنظمة المرعية للعبادة تبعا لطبائعهم)) يقال هنا بوضوح: إن

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٩٣- ٩٤.
(٢) سورة الزمر، آية: ٣.
(٣) **بهغفض غيطا**، ص٢- ٤ باختصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسيرين بواسطة الشهوة يعبدون الملائكة وليس الأسمى شري كريشنا... **ولقد نهى كريشنا والده "تنض مهاراج" عن عبادة الملاك "إنضرَ" لأنه أراد توطيد الحقيقة بأن البشر ليسوا بحاجة لعبادة أي ملاك، بل لعبادته وحده، ذلك لأن هدفهم الأقصى هو العودة إلى مقامه**..)[١].

ويقول شارح البهغفض غيطا أيضا: (لا تشجع عبادة الملائكة هنا، لأنه حتى **أعظم الملائكة أمثال "بْرَهما" و"شيف"** لا يمثلان سوى جزء من قدرات المولى الأسمى. إن المولى الأسمى هو أصل كل شيء مولود، ولا يوجد شيء أعظم منه. هو "سمطا" التي تعني أنه لا يعلو عليه أحد ولا يعادله أحد. يذكر في "فيشنو - منطر" بأن كل من يعتبر المولى الأسمى كريشنا على قدم المساواة مع الملائكة - سواء "بْرَهما" أو "شيف" - فإنه يصبح ملحدا على الفور..)[٢].

وحتى هذه العبادة التي يقوم بها بعض الهندوس تجاه الملائكة ليست عبادة على الحقيقة كالتي يقومون بها تجاه الخالق سبحانه، بل هي أقرب إلى الخدمة والاحترام والتبجيل المبالغ فيه، والذي قد نشبهه بغلو بعض المسلمين في الأنبياء والأولياء. يدل على ذلك الآتي:

٢- ((من بين كل اليوغيين، الذي يحيا في بإيمان كبير، ويعبدني بخدمة تجاوزية، هو أقرب صلة بي في اليوغا، وهو أعظم الجميع))[٣].

يقول الشارح: (إن كلمة "بهجطي" ذات دلالة خاصة هنا، وأصلها الفعلي "بهج" وتستعمل عند وجود حاجة الخدمة. **لا تخدم كلمة "العبادة" المعنى تماما، حيث تأتي العبادة بمعنى التكريم، تقديم الاحترام أو تبجيل شخص مستحق. لكن الخدمة المتصفة بالحب والإيمان هي للإله الشخصي الأسمى**. قد يتجنب الإنسان عبادة شخص محترم أو ملاك، بمعنى عدم تقديم آيات الاحترام أو التعظيم إليه، ويسمى عندها خاليا من الكياسة والأدب، لكنه لا يستطيع تجنب خدمة المولى الأسمى دون أن يدان... تستعمل كلمة "بهجنطي" هنا أيضا، **لذلك ترتبط "بهجنطي" بالمولى الأسمى فقط، بينما يمكن استعمال كلمة "عبادة" على الملائكة أو أي كائن آخر**..)[٤].

في هذا النص تصريح بأن مصطلح "العبادة" في الهندوسية توازي الاحترام والتبجيل لأي شخص مبجل وقدير، وذو مقام ومكانة دينية عالية، وأن العبادة التي نقصدها في الإسلام والتي لا تجوز لغير الله تعالى إنما يطلق عليها الهندوس لفظ "الخدمة المتصفة بالحب والإيمان". فهو اصطلاح خاص بهم ولا بد لنا من محاكمتهم بحسب اصطلاحهم لا بحسب فهمنا للكلمات. فعبادة الملائكة - الآلهة ليست عبادة على ما

---

(١) **الغيطا**، ص٣٤- ٣٥.
(٢) المرجع السابق، ص٥٣١.
(٣) المرجع السابق، ص٣٤١.
(٤) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نعرفه، بل احترام وتبجيل. ومثلها عبادة العالم كما جاء في الكيتا: ((على الملك بعد أن يستيقظ مبكرا أن يعبد بكل أدب البرهمن العالم بالويد الثلاثة حق العلم وأن يتبع نصائحه))[١].

قال الشارح: (العبادة هنا بمعنى التكريم والتعظيم. وهذا البرهمن هو مشير الملك ووزيره)[٢].

٣- ((عندئذ بارتباك وذهول، بدأ أرجون بالابتهال مرتجفا ومقشعر الشعر ضاما يديه إلى بعضهما البعض وقد أحنى رأسه أمام المولى))[٣].

وقد جاء في شرح كتاب البهغفض غيطا الآتي: (ومن أجل توطيد ألوهية كريشنا لدى الجميع، فإنه يطلب من كريشنا في هذا الفصل إظهار صورته الكونية. عندما يرى المرء الصورة الكونية لكريشنا فعلا فإنه يصاب بالذعر، كما حدث لأرجون، لكن كريشنا لطيف لدرجة أنه بعد إظهار هذه الصورة يعود إلى صورته الأولى..)[٤].

وهذا الذي حدث لأرجون حين ظهر له كريشنا في صورته الكونية ذكرني بما حدث لرسول الله ﷺ حين رأى جبريل الأمين عليه السلام على صورته الحقيقية ففزع ووجل قلبه[٥].

فقد يكون كريشنا ذاته ملكا من ملائكة الوحي، ينزل على أشخاص محددين ليعلمهم بأوامر الله تعالى، فما حدث بين كريشنا وأرجون يشبه نزول جبريل على الأنبياء، وتعليمه لهم الحق من الباطل، ويشبه بصورة خاصة ما حدث بين جبريل ونبينا محمد ﷺ، وحواراتهما معا.

٤- ((إذا رضيت الملائكة بالتضحيات، سوف تهبكم كل ما تحتاجون، كونها موكلة بمختلف ضروريات الحياة. أما إذا تمتع الإنسان بهذه الهبات دون أن يقدمها إلى الملائكة بدوره فإنه يكون لصا بلا ريب))[٦].

يقول الشارح: (**إن الملائكة هي وكلاء الإله الشخصي الأسمى فيشنو**. لذا، يتوجب على الإنسان العمل على إرضائها بتقديم "ياغيا" الشرعية. توجد في الـــقـــيدا أنواع مختلفة من "ياغيا" تناسب مقام كل ملاك. إلا أنها تقدم في الأساس إلى الشخص الإلهي الأسمى. **كما أن تقديم التضحيات إلى الملائكة يقتصر بوجه عام على العوام القاصرين عن معرفة الإله الشخصي الأسمى**..)[٧].

---

(١) **الغيطا**، ص٣٥٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق، ص٥٤٢.
(٤) المرجع السابق، ص٥٣٤.
(٥) انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، م١، ص٤، برقم: ٣. و م١، ص٥، برقم: ٤. ومسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، م١، ص١٣٩، برقم: ١٦٠. و م١، ص١٤٣، برقم: ١٦١.
(٦) **الغيطا**، ص١٧٦.
(٧) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا كلام جيد يقرر فيه صاحبه أن عبادة غير الله من الملائكة - الآلهة المختلفة غير الأزلية إنما هو من عمل العوام القاصرين، أما العلماء وأهل الله فإنهم لا يعبدون غير الله تعالى. وهذا ما قرره البيروني في كلامه عن عبادة الأصنام بين الهندوس، حيث جاء في كلامه: **(وبالنسبة للهند؛ فإن ذلك لعوامهم، فأما من أم نهج الخلاص، أو طالع طرق الجدل والكلام، ورام التحقيق الذي يسمونه "سار" فإنه يتنـــزه عن عبادة أحد مما دون الله تعالى، فضلا عن صورته المعمولة)**[١].

٥- ((إن من تشوش الرغبات المادية عقولهم يلجأون إلى الملائكة ويقومون بطقوس العبادة المعينة تبعا لطبيعتهم))[٢].

يقول الشارح: (كما يرد في "بهاغفطم" فإن البشر الأقل ذكاء وأولئك **الذين فقدوا حسهم الروحي يلوذون بالملائكة من أجل التحقيق الفوري لرغباتهم المادية**. وغالبا، لا يتوجه مثل هؤلاء إلى الإله الشخصي الأسمى، لخضوعهم لظواهر معينة من الطبيعة (الجهل والانفعال) ولذلك فإنهم يقومون على عبادة مختلف الملائكة. وباتباع الأنظمة والقوانين للعبادة، فإنهم يقنعون. إن عباد الملائكة محفزين [كذا] برغبات بسيطة تافهة، ولا يدرون كيف يصلون إلى الهدف الأعلى. لكن المكرس إلى المولى الأسمى لا يضلل. ولأن هناك توصيات من أجل عبادة مختلف الأرباب من أجل مختلف الأغراض (على سبيل المثال، ينصح المريض بعبادة الشمس) فإن غير المكرسين إلى المولى يعتقدون أن الملائكة أفضل من المولى الأسمى فيما يتعلق بأغراض معينة. لكن المكرس الطاهر يعلم بأن الإله الأعلى كريشنا هو سيد الجميع، وفي "شايتيا - شريطامريط" يرد بأن الإله الشخصي الأسمى كريشنا وحده هو السيد وكل ما عداه هم خدم. لذلك لا يتوجه المكرس الطاهر إلى الملائكة من أجل إرضاء حاجاته المادية، بل يتوكل على المولى الأسمى، ويقنع بكل ما يرزقه)[٣].

٦- ((أنا الذات المثلى المقيم في قلب كل كائن حي. وعندما يرغب الكائن بعبادة الملائكة، أجعل إيمانه ثابتا حتى يستطيع تكريس نفسه إلى الملاك المعني))[٤].

يقول الشارح: **(إن كلاً من الكائن الحي والملاك يخضعان إلى إرادة الإله الشخصي الأسمى**، ولذلك لا يقدر الكائن الحي على أن يقوم على عبادة الملاك بقوة رغبته الخاصة، كما لا يقدر الملاك أن يغدق أي بركة، بدون الإرادة الأسمى. وكما يقال، لا تتحرك قشة بدون إرادة الإله الشخصي الأسمى.

وغالبا، **يتوجه التعساء في العالم المادي إلى الملائكة... إن الملائكة فعلا هم أجزاء مختلفة من الجسد الكوني للمولى الأسمى، ولذلك فليس لديهم أي استقلال..)**[١].

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٨٤- ٨٥ باختصار وتصرف يسير.
(٢) **الغيطا**، ص٣٧٩.
(٣) المرجع السابق، ص٣٨٠.
(٤) المرجع السابق، ص٣٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- ((مسلحا بهكذا إيمان، فإنه يبتغي مرضاة ملاكه ومنه يحصل على رغباته، ولكنني فعليا الوحيد الذي يقر هذه النعم))[٢].

قال الشارح: (لا يمكن للملائكة أن يمنحوا البركات إلى المكرسين بدون إذن المولى الأسمى. **ربما ينسى الكائن الحي أن كل شيء ملك للمولى الأسمى، لكن الملائكة لا ينسون ذلك قط.** وعليه فإن عبادة الملائكة إلى جانب إنجاز النتائج المرغوبة لا يحدثان بفضل الملائكة بل بفضل الإله الشخصي الأسمى. إن الكائن الحي الذي يملك قدرا ضئيلا من الذكاء لا يدري ذلك، **وعليه فإنه يتوجه بكل غباء إلى الملائكة من أجل بعض المنافع.** لكن عندما يحتاج المكرس الطاهر إلى شيء، فإنه يدعو المولى الأسمى. مع ذلك فإن طلب المنافع المادية ليس من شيم المكرس الطاهر. **إن الكائن الحي يتوجه إلى الملائكة عادة لأنه مخبول من أجل تحقيق شهواته... إن الخدمة المكرسة إلى المولى الأسمى لا يمكن أن تعتبر على صعيد واحد مع عبادة الملائكة، ذلك لأن عبادة الملائكة هي أمر مادي وبينما الخدمة المكرسة إلى المولى الأسمى هي عمل روحي محض..)**[٣].

٨- ((يعبد ضعاف الذكاء الملائكة، ولكن الثمار التي يكسبونها هي وقتية ومحدودة. ومن يعبد الملائكة يستطيع الوصول إلى كواكبهم. لكن من يعبدني يدخل كوكبي الأسمى))[٤].

يقول الشارح: (يقول بعض المعلقين على النشيد أن بوسع من يقوم على عبادة الملاك أو الأرباب أن يصل إلى المولى الأسمى، لكن **يذكر هنا بوضوح بأن عباد الأرباب يذهبون إلى مختلف الأنظمة الكوكبية حيث يقيم مختلف الأرباب**، مثل أن عابد الشمس يصل كوكب الشمس، وعابد رب القمر يبلغ القمر. على هذا النحو، إذا أراد أحد أن يعبد ملاكا مثل "إينضرَ" فبوسعه أن يبلغ كوكبه الخاص. وليس الأمر أنه بغض النظر عن أي ملاك تعبد، فإنك سوف تصل الإله الشخصي الأسمى. إن هذا الاعتقاد ينكر هنا، إذ يذكر بوضوح أن عباد الملائكة يذهبون إلى مختلف الكواكب في داخل العالم المادي، لكن المكرس إلى المولى الأسمى فإنه يذهب مباشرة إلى الكوكب الأسمى للإله الشخصي.

هنا تثار النقطة أنه إذا كان الملائكة أجزاء مختلفة من جسد المولى الأسمى، لذلك يتوجب تحقيق النهاية نفسها عن طريق عبادتهم. مع ذلك، فإن عباد الملائكة هم أقل ذكاء، ذلك لأنهم لا يدرون أي جزء من الجسد يجب إمداده بالطعام. وبعضهم حمقى لدرجة يدعون معها بوجود كثير من الأجزاء التي يمكن إمدادها بالطعام وكثير من الطرق لإمداد الطعام. لكن ذلك مخالف للمنطق. فهل يمكن لأحد أن يمد الجسد بالطعام عن طريق الأذن أو العين؟ إنهم لا يدرون أن هؤلاء الآلهة هم أجزاء مختلفة من الجسد الكوني

---

(١) الغيطا، ص٣٨١، باختصار.
(٢) المرجع السابق، ص٣٨٢.
(٣) المرجع السابق، ص٣٨٣.
(٤) المرجع السابق، ص٣٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمولى الأسمى، **وفي جهلهم يؤمنون أن كل إله هو إله منفصل ومنافس للمولى الأسمى**. ليس الآلهة هم أجزاء المولى الأسمى فحسب، بل الكائنات الحية العادية كذلك... **إن النتائج المستمدة بواسطة بركات الملائكة هي نتائج زائلة، لأن ضمن العالم المادي هذا، فإن الكواكب والآلهة وعبادها زائلون**. لذلك يذكر بوضوح في هذه الفقرة بأن كل النتائج المستمدة عن طريق عبادة الملائكة هي زائلة، ولذلك يقوم الكائن الحي الذي يملك قدرا أقل من الذكاء على مثل هذه العبادة. أما المكرس الطاهر الذي يشغل نفسه في وعي كريشنا بالخدمة المكرسة إلى المولى الأسمى فإنه يحقق وجودا سرمديا بهيجا كامل المعرفة، وإنجازه يتميز عن إنجاز العباد العاديين للآلهة..)[١].

٩- ((أية تضحية يقدمها الإنسان إلى الملائكة، يا ابن "كونطي"، تخصني وحدي، لكنها تقدم بدون مفهوم صحيح))[٢].

يقول الشارح: (يقول كريشنا ما يلي: ((إن القائمين على عبادة الملائكة لا يملكون قدرا كبيرا من الذكاء، رغم أن عبادتهم تقام من أجلي بصورة غير مباشرة)). وعلى سبيل المثال، عندما يقوم أحد بري أوراق وأغصان الشجرة دون ري جذورها، فإنه يفعل ذلك بدون قدر كاف من المعرفة، أو بدون مراعاة الأصول الواجبة. على هذا النحو، إن طريقة خدمة مختلف أعضاء الجسد تعني إمداد المعدة بالطعام. **والملائكة هم موظفون ومدراء في حكومة المولى الأسمى**. وينبغي على الإنسان أن يراعي القوانين التي تسنها الحكومة، ولا القوانين التي يضعها الموظفون والمدراء. **هكذا، يتوجب على كل فرد أن يقوم على عبادة المولى الأسمى وحده**. ولسوف يرضي هذا مختلف موظفي وإداريي المولى. إن الموظفين والإداريين يعملون بصفة ممثلين عن الحكومة، ورشوتهم تعتبر أمرا غير شرعي.. بكلام آخر، لا يؤيد كريشنا العبادة غير الضرورية للملائكة)[٣].

١٠- ((عابدو الملائكة يولدون بين الملائكة، وعابدو الأشباح والأرواح الشريرة سوف يولدون بين تلك الكائنات، وعابدو الأجداد يذهبون إلى الأجداد، ومن يعبدني يأتي إلي))[٤].

وهذا النص يشبه قول النبي ﷺ: (يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها..)[٥].

وأنا لا يحضرني عبادة لمخلوقات خفية قد تجلب المنافع المادية الفورية الزائلة للبشر العابدين لها غير عبادة الجن والشياطين. أما عبادة الملائكة فلا تجلب خيرا ولا تدفع شرا، ولكنها قد تكون شياطين أطلقوا

---

(١) **الغيطا**، ص٣٨٤- ٣٨٥.
(٢) المرجع السابق، ص٤٦٦.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق، ص٤٦٧.
(٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، م٥، ص٢٤٠٣، برقم: ٦٢٠٤. ومسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، م١، ص١٦٣، برقم: ١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليها اسم الإله أو الملك كما سيمر معنا. وهذا الأمر يشبه الالتباس الواقع في عبادة الملائكة والتي هي في الحقيقة عبادة للجن الذين أمروا الناس وسولوا لهم عبادة الملائكة، فكانوا عابدين لأولئك الجن على الحقيقة باتباعهم، وغير عابدين للملائكة أصلا.

وهو مصداق لقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[1].

أو أن الأمر هو كما ورد في بعض النصوص السابقة من أن الملائكة قد تجلب الخير للبشر بإذن الله تعالى، فالإنسان حين يعبد ملكا ما ويطلب منه منفعة، فإن الله تعالى يأذن لهذا الملك أو يأمره بتلبية حاجة العابد ومساعدته. هذا في اعتقادهم، وليس في الإسلام شيء مشابه لهذا فيما أعلم، فعبادة الملائكة كفر.

بعد بحث هذه المسألة توصلنا إلى أن الآلهة التي تتحكم بالظواهر الطبيعية إنما أصلها ملائكة موكلون بهذه الظواهر، ولكن اصطلح الهندوس على تسميتهم بالآلهة، إما تجوزا وتوسعا في استعمال الكلمة، وإما تحريفا للأصل، وتأليها لمخلوقات لم تكن مؤلهة في السابق.

وأن عبادتها ليست كعبادة الله تعالى، فهي أقرب إلى الاحترام والتبجيل لا أكثر. أما عبادة الله تعالى فهي شيء مختلف.

وحتى أن هذه العبادة لا ينصح بها كتاب الكيتا، بل يعتبرها من الغباء والجهل، وهو حكر على العوام والجهلة. أما العلماء المكرسون فلا يعبدون غير الله تعالى.

ووجدنا من نصوص البهغفض غيطا أن كريشنا وصف عابدي غير الله بأوصاف منها:

* من تشوش الرغبات المادية عقولهم.
* البشر الأقل ذكاء.
* الذين فقدوا حسهم الروحي.
* لخضوعهم لظواهر معينة من الطبيعة (الجهل والانفعال).
* التعساء.
* الأغبياء.
* المخبول.
* الكائنات الحية التي تقل ذكاء.
* ضعاف الذكاء.
* جهل.
* أية تضحية يقدمها الإنسان إلى الملائكة تقدم بدون مفهوم صحيح.

([1]) سورة سبأ، آية: ٤٠- ٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* لا يملكون قدرا كبيرا من الذكاء.

ونجد مثل هذه الظاهرة في الصين أيضا، فالديانة الصينية في العصر الكونفوشي كانت تقول بإله أعظم هو السماء، ثم بآلهة أخرى صغيرة مبثوثة في الأرض والبحر والجو، ثم بأرواح منتشرة في الجبال والأنهار، وكل إله وكل روح عليه مهام يؤديها على أتم وجه بالعبادة..[١]

يعتقد الهندوس - كما مر معنا - لكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية إلها مسؤولا عنها، وموكلا بها، وهذه الفكرة توازي ما يعتقده المسلمون من أن لكل ظاهرة من هذه الظواهر ملكا موكلا بها.

يقول الأعظمي عن كتاب الريج - ڤيدا: (وأما مفسر الريج - ڤيدا "البندت شري رام شرما" فذكر في مقدمته أسماء الآلهة التي جاء ذكرها في ريج ڤيدا. فبلغ هؤلاء أكثر من مائة وخمسين إلها، ومن هؤلاء:

أغني: إله النار، فايو: إله الهواء، إندرا: إله الرعد، أرونا: إله السماء، سوريا: إله الشمس، أوشا: إله الصبح، كيان: إله العلم، كام: إله الشهوات.

ويعلق على هذا بعض العلماء بقولهم: إن الهندوسية تتخذ من القوى الطبيعية آلهة، كما أنها توزع الآلهة حسب المناطق، وكل هؤلاء يقربون إلى الله كما هو حال الجاهليين قبل الإسلام..)[٢].

ويزيدنا راداكريشنا إيضاحا لهذه المسألة فيقول: (وتوجد فيها - أي الرج ڤيدا - عبادة الآلهة مثل:

سوريا (الشمس)، وآجني (النار)، ودايوس (الفضاء أو السماء)، وماروتس (العاصفة)، وفايو أو فاتا (الريح)، وآباس (الماء)، وأوساس أو أوشاس (الفجر)، وبرتيفي (الأرض).

وحتى الآلهة التي لم تعد واضحة أو ذات معنى مثل إندرا وفارونا ومترا وإديتي وفيشنو وبوسان ورودرا وبارجافيا، كانت لها صلة بالمظاهر الطبيعية. وكانت بعض الصفات البارزة في الطبيعة تعتبر آلهة مستقلة بعض الأحيان. إن سافتيار - وهو الموحي أو واهب الحياة - وفيفاسان - المنير - كانا في الأساس صفات أي أسماء للشمس، لكنهما أصبحا بعد ذلك إلهي شمس. وبعض الآلهة التي كانت تعبدها قبائل مختلفة، مثل بوسان، قبلت في هيكل الـڤـيدا. وقد وضعت صفات مجردة مثل:

سرادها - الإيمان - ومانيو - الغضب - وجاندهارفاس - الجن - وابساراس - فتيات سماوية - وأرواح الحقول والغابات في الهيكل)[٣].

ونستطيع أن نضيف أيضا من كلام المؤلف أسماء أخرى لآلهة ظواهر طبيعية أخرى، مثل:

إندرا: إله العاصفة وإله المعركة، ميترا: إله النور، براهسباتي أو براهمنا سباتي: إله الصلاة، فالا اللعين: إله سجين، هو شيطان الجفاف، رودراس: إله العاصفة، اساندبوسان: الإله الذي يمنح الثروة ويحفظ

---

(١) حسن شحاتة سعفان، **كونفوشيوس النبي الصيني**، دط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٦٤.
(٢) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٣٦- ٥٣٧.
(٣) سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص٢٦- ٢٧. وانظر: عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٥٣- ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزواج والحب، ياما: إلهة النهر والعذوبة والشعر المقدس، براجاباتي: ربما أنه شكل للشمس، وياما أيضا: حاكم مملكة الأرواح الراحلة.[١]

نجد بين هذه الأسماء أسماء لآلهة هي شياطين أيضا، كـ "فالا اللعين" وهو إله سجين، هو شيطان الجفاف، ويظهر أن المراد بالآلهة الشيطانية شياطين مؤثرة في الكون بأفعال مؤذية، فهي سبب الجفاف والفيضانات والزلازل والظواهر الطبيعية السيئة والضارة، أما الآلهة الخيرة، فهي ملائكة النعم والمسرة، تأتي بالمطر وتنبت الزرع.. ومعلوم أن الشيطان ملعون ومبغض، فليس تأليهه بمعنى عبادته عبادة محبة، بل بمعنى امتلاكه لقوى خارقة تفوق قوى البشر فقط، فيعبد عبادة خوف.

يقول سيرغي توكاريف بأن الآلهة الـقـديدية تقسم إلى صنفين متناقضين، يعادي أحدهما الآخر جزئيا: إنها الآسورات والديفات (العذراوات). ينتسب إلى الصنف الأول: دياوس، فارونا، ميترا، سافيتار، أديتي. وللثاني: أكثر من تبقى من الآلهة... وأصبحت الآسورات في الأزمنة المتأخرة أرواحا شريرة عند الهنود، أما الديفات فللعمل الصالح..[٢]

وجلي عندي أن المراد بهذين الصنفين هم الملائكة في مقابل الشياطين. والعداء المجازي الخيالي بين صورة الملاك وصورة الشيطان معلوم وجلي. وقد يعبد الشيطان في اعتقادهم اتقاء لشره فقط، لا تشريفا له، بل دفعا لضره فقط.

وكما قلت، لا أظن أن اعتقادهم بآلهة للظواهر الطبيعية يخرج عن اعتقادنا بأن الله تعالى قد أوكل بكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية ملكا أو ملائكة تقوم به وتسيره.

يقول شارح الكيتا: (**إن الملائكة أمثال "إينضر"، "شنضر"، "فرون" إلخ موكلة بمهام الكون**. وتوصي الـقـيدا بتضحيات تهدف إرضاءها حتى تزودنا بالهواء، والضوء والماء بالقدر الكافي لإنتاج الحبوب. إلا أن عبادة المولى كريشنا تشمل عبادة كل الملائكة تلقائيا، لذا لا حاجة لعبادتها إذا قام الإنسان بعبادة كريشنا..)[٣].

ويقول أيضا: (**الملائكة هي جند المولى الموكلة بمهام الكون المادي من إمداد الهواء، والضوء، وكل النعم الأخرى التي تعتبر ضرورية من أجل الحفاظ على الجسد المادي، وعددها لا يحصى في أنحاء جسد الإله الشخصي الأسمى..**)[٤].

---

(١) انظر: سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٢، ٤٣، ٥٢، ٥٤، ٦٤، على التوالي.
(٢) سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص٢٩٧.
(٣) **الغيطا**، ص١٧٩.
(٤) المرجع السابق، ص١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الإمام الرازي: (وأما الذين اتخذوا الشركاء لله من غير الأجسام فهم أيضا طوائف... والطائفة الثانية: هم الذين قالوا: الملائكة عبارة عن الأرواح الفلكية ولكل إقليم روح معين من الأرواح الفلكية يدبره ولكل نوع من أنواع هذا العالم روح فلكي يدبره ويتخذون لتلك الأرواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهؤلاء هم عبدة الملائكة)[١].

يقول جفري بارندر: (لقد **كان فارونا هو حارس الريتا أو النظام الطبيعي والأخلاقي للكون، وبدونه ما كان يمكن للفصول أن تتعاقب على التوالي**، ولولاه لانهارت بنية المجتمع، وفارونا عليم بكل شيء، إذ تكتب له عيونه المنتشرة في كل مكان تقارير عن الرجال والنساء، **فما اجتمع اثنان معا إلا وكان فارونا ثالثهما**)[٢].

والفقرة الأخيرة من هذا النص توافق قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]. فهم يطلقون عليه اسم فارونا، ولكن المراد به هو الله تعالى، والله أعلم.

وعن هذه العقيدة في الملائكة يقول شارح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي: (وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: {فالمدبرات أمرا} {فالمقسمات أمرا} **وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم**)[٤]. وأما الهندوس، فيطلقون عليها اسم الآلهة كما مر معنا.

ويتابع ابن أبي العز فيقول: (وقد دل الكتاب والسنة على **أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات** وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة.

---

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري القرشي الطبرستاني، المعروف بابن الخطيب الشافعي (ت ٦٠٦ هـ)، **التفسير الكبير**، المعروف باسم: **مفاتيح الغيب**، ط٢، ١١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، م١، ص٢١٠.

(٢) جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٤٩.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٤) ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٢، ٢م، الإصدار الثاني، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن عبد المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، م٢، ص٤٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالملائكة أعظم جنود الله ومنهم: {المرسلات عرفا} و{الناشرات نشرا} و{الفارقات فرقا} و{الملقيات ذكرا} ومنهم: {النازعات غرقا} و{الناشطات نشطا} و{السابحات سبحا} و{فالسابقات سبقا} ومنهم: {الصافات صفا * فالزاجرات زجرا * فالتاليات ذكرا} ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات التي مفردها: "فرقة" و"طائفة" و"جماعة"، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس. إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله)[١].

وهذا التفصيل يشبه التفصيل الذي نقلناه قبله من كلام الهندوس، فهي المهام ذاتها والوظائف نفسها، لكل مهمة ووظيفة ملك خاص قائم بها ومسؤول عنها.

ويتابع بقوله: (ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله فليس لهم من الأمر شيء بل الأمر كله للواحد القهار وهم ينفذون أمره: {لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون} {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم} {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون} {يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون} فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده {لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون}..)[٢].

وهذا الكلام أيضا له ما يشبهه مما نقلناه من النصوص الهندوسية، وبخاصة من كتاب البهغفض غيطا. وقد مر معنا التصريح المتكرر من شارحه ينص فيه على أن الملائكة المسؤولين عن الظواهر الطبيعية موكلون من قبل الإله الأسمى "كريشنا"، وأنه هو المتحكم في الحقيقة، وأنه لا يحصل شيء دون إذنه ومتابعته أو رغما عنه، فهو السيد الأعلى المسيطر على كل ذرة في هذا الكون.

ويتابع شارح الطحاوية بقوله: **(ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل الموكلون بالحياة؛ فجبرائيل موكل بالوحي الذي جاء به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم)**[٣].

ونستطيع بكل يسر تشبيه هذه الصورة للملائكة الثلاثة العظام بالآلهة الثلاثة الذين يكونون الثالوث الهندوسي المعروف، فبْرَهما هو ملك الوحي، وفيشنو هو الحافظ للكون، وشيفا هو المبيد له، وهذه الإبادة تشبه ما ذكر عن إسرافيل في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

---

(١) ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، م٢، ص٤٥٩- ٤٦٠.
(٢) المرجع السابق، م٢، ص٤٦٠- ٤٦١.
(٣) المرجع السابق، م٢، ص٤٦١. وانظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي، **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**، ط١، ٢م، (تحقيق: علي بن حسن الحلبي)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، م٢، ص٨٢٧- ٨٣٦. وعبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، **التوحيد للناشئة والمبتدئين**، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ، ص٤٤- ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[٢]. فالنفخة الأولى تؤدي إلى دمار الكون وموت جميع ما في السماوات والأرض، وهو دور شيفا المهلك عند الهندوس.

وهنا أقول: ترجح عندي مما سبق أن الآلهة الهندوسية إنما هي ملائكة مخلوقة، وأن الأمر كان في البدء اعتقادا بملائكة موكلين يسيرون الكون بأمر الله تعالى، ثم تحول هذا الاعتقاد إلى الإيمان بأن هذه الملائكة آلهة.

وقد استخدمت بعض الكتب الهندوسية القديمة كلمة ملاك للإشارة إلى الآلهة الهندوسية المخلوقة، واستخدم بعض علماء الهندوس الشارحين لهذه النصوص هذه الكلمة أيضا بدل إطلاق لفظ الألوهية. ويستعملون أحيانا مصطلح "ضف" للدلالة على الملائكة أو الأشخاص الربانيين، وأظنه ذاته المصطلح "ديوا" أو "ديفا" سالف الذكر، الذي استخدمه البيروني بلفظ "ديو" أي الروحانيين[٣]، جاء تعريفه هكذا في نهاية كتاب البهغفض غيطا[٤] ولا أظن الأشخاص الربانيين غير الأنبياء.

فمثلا: عبر مترجم وشارح البهغفض غيطا عن كثير من الآلهة الهندوسية - بل جميعها، حاشا كريشنا وفيشنو - باستخدام كلمة ملاك، بدل كلمة إله، في جميع مواضع الكتاب، فعلى سبيل المثال، قال عن "فيفشفان" أحد آلهة الشمس: ملاك الشمس، وعن إله النار "أغني": ملاك النار، وقال عنه في نهاية الكتاب في شرحه للمصطلحات السنسكريتية: أغني: الملاك الذي يحكم النار، وذكر أيضا "شنضر"، وعرفه بأنه الملاك الذي يحكم القمر، وفي تعريفه لشيفا قال: الشخصية التي تتولى أمور ظاهرة الجهل ودمار الكرة الكونية المادية، وعن المؤلهة "كالي" قال: من إناث الملائكة، وعن "كوفر": خازن الملائكة، وعن إلهة الحظ "لكشمي": ربة الحظ، ومعلوم أن كلمة الرب يجوز إطلاقها على غير الله تعالى على سبيل المجاز بإضافات متعددة، لا على معنى الخالق أو القديم، وعن "منو": الملاك الإداري، وهو أبو البشر، وعن "إينضرَ" أو "إندرا" الإله الشهير، يقول: هو ملاك الكواكب السماوية[٥]، وهكذا.

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.
(٢) سورة الحاقة، آية: ١٣ - ١٧.
(٣) انظر: البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٦٨.
(٤) **الغيطا**، ص٨٤٥.
(٥) انظر: المرجع السابق، ص٨٢٧، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٥٥، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦٥، على التوالي. ومحمد طاهر التنير، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، دط، بيروت، ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م، ص١١٣، ١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول شارح البهغفض غيطا في شرحه: (إن كل كائن حي في العالم المادي خاضع لجاذبية أغراض الحواس - يشمل هذا "شيف" و "بْرَهما"، فما بالنا بالحديث عن الملائكة الآخرين سكان الجنات..)[١].

وجاء في متن هذا الكتاب قوله:

١- ((يرغب البشر في هذا العالم بالنجاح في الأعمال المثمرة. لذا فإنهم يعبدون الملائكة ويحصلون على ثمار أعمالهم بسرعة في هذا العالم))[٢].

قال الشارح: (توجد مغالطة كبرى بشأن آلهة أو ملائكة هذا العالم المادي، **وقليلو الذكاء، رغم انتحالهم أدوار الدارسين، فإنهم يعتبرون تلك الملائكة صورا مختلفة لله**، بينما هي في الواقع أجزاءه التي لا تتجزأ. إن الله واحد أحد، لكن أجزاءه التي لا تتجزأ كثيرة. **تقول الــفــيدا: إن الله واحد أحد، وما الملائكة إلا كائنات مخولة بقوى من أجل إدارة هذا العالم المادي**. إن الملائكة هي كائنات حية "نيطانام" تملك قدرات مادية متفاوتة، **ولا يمكنها معادلة الله** - "تارايان"، "فيشنو" أي كريشنا. **وكل من يعتقد أن الملائكة تعادل الله يدعى ملحدا "باشندي". حتى الملائكة العظام أمثال "بْرَهما" و "شيف" لا يمكن مقارنتها بالله. في الواقع إن الملائكة مثل "بْرَهما" و "شيف" تعبد الله.** ومن العجيب أن نرى الأغبياء تعبد كثيرا من قادة المجتمع نتيجة مغالطة عزو الصفات البشرية إلى الله. تشير عبارة "إبها ضفطاه" إلى ملاك هذا العالم المادي، لكن "تارايان"، "فيشنو" أو "كريشنا" الإله الشخصي الأسمى لا ينتمي إلى هذا العالم المادي، بل هو يتعدى الخليقة المادية... **ورغم ذلك يعبد الحمقى "هريط - أيجن" الملائكة لرغبتهم بالنتائج الفورية.** إنهم يحصلون عليها، ولكنهم يجهلون بأن مثل هذه النتائج زائلة ومخصصة لقليلي الذكاء. إن الذكي هو الواعي بكريشنا، ولا حاجة به لعبادة الملائكة من أجل فائدة فورية زائلة. **كما أن الملائكة وعبادها يهلكون حالما يبيد العالم المادي**. إن بركات الملائكة مادية وزائلة. تعتبر العوالم المادية وسكانها والملائكة مجرد فقاقيع في محيط الكرة الكونية..)[٣].

٢- ((حتى الحكماء ذاتهم يضلون في تعريف ما هو العمل وما هي البطالة. سأبين لك الآن ما هو العمل وبمعرفته سوف تتحرر من كل الخطايا))[٤].

وجاء في الشرح: (في الواقع، لا يمكن لغير المولى نفسه وضع شرعة الدين.. لا يمكن لأحد اختراع مبادئ الدين عن طريق التخمينات القاصرة، بل يجب على الإنسان اتباع خطى أئمة الشرع العظام أمثال

---

(١) **الغيطا**، ص١٥٥.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣٠.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق، ص٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"بْرَهما"، "شيف"، "نارض"، "منو"، "كومار"، "كبيل"، "برهلاض"، "بهيشم"، "شوكضف غوسوامي"، "يامراج"، "جنك"، إلخ..)[١].

فعد بْرَهما وشيف وغيرهم ممن هم دونهم أئمة عظام لا آلهة حقيقية، فالإشارة إليهم باسم الإله أو الآلهة إنما هو من التحريف والتغيير.

٣- ((يعبد بعض اليوغيين الملائكة عبادة تامة بتقديم شتى التضحيات إليها، وبعضهم يقدم تضحيات في نار "برهمن" الأسمى))[٢].

قال الشارح: (يضحي الأشخاص في وعي كريشنا بكل ممتلكاتهم المادية إرضاء لله، بينما أولئك الذين ينشدون سعادة مادية زائلة، فإنهم يضحون بممتلكاتهم المادية إرضاء للملائكة أمثال "إينضرَ" وملاك الشمس، إلخ... **إن الملائكة هي كائنات حية قادرة وكلها المولى الأسمى بصيانة ومناظرة كل الوظائف المادية مثل ضبط الحرارة، تأمين الري وإضاءة الكون**. إن المهتمين بالمنافع المادية يعبدون الملائكة بتقديم مختلف القرابين وفقا للشعائر الفيداوية. ويسمى هؤلاء "بهف - ايشفر - فاضي" أي المؤمنون بتعدد الآلهة، أما من يعبدون الظاهرة اللاشخصية المجردة للحق المطلق، معتبرين صور الملائكة زائلة، فإنهم يضحون بذواتهم الفردية في النار المطلقة..)[٣].

يقول شارح الغيطا عن كريشنا: (**لا يوجد أعظم منه على الإطلاق، بل هو أعظم من أعظم الملائكة أمثال المولى "شيف" والمولى "براهما"..)**[٤].

ويستدل من كلام الشارح بأن براهما وشيفا وغيرهما من الآلهة الهندوسية إنما هم ملائكة مخلوقة وليست ذوات قديمة، وهو نص رائع في نفي تعدد الآلهة المعروف، فإذا كان الثالوث الأقدس والأعظم عندهم، الذي يعده الباحثون أقانيم ثلاثة وذوات أزلية قديمة، وهم: براهما وشيفا وهما ملكين مخلوقين موكلين، والخالق واحد، يرمز له بفيشنو أو كريشنا أو براهمان أو آتمان، فغيرهما من الآلهة الأقل شأنا هم مخلوقون وملائكة من باب أولى.

فيمكننا، مثلا، أن نعد براهما وشيفا وفيشنو، من باب التجوز، موازين لجبريل وميكائيل وإسرافيل[٥]، مثلا، لا أكثر من هذا، ولكن الله منح هؤلاء الثلاثة قوى يستطيعون بها الخلق والحفظ والإفناء، مع التحفظ على هذه العبارة. فكونهم ملائكة فقط، يهدم الفهم المغلوط بأنهم أقانيم وذوات إلهية قديمة، فتبطل بذلك عقيدة تعدد الآلهة، ويثبت أن الإله الخالق الأزلي واحد فقط، وجميع الآلهة الأخرى إنما هي مخلوقات،

---

(١) **الغيطا**، ص٢٣٦.
(٢) المرجع السابق، ص٢٤٣.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق، ص٢٩٠.
(٥) انظر: محمد الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أطلق عليها لفظ الإلهية خطأ وتحريفا. وقد ذكر في كتاب البهغفض غيطا رجل يدعى باصندي، وقد وصف بأنه: ملحد يعتقد بمساواة الملائكة لله[١].

فإذا أدركنا بأن أبرز الآلهة عند الهندوس ليسوا إلا ملائكة مخلوقين، فإن هذا النقل الأخير يؤكد على أن من ساوى براهما أو شيفا أو أغني أو إندرا بالله فهو ملحد في نظر الهندوس وخارج عن العقيدة السليمة.

(١) **الغيطا**، ص٨٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث
عبادة الأصنام

من المعلوم أن البشرية في بدايتها كانت على التوحيد والإسلام – خلافا لما قرره علماء الأديان الغربيون من أن الأصل في الشعوب الشرك، ثم تتوصل بعقولها إلى التوحيد - ويشهد تاريخ البشرية على ذلك، فلا نعلم قوما تركوا الشرك وتحوّلوا إلى التوحيد إلا برسالة من الله تعالى تعيدهم إلى الطريق الصحيح، ثم ينتكسون ويعودون إلى مراتع الشرك والجهل والوثنية.

فحين خلق الله آدم كان موحدا، فأي شرك جاء بعده فهو طارئ على الأصل مخالف له، فالشعوب كلها إلى زمن نوح كانت على التوحيد، ثم طرأ عليهم الشرك والضلال، فجاء الأنبياء لتصحيح مسار تلك الشعوب، وشاء الله بحكمته إرسال الرسل إلى شعوب الأرض الضالة لتعيدهم إلى جادة الحق، فتعاليم الدين الحق كانت متوارثة جيلا بعد جيل، فحدثت أمور خالفت الأصل، وهذا لا يستلزم بالضرورة أن تندثر جميع التعاليم الأصلية، بل يحرف بعضها وينقص من بعضها ويزاد على بعضها ويبقى البعض كما كان على أصله، وهذا مشاهد في كتب اليهود والنصارى جليا، فإنها لا زالت حتى يومنا هذا تحتوي على بعض من الحق والتوحيد والأخلاق الحميدة والشرائع المفيدة الحكيمة، والتي تدل على أن واضعها ليس من البشر بل هو رب البشر[١].

وأبرز ما نستدل به معاشر المسلمين من كتب أهل الكتاب لتأييد الحق الذي نؤمن به؛ البشارات بنبينا الكريم صلوات ربي عليه وسلامه، فهذا دليل عندنا أن في هذه الكتب شيئا من الحق الذي يؤيد شريعة الله ودينه. فغير هذه الكتب مثلها، ولا دليل على خلاف ذلك غير العصبية والنظرة التقليدية.

يشهد لذلك قول الله عز وجل، فيما يرويه عنه نبيّه ﷺ قال: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)[٢].

وقال حبر الأمة عبد الله بن العباس عليهما السلام: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين).[٣]

---

(١) من أراد الاستزادة من هذه النصوص فعليه بقراءة كتاب سعد رستم المعنون بـــ "التوحيد في الأناجيل الأربعة" إصدار دار الأوائل بدمشق.

(٢) مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار م٤، ص٢١٩٧، برقم: ٢٨٦٥.

(٣) الحاكم النيسابوري، **المستدرك**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة حم عسق، برقم (٣٦٥٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرّجاه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المعلوم أن العرب من بني إسماعيل كانوا على التوحيد زمنا طويلا بعد موته عليه السلام، فكانوا على عقيدة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وعلى تعظيم شعائر الله، وحج البيت وغيرها من العبادات الربانية التي شرعها الله تعالى.

ولكن الحال لا يدوم، ففي مراحل متأخرة، وبعيدة عن النص الأصلي وروح الديانة، يظهر في القوم من ينزع إلى المحسوس، ويحب عبادة شيء يراه بعينيه ويلمسه بيديه، ويستغل هؤلاء المنحرفون إما جهلا أو عوزا عند الناس، أو يجد هؤلاء الضالون في أنفسهم قوة تمنحهم الحق في التغيير وتبديل الأمور.

ومثله حصل في بني إسرائيل، حتى مع وجود نبي الله موسى بين أظهرهم! فما بالكم حين لا يكون أنبياء، ويكون علماء السوء هم المسيطرين ويفشو الجهل ويندثر العلم؟

جاء في سفر الحكمة من النسخة الكاثوليكية للعهد القديم عن بدء نصب الأصنام وسببه ما نصه: (هناك والد فجع بحداد معجل فصنع تمثالا لابنه الذي خطف سريعا وجعل يكرم إكرامه لإله ذلك الذي كان بالأمس إنسانا ميتا، ورسم للذين تحت يده أسرارا وطقوسا. ثم رسخت تلك العادة الكفرية على مر الزمان فحفظت كشريعة، وبأوامر الملوك أصبحت المنحوتات موضع عبادة. والناس الذين لم يستطيعوا أن يكرموهم بحضورهم لبعد مقامهم صوروا هيئاتهم عن بعد وصنعوا للملك المكرم صورة منظورة لكي يعربوا عن تملق ناشط للغائب كأنه حاضر. ثم إن طموح الفنان حمل حتى الذين لم يكونوا يعرفونه إلى نشر عبادته، ولعله كان يرغب في إرضاء الملك، فكلف فنه ليكون إخراجه أجمل من الحقيقة فاستميل الجمهور بروعة الإنتاج حتى إن الذين كانوا قبل قليل يكرمونه إكرام إنسان عدوه معبودا..)[١].

وهذا ما حصل بعد نوح عليه السلام، حين عبد أقوام تماثيل رجال صالحين، كانوا قد نصبوها في زمن التوحيد والعلم، تخليدا لذكراهم وتقديرا لصلاحهم، ثم بعد أزمان عدوها آلهة وعبدوها.

فهل حصل مثل هذا في الهندوسية؟ وهل كانت عبادة الأصنام من أصول الديانة؟

يقول البيروني تحت عنوان "في مبدأ عبادة الأصنام وكيفية المنصوبات": (معلوم أن الطباع العامي نازع إلى المحسوس، نافر عن المعقول الذي لا يعقله إلا العالمون، الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلة، ولسكونه إلى المثال، عدل كثير من أهل الملل إلى التصوير في الكتب والهياكل... وهذا هو السبب الباعث على إيجاد الأصنام بأسامي الأشخاص المعظمة من الأنبياء والعلماء والملائكة، مذكرة أمرهم عند الغيبة والموت، مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت، إلى أن طال العهد بعامليها، ودارت القرون والأحقاب عليها، ونسيت أسبابها ودواعيها، وصارت رسما وسنة مستعملة... وإذ نحن في حكاية ما الهند عليه، فإنا نحكي خرافاتهم في هذا الباب، بعد أن نخبر **أن ذلك لعوامهم، فأما من أم نهج الخلاص، أو**

(١) **الكتاب المقدس**، سفر الحكمة، إصحاح ١٤، فقرة ١٥- ٢٠، ص١٤٢١- ١٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طالع طرق الجدل والكلام، ورام التحقيق الذي يسمونه "سار" فإنه يتنـــزه عن عبادة أحد مما دون الله تعالى، فضلا عن صورته المعمولة)[١].

وها هو البيروني أيضا، يطالعنا بتحليل يقرر فيه ومن خلاله، أن عابدي الأصنام ليسوا إلا العوام والجهلة البعيدين عن معرفة الله حقا، أما العلماء العاملون، والمتبحرون في مسائل الدين والعارفون لربهم، فإنهم يتنزهون عن عبادة شيء عدا الله تعالى، فهم يرفضون عبادة الأصنام والصور والأشكال.

وبعد أن نقل البيروني تفصيلات عن أصنام الهند وأسمائها وإلى ماذا ترمز، قال: (وكان الغرض في حكاية هذا الهذيان أن تعرف الصورة من صنمها إذا شوهد، **وليتحقق ما قلنا من أن هذه الأصنام منصوبة للعوام الذين سفلت مراتبهم وقصرت معارفهم، فما عمل صنم قط باسم من علا المادة، فضلا عن الله تعالى**. وليعرف كيف يعبد السفل بالتمويهات، ولذلك قيل في كتاب "كيتا": ((إن كثيرا من الناس يتقربون في مباغيهم إلي بغيري، ويتوسلون بالصدقات والتسبيح والصلاة لسواي، فأقويهم عليها وأوفقهم لها وأوصلهم إلى إرادتهم لاستغنائي عنهم)). وقال فيه أيضا "باسديو" لأرجن: ((ألا ترى أن أكثر الطامعين يتصدون في القرابين والخدمة أجناس الروحانيين والشمس والقمر وسائر النيرين، فإذا لم يخيب الله آمالهم لاستغنائه عنهم، وزاد على سؤالهم وآتاهم ذلك من الوجه الذي قصدوه، أقبلوا على عبادة مقصوديهم لقصور معرفتهم عنه، وهو المتمم لأمورهم على هذا الوجه من التوسيط، ولا دوام لما نيل بالطمع والوسائط إذ هو بحسب الاستحقاق، وإنما الدوام لما نيل بالله وحده عند التبرم بالشيخوخة والموت والولادة)). فهذا ما في كلام باسديو؛ وهؤلاء الجهال إذا وجدوا نجاحا بالاتفاق أو العزيمة، وانضاف إلى ذلك شيء من مخاريق السدنة بالمواطأة، قويت غياياتهم لا بصائرهم، **وتهافتوا على تلك الصور يفسدون عندها صورهم بإراقة دمائهم والمثلة بأنفسهم بين أيديها)**[٢].

ثم قارن ذلك بما عند اليونان بقوله: (وقد كانت اليونانية في القديم يوسطون الأصنام بينهم وبين العلة الأولى، ويعبدونها بأسماء الكواكب والجواهر العالية؛ إذ لم يصفوا العلة الأولى بشيء من الإيجاب بل بسلب الأضداد، تعظيما لها وتنزيها، فكيف أن يقصدوها للعبادة!)[٣]. ثم تحدث عن الأصنام عند العرب مقارنا بقوله: (ولما نقلت العرب من الشام أصناما إلى أرضهم، عبدوها كذلك ليقربوهم إلى الله زلفى)[٤]. مرة أخرى، بأن عبادة الأصنام لا يقوم بها غير العوام والجهلة، أما العلماء فيترفعون عن مثلها. ومقارنته بين ما حدث عند الهنود من عبادة الأوثان، وبين إدخال الأصنام إلى بلاد العرب تشعرنا بأن عبادتها في الهند حادثة دخيلة أيضا.

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٨٤- ٨٥ باختصار وتصرف يسير.
(٢) المرجع السابق، ص٩٣- ٩٤.
(٣) المرجع السابق، ص٩٤.
(٤) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أهم ما قد يؤيد طروء عبادة الأصنام على الهنود، بعد أن لم تكن، قول الأعظمي: (يجزم علماء الأديان، **بأن الآريين ما كانوا يعرفون عبادة الأصنام**، فلما اختلطوا بأهل الهند بدأوا ينحتون لآلهتهم تمثالا محاكاة لأهل الهند، وبالتقاء الحضارتين - الحضارة الهندية القديمة، والحضارة الآرية - ظهر مذهب جديد عرف بالهندوسية)[١].

ففي هذا النص تصريح بأن الهندوس لم يعبدوا الأصنام ابتداء، بل هي حادثة فيهم، ومن أهم أسباب ذلك، اختلاطهم بأهل الهند الأصليين، الذين يرجح أنهم كانوا على الوثنية في ذلك الزمان.

وفي موضع آخر يقرر الأعظمي أن كتاب الآريين الــڤــيدا قد ندد واستنكر عبادة مشهورة بين أهل الهند الأصليين، وكل الباحثين يزعمون بأنها إحدى أهم عبادات الهندوس، وهي عبادة الأعضاء التناسلية الذكرية "اللنج"، وهو دليل على أن الــڤــيدا تنكر عبادة الأصنام وترفضها[٢].

ونقل في ذات الموضع عن الريج ڤيدا ما نصه: ((هو "الإندرا" الذي يخوض الحرب بحسن تدبيره، ويغنم الأموال من "شترى ديوي" (عدوه) ولو كانت هذه الأموال محفوظة بين مئات الأبواب، ويبعد الأرواح الخبيثة التي تعبد "لنج")). [ريج فيد ٢١/ ٥/ ٩][٣].

إذاً فعابدو اللنج هم من الأرواح الخبيثة، أي من الآثمين أو الشياطين، وهذا نقل مهم جدا، فالفيدا ترفض وتستنكر عبادة العضو الذكري.. مع أن بعض الفرق الهندوسية تقوم بها، ويصور دوما على أنه من عبادات الهندوسية وآلهتها الرئيسة.[٤] ومثل هذه النقول والتناقضات في الهندوسية، تدل على أن العقائد عندهم متنوعة ومتطورة ومختلفة ومتناقضة، وأنه من الظلم وعدم الإنصاف إطلاق التهم لها وإلصاق عبادة خاصة ما بالديانة كلها، واعتبارها بمجموعها وثنية ومشركة، وعدم التفصيل في كل نقطة.

فإذا وجدنا عبادة كعبادة اللنج كانت عند السابقين للآريين من أهل الهند الأصليين، ثم أنكرتها الكتب الآرية، وبعد عصور انتقلت من أهل الهند إلى أتباع الهندوسية الآريين، فمن الإجحاف القول بأن الهندوسية تعبد اللنج، لأن هذا انحراف دخل الديانة كأي انحراف آخر، ونقلها من التوحيد إلى الشرك، كأي بدعة عقدية دخلت النصرانية أو اليهودية، ولا يعني هذا أن الديانة في الأصل اتخذت هذه العبادة دينا لها. فدوما يكون الاستنكار في البداية ثم ينتشر الانحراف بسبب فشو الجهل وقلة العلم والعلماء.

يقول جفري بارندر في مقارنته بين الهندوسية المتأخرة وبين ديانة الآريين الــڤــيدية[٥]: (فعلى حين أن الهندوس عبدوا أيقونة[١]، تمثل الإله أو الآلهة الذي اختاروه، أو اختاروها، واعتبروها الإله الأعظم،

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٠٠.
(٢) المرجع السابق، ص٥٩٩.
(٣) المرجع السابق، ص٥٩٩.
(٤) انظر: جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٦٠.
(٥) وإلى هذا التفريق ذهب كثير من الباحثين، انظر: فيليسيان شالي، **موجز تاريخ الأديان**، ص٦٨، حيث قال أن بعض المؤرخين يميزون البراهمانية الحقة - إذا نحن أعطينا لهذه الكلمة معنى محدودا - عن دين أسبق منها هو الــڤــيدية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإن آريي الــفــيدا لم يكن لديهم أيقونات، ولا علاقات شخصية مع إله واحد أعظم)[٢]. ويقول: (لدينا إذن ما يبرر الاعتقاد بأن الأوثان أو المعابد وما شابه ذلك هي إسهامات غير آرية، أو على الأقل غير برهمية للهندوسية)[٣].

فالأصنام والمعابد التي تقام من أجلها، وجميع الصور التي ترمز أو تجسد الآلهة لم تكن من صنع الهندوسية الأولى التي اعتنقها الآريون، حاملو الهندوسية الصحيحة النقية، بل هي على الأغلب تأثيرات هندية ما قبل آرية على الهندوسية الوافدة إلى تلك البلاد.

يقول سيرغي توكاريف عن تأثير الديانات المحلية البدائية السابقة للآريين في الهندوسية المتأخرة: (إن كثيرا من المعتقدات البراهمانية تجد **ارتباطها غالبا بالتصورات الدينية السابقة للآرية**، أكثر مما بدين الآريين الــفــيدي)[٤].

وعن موضوع عبادة الأصنام في الفترة الهندوسية المتأخرة، والتغيير الذي حصل بصورة ملموسة، يقول توكاريف أيضا: (وتظهر المعابد في هذا العصر لأول مرة في الهند... ثم تنصب داخل المعابد وخارجها تماثيل ضخمة للآلهة [لم تعرف الديانة الهندية القديمة إطلاقا تصوير الآلهة في تماثيل أو غيرها]..)[٥].

ويقول علي عبد الواحد وافي: (**وسرت إليهم كذلك عبادة الأصنام** التي ترمز إلى الآلهة أو إلى الملائكة أو إلى الكواكب أو القديسين، وتفننوا في صنعها، ووضعوا لنحتها قواعد ومقاييس مضبوطة تختلف باختلاف ما ترمز إليه، وأعطوا لكل منها اسما خاصا وتقربوا إليها بالصدقات والقرابين)[٦].

ويقول فوزي محمد حميد: (ويعتقد أن منشأ الوثنية في الديانة البرهمية هو أنهم كانوا يعبدون القوى المؤثرة في الكون وتقلباته. ثم جسدوا تلك القوى، فاعتقدوا بحلولها في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها..)[٧].

ولقد أقرت بعض الفرق والحركات الهندوسية الإصلاحية بأن نصوص الــفــيدا تنص على الإيمان بإله واحد وعلى رفض تعدد الآلهة وعبادة الأصنام والصور، وحرموا التماثيل والأوثان وحاربوها، ودعوا

Védisme وآخر متأخر هو الهندوية أو الديانة الهندية INDOUISME. وانظر أيضا: سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص٢٩٤.

(١) الأيقونة كلمة يونانية تعني حرفيا: التشابه أو المماثلة، ثم أصبحت مصطلحا دينيا يدل على أي صورة أو رسم أو تمثال لشخصية مقدسة للطبيعة أو للإله. انظر: جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٦٠.

(٢) جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٦٠.

(٣) **المرجع السابق**، ص١٦١- ١٦٢.

(٤) سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص٣٠٧.

(٥) المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٦) علي وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٨٦.

(٧) فوزي محمد حميد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى العودة إلى عقيدة الـفـيدا الأصلية. ومن أبرز هذه الحركات حركتا براهمو سماج (مجتمع الإله الواحد) ومؤسسها أحد قادة الهندوسية وهو رام موهان في سنة ١٨٢٨م. وحركة آريا سماج (مجتمع آريا) ومؤسسها أيضا هندوسي يدعى دياناندا في سنة ١٨٧٥م[١].

يقول الدكتور رحمات بأن الديانة الهندوسية هي ديانة أصنام كثيرة جدا، وأن كثرة الأصنام هذه كانت ظاهرة عند المتأخرين من الهندوس وفي عصرنا الحاضر بالذات، فهل هذا يدفعنا إلى رفض فكرة استنباط حكم بخطأ هذا الدين من أول نشأته؟[٢] ويجيب بقوله: (وإذا كان هذا الخاطر يرد على الذهن، فإنك أيضا يمكن أن تقول إن دين عيسى من أول الأمر دين فاسد، لأن الأتباع الحديثة يصنعون كذلك أصناما له..)[٣].

وهذا القول ظاهر البطلان، فدين عيسى جاء بالتوحيد ولكن أتباع هذا الدين خلطوه بالشرك فطغى عليه؛ ولهذا فهو يكمل بقوله: (ولكن، هل لدينا مسلم يحكم على أن الدين الذي جاء به سيدنا عيسى عليه السلام كان دينا خطأ؟ إن من يقول هذا حسب تعاليم الإسلام يكون كافرا، لأنه يعارض النص القرآني والحديث النبوي الشريف التي تجعل عيسى عليه السلام في زمرة الأنبياء)[٤].

ثم يتابع فيقول: (وعلى العموم، فالأديان الكبرى الموجودة الآن لم تكن أول نشأتها أديانا صنمية. ففي باطن كتب الفيدات وأوبانيشاد وغيرها من مصادر الهندوسية لا يوجد فيها شيء من التماثيل والأصنام والمعبودات المادية..)[٥].

مسألة: تأليه البشر:

المراد من هذه المسألة هو أن تأليه البشر شبيه بتأليه الملائكة، فكريشنا - مثلا - هو إما بشر جاء في صورة البطل الخارق، أو في صورة النبي المرسل، وإما ملك تجسد في صورة البشر ليوحي للبشر بتعاليم السماء، وقد صرح كثيرا بأنه لا **ينزل** إلا ليعيد للدين مجده وقوته. فهو إما نبي مقاتل، وإما ملك من ملائكة الوحي نزل على أرجون وغيره ليبلغهم بأوامر السماء.

والهندوس يطلقون على هذا التجسد أو التجلي اسم نظرية "أفتار" التي تقضي بنزول أفراد الثالوث - في اعتقادهم - واتخاذها أشكالا أرضية تتمكن من خلالها من تحقيق خمسة مقاصد ملخصها: إنقاذ العالم

---

(١) انظر: رحمات الإندونيسي، **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام**، ص٢٢٧ وما بعدها.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣٦- ٢٣٧ باختصار وتصرف.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من قوى الشر، وتدمير هذه القوى وإهلاك الدجالين، وإظهار المؤمنين على الكافرين، وتقديم الأسوة الحسنة..[١] وهذه الصورة لا تشبه شيئا غير النبوة، بل هي تحريف لعقيدة الرسالة.

والملاحظة الأساسية في نظرية الأفتار وأشكالها، هي أن هذه الأشكال قد أصبحت هي الأخرى آلهة مستقلة لها أتباعها[٢]. فالإله فشنو قد تجسد - بزعمهم - في عشرة أشكال أرضية، وكل هذه الأشكال قد عبدت فيما بعد بوصفها آلهة زادت من رصيد مجمع الآلهة الهندوسي[٣]. وأدت هذه المرونة في قبول تعدد الآلهة إلى تفتيت الثالوث الذي كان يعد إلها واحدا، وسمحت باستقلال أفراده كل على حدة، واستئثار كل واحد بكل خصائص الألوهية المطلقة التي كان الثالوث تجسيدا لها، وكانت القاسم المشترك بين أفراده[٤].

يقول ألبير شويتزر في حديثه عن الإله راما، الذي هو بطل أسطوري مقاتل: (وراما هو - كما هو الحال مع كريشنا - **بطل تم تأليهه فيما بعد** ونظر إليه في النهاية على أنه تجل لفيشنو)[٥].

فكلاهما - كريشنا وراما - بطلان مقاتلان كانا يمتلكان قوى خارقة ربما، أو أن الخيال الهندوسي أضفى عليهما مثل هذه القوى، ومع الزمن تم تأليههما بعد أن كانا مجرد بشريين.

ومثلهما أيضا، براهما وشيفا وغيرهما من المؤلَّهين؛ يقول شارح البهغفض غيطا: (إن قادة المجتمع المتعلمين حقا أمثال "بْرَهما" و "شيف" و "كبيل" و "كومار" الأربعة و "منو" و "فياس" و "ضفل" و "أسيط" و "جنك" و "برهلاض" و "بلي" ومؤخرا "مضهفاشاريا" و "رامانوجاشاريا" و "شري شايتنيا" وآخرين كثيرين - الذين هم فعلا فلاسفة وسياسيون ومربون وعلماء مؤمنون..)[٦].

فنجد أنه عد براهما وشيفا - وهما من آلهة الهندوس - من قادة المجتمع إما فلاسفة وإما سياسيين وإما مربين وإما علماء مؤمنين! فهو لم يعبر عنهما بلفظ الآلهة - مثلا - كما هو المتبع في الهندوسية، ولم يعبر عنهما باسم الملائكة الذي اعتاده عند ذكرهما في هذا الكتاب. وهذا يدل على أنهما إما ملائكة - كما نص مرارا - وإما علماء - كما نص هنا - وفي نظري أن الأقرب أن يكونا نبيَّين مرسلين، ولكن الهندوس لا يستعملون هذه الكلمة بتاتا، لا لنفيهم مبدأ النبوة، فهم يؤمنون بالوحي وتلقي البشر تعاليم السماء - كما سيمر معنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة - ولكنها مجرد اصطلاحات مختلفة، فكلمة النبي والرسول ليست موجودة في قاموسهم - فيما يظهر - فهم يستبدلونها بكلمات مثل: البرهمن، الكاهن، العالم والمربي، وغيرها من المصطلحات التي قد تؤدي إلى المعنى ذاته حسب ظني، والله أعلم.

---

(١) انظر: عبد الرضي المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٤٦.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٧.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٩.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص٤٩- ٥٠.
(٥) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص١٧٦.
(٦) **البهغفض غيطا**، ص٣٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول شويتزر أيضا بأن براهما المخلوق الأول كان يؤدي التضحيات[١].. فهو إذن ليس إلها تقدم له التضحيات، بل هو بشري يقدم التضحيات التي ترمز إلى عبادة الإله، فالذي يضحي لا يمكن أن يكون إلها بحال، بل هو عبد مخلوق عابد لرب أعلى منه، ويتقرب إليه بالقربات والعبادات المختلفة.

ويقول: (إن الأحمق لا يدري أن تجلي الإله الشخصي الأسمى في هذا العالم المادي **هو تجلي طاقته الداخلية**..)[٢].

وهذا القول يعني أن تجلي الإله في صورة بشر ليست على الحقيقة، فليست الذات الإلهية هي التي تتحول لصورة بشرية بل يعني أن تجليه يكون بطاقته، أو بقدرته، فالله تعالى يستطيع بقدرته أن يرسل نبيا يمثله أمام البشر ليبلغهم أوامره وشرعه.

يقول سيرغي توكاريف: (من جهة أخرى، يحدث تبدل في طابع التصور ذاته عن الآلهة ليصبح أكثر ديمقراطية، فنماذج الآلهة السماوية التي كانت بعيدة عن متناول الناس، والتي لم يكن من علاقة لغير البراهمة بها، كان تأثيرها ضعيفا بين الجمهور. لذا **كان من الضروري تقريب الآلهة من الشعب، كما وخلق آلهة شعبية**، تلعب دور المنقذ للشعب. فظهرت تعاليم ذات طابع خاص حول "الأفاتارات" (أي: المنحدرة من.. أو: المتجسدة في..) فكل إله سماوي يمكن أن يكون له "أفاتارا" أرضي. وتصبح بعض هذه "الأفاتارات" آلهة شعبية عامة... والآلهة - المنقذة - آلهة أرضية، **ويقام من أحدها الأكثر شعبية، كريشنا، إله منقذ**، وواحد من "أفاتارات" فيشنا. ثم يجري **تأليف أسطورة** عن مولده على الأرض... وتبدأ تروى الحكايات عن مآثره، وعن عطفه وبره بالناس، وعن مصرعه في الدنيا. **ويلعب الدور ذاته في جنوبي الهند كإله منقذ "راما"** القائد الأسطوري للآريين حين غزوهم سيلان، وبطل الملحمة الشعبية في الأدب الهندي القديم "رامايانا")[٣].

فهو يقول بأن الهندوس رأوا أنه من الضروري تقريب الشخصيات الإلهية ووضعها تحت الحس، فألهوا كريشنا وعدوه تجليا للإله الأعلى.

---

(١) انظر: ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص٤٥١.
(٣) سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص٣٠٩ باختصار. وانظر: دانييل إ. باسوك، **المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم**، ط١، ترجمة: سعد رستم، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م، ص٦. وعبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٤٠ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

عبادة البقر

مما لا يجهله أحد على ظهر هذه البسيطة، التعظيم الكبير الذي يعتقده الهنود تجاه البقر، فإنك إن سألت أي شخص عن هذه المسألة فإنه سيجيبك فورا ودون تردد بأن الهندوس يعبدون البقر، وأنهم يحرمون ذبحها مطلقا.

ولكن السؤال هو: هل عبادتهم للبقر هي عبادة بكل معنى الكلمة؟ أي كعبادة الآلهة مثلا؟ أم هو مجرد احترام وتبجيل مبالغ فيه ولا يرقى إلى العبادة التي نعرفها؟

وهل هذه العبادة هي من جوهر الديانة وأصولها؟ أم أنه شيء طارئ على الهندوسية؟

وهل تحريم ذبح البقر هو شيء قطعي عندهم ومن أصول الديانة فعلا، بناء على اعتبارها إلها؟

يقول الأعظمي: (حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة، وأرفع درجة، وأعلى منزلة، لأنها كانت من أغلى ثروات الآريين، وكانوا في حاجة إلى العطف عليها وتربيتها؛ لأنها تدر لهم فوائد كثيرة، فوضعوا في كتابهم المقدس أبياتا لتمجيدها..)[١].

ثم نقل عن الريج فيدا نصوصا تقدس البقرة وتحميها وتؤثم إيذاءها..[٢] وأخذ بعد أسطر يناقش مسألة تقديس البقرة، ويقول بأن الآريين كانوا يجعلون من جلود البقر فراشا ومن عظامها سلاحا في البداية..[٣]

فإذا كان الآريون فعلا يتخذون من جلد البقر فراشا ومن عظامها سلاحا، فهي لم تكن عندهم إلها معبودا في البداية، فإن البقرة مقدسة عند المتأخرين في حياتها وبعد مماتها، وكل أجزائها مقدسة ولا يجوز امتهان شيء منها أو استخدامها.

ومما يؤيد كلام الأعظمي، وأن الآريين في الأصل لم يكونوا يعبدون البقرة أو يؤلهونها، ولم يكن لها أية قيمة خاصة متميزة عن بقية الحيوانات، بل كانت من ضمن الأضاحي التي يقدمها الهندوسي، ما قرره البيروني من أن تحريم ذبح البقر جاء متأخرا، أما في البداية فكانت مباحة.

يقول البيروني، بعد أن عدد المحرمات من الأطعمة عند الهندوس، وعد فيها البقر: (وقد قال بعضهم **إن البقر كان قبل " بهارث"[٤] مباحا، ومن القرابين ما فيه قتل البقر، إلا أنه حرم بعد "بهارث"** لضعف طباع الناس عن القيام بالواجبات، كما جعل "بيذ" وهو في الأصل واحد، أربعة أقسام تسهيلا على الناس. وهذا كلام قليل المحصول؛ فإن تحريم البقر ليس بتخفيف ورخصة، وإنما هو تشديد وتضييق).

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٠٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٦٠١ نقله عن: [**ريج فيدا** ١٥/ ١٠١/ ٨، ١/ ١٧٣/ ١، ١١/ ٧٥/ ٦، ٩/ ١٢١/ ١، ٢٦/ ٤٧/ ٦، آتور فيدا ٤٦/ ٩/ ١٣].

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٦٠٢ نقله عن: [**ريج فيدا** ١١/ ٧٥/ ٦، ٩/ ١٢١/ ١، ٢٦/ ٤٧/ ٦].

(٤) هو كتاب "المهابهارتا" سالف الذكر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالبقر كان مباحا قبل المهابهارت، وحرم بعده، وكتاب المهابهارت ألف قبل الميلاد بـــ (٩٠٠) سنة أو (٣٠٠) سنة، على الاختلاف بين المؤرخين، فعلى كلتا الروايتين يكون تحريم ذبح البقر وأكله متأخرا جدا نسبة إلى تاريخ الديانة والحضارة في الهند.

ويتابع فيقول: (وسمعت غير هؤلاء يقولون **إن البراهمة كانت تتأذى بأكل لحمان البقر**)[١].

ومع كل ذلك التعظيم المزعوم للبقر وتحريم ذبحها، لم أجد لها ذكرا في كتاب البهغفض غيطا (الكيتا) الذي هو جزء أساسي ورئيس من أجزاء المهابهارتا. غير أن الشارح قد ذكر البقر ومدى سوء قتلها استطرادا حين كلامه عن قتل الحيوان إرضاء للملذات البشرية. قال: (إن ذبح الحيوانات الضعيفة تسببه ظاهرة الجهل كذلك. إن قاتلي الحيوانات لا يدرون بأن الحيوان الذي يقتلونه سوف يحصل في المستقبل على جسد مناسب لكي يقتلهم. هذا هو قانون الطبيعة. في المجتمع البشري، إذا قتل الإنسان إنسانا آخر فإنه يعاقب بالشنق بموجب قانون الدولة. ونتيجة للجهل، لا يدرك البشر وجود دولة مثالية يحكمها المولى الأسمى. **إن كل مخلوق حي هو ابن المولى الأسمى، ولا يتحمل المولى الأسمى حتى قتل نملة**. وعلى الإنسان أن يدفع ثمن فعلته. وعليه، فإن الانغماس في قتل الحيوان إرضاء لمذاق اللسان هو أرخص أنواع الجهل. **لا حاجة للإنسان لقتل الحيوانات لأن الله يمده بكثير من المأكولات الطيبة**. وإذا انغمس الإنسان في تناول اللحوم، رغم ذلك، فلا بد وأن يفهم أنه يعمل بوحي الجهل وأنه يجعل من مستقبله حالك الظلمة. **إن قتل البقرة هو الأكثر إثما وشراسة من كل أنواع قتل الحيوان، ذلك لأن البقرة توفر لنا كل أنواع المتعة بإمدادنا بالحليب. إن ذبح البقرة هو أحط أنواع الجهل..**

وفي الأدب الفيداوي ترد العبارة التالية: ((ربِّ أنت مريد خير للأبقار وللبراهمة، كما أنك مريد الخير للمجتمع البشري بأسره وللعالم)). المغزى هو الإشارة الخاصة الواردة في هذا الدعاء لحماية الأبقار والبراهمة - إن البراهمة هم رمز التربية الروحية، **والأبقار هي رمز أكثر أنواع الطعام قيمة، ويجب منح كل الحماية لهذين المخلوقين: البراهمة والأبقار** - هذا هو التقدم الحقيقي للحضارة..)[٢].

وليس في كلامه هذا أي تأليه أو تقديس للبقر، أو الإشارة إلى عبادتها وتقديم القرابين له، أو مساواتها بالله تعالى، بل هو مجرد احترام وتقدير، ومنع ذبحها إنما هو مساو لمنع ذبح أي حيوان آخر، لكن لها مكانة خاصة كونها تنتج واحدا من أعظم الثروات الحيوانية التي يحتاجها الإنسان.

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٤٦٨.
(٢) **الغيطا**، ص٦٦١- ٦٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاء في الكيتا أيضا ما يدل على مساواة البقرة للكلب والمنبوذ في عيني العابد المستقيم، يقول النص: ((يرى الحكيم المتواضع بفضل المعرفة الحقة: كلا من البرهمي الكيس المتعلم والبقرة والكلب وآكل لحوم الكلاب (المنبوذ) بعين واحدة))[١].

يقول شارح النص: (لا يفرق الواعي بكريشنا بين الأجناس أو الطبقات. قد يختلف البرهمي عن المنبوذ من الناحية الاجتماعية، كما قد يختلف كلب، أو بقرة أو فيل من ناحية الجنس، إلا أن هذه الاختلافات الجسدية لا تعني شيئا بالنسبة للعلامة الفقيه التجاوزي..)[٢].

ويقول في موضع آخر: (استنادا إلى معيار النشيد، فإن الإنسان المتعلم هو من يرى بعين واحدة كل من البرهمي الكيس والكلب والبقرة والفيل ومن يعيش على لحوم الكلاب. هذه هي نظرة المكرس الحق..)[٣].

وفي كتاب منو سمرتي يعد قتل البقر ذنبا صغيرا يكفر عنه بكفارات يسيرة سهلة، فقد جاء فيه: ((**وقتل البقر**.. وترك قراءة الويد اليومية..)) وعدد كثيرا من الذنوب التي تتراوح بين الكفر والكبائر كالإلحاد والزنا وقتل المرأة!! وبين الصغائر وسفاسف الأمور كتعليم الويد بأجر وقطع الأشجار الخضراء للحرق والعمل للنفع الذاتي فقط.. إلى أن قال: ((**كل أولئك ذنوب صغيرة** يخسر بها مرتكبها فرقته))[٤].

وجاء فيه: ((على من يرتكب **ذنبا بسيطا بقتله بقرة أو ثورا**، أن يحف شعر رأسه ويكتسي جلد الحيوان الذي قتله ويعيش في مربض البقر ويقتات كل الشهر الأول بالسويق)).. وذكر كثيرا من الأمور التي يجب عليه القيام به تجاه البقرة، كخدمتها وحمايتها والاغتسال ببولها ومتابعتها أينما ذهبت وعدم الكلام أو التعليق إذا أكلت أي شيء من داره أو دار غيره أو من الحقل أو المزرعة، وكذلك أثناء رضاعة العجل. ثم قال: ((**يطهر قاتل البقر من إثمه** بعد ثلاثة أشهر إن خدم البقر بهذه الطرق المذكورة آنفا))[٥].

((يعاقب السائق - على أي حال - إذا اصطدمت مركبته بمركبة أخرى وتسبب عن ذلك موت أحد المخلوقات، فإن قتل إنسانا يعاقب كاللص، **وإن كان المقتول حيوانا كبيرا أو بقرة** أو فيلا أو جملا أو حصانا **يعاقب بنصف ذلك**))[٦].

يقول جفري بارندر بأن الهندوسية المتأخرة ذهبت إلى تحريم قتل أي كائن حي مهما كانت الظروف أو الأسباب، هذا القول الذي ذكر على نحو باهت في اليوبانيشاد، وهو قول مخالف لأفكار الـفـيدا الذي

---

(١) **الغيطا**، ص٢٧٩- ٢٨٠.
(٢) المرجع السابق، ص٢٨٠.
(٣) المرجع السابق، ص٣٧١.
(٤) **منو سمرتي**، ص٦٢٩- ٦٣٠.
(٥) المرجع السابق، ص٦٤١- ٦٤٢.
(٦) المرجع السابق، ص٤٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قامت عباداته على أساس التضحية. **ثم قال بأن تحريم البقرة، بصفة خاصة، قد ظهر في هذه الحقبة لأول مرة، فقد كان الآريون الفيديون يستخدمون البقرة ليولموا لضيوفهم وليضحوا بها لآلهتهم**[١].

فهذا تصريح بأن ذبح البقر وتقديمه في الولائم كان جائزا عند الهندوس الآريين الأوائل، أما التحريم فيعود إلى مراحل متأخرة، كفترة الأوبانيشاد التي ذكرها، والتي يعود زمن تأليفها إلى فترة وقعت خلال قرون ثلاثة أو أربعة، تنتهي نحو العام (٣٠٠) قبل الميلاد، أي أن البدايات كانت في حوالي (٧٠٠) سنة قبل الميلاد، وهو زمن متأخر في حياة الديانة.

ويقول فوزي محمد حميد: (عندما جاء الآريون الزراعيون إلى الهند، كانوا يستخدمون البقرة **دون أن يقدسوها، وكانوا يأكلون من لحومها** قدر ما يستطيعون، ويهبون جزءا منها للكهنة أو للآلهة، ولكنهم حرموا ذلك فيما بعد..)[٢].

ويقول علي عبد الواحد وافي: (**وقد سرت صفة القداسة عندهم مع تقادم العهد** إلى بعض الأنهار والجمادات وبعض الحيوانات، **وعلى الأخص فصيلة البقر**، التي ينـــزلونها منزلة كبيرة من القداسة تقرب من درجة العبادة، ويحرمون ذبحها، ويعتبرون التعرض لها بالأذى من أكبر الجرائم)[٣].

وقد وردت نصوص كثيرة منقولة من كتب الـــفـــيدا المقدس تنص على جواز أكل لحم الثيران، وأن الآلهة كانت تطبخها وتأكلها[٤]، وهذا دليل على أن تقديسها وعبادتها - إن صح ذلك الزعم - قد جاء متأخرا وليس أصليا في الديانة الهندوسية الـــفـــيدية القديمة، والله أعلم.

يقول سيرغي توكاريف عن تأثير الديانات المحلية البدائية السابقة للآريين في الهندوسية المتأخرة: (في المرحلة البراهمية على الأرجح، **لعبت العبادات المحلية القديمة، التي كانت مرتبطة بمعتقدات سكان الهند قبل الغزو الآري**، دورا مرموقا في الأديان الهندية. من هذه المعتقدات: عبادة الحيوانات، وعبادة الأفاعي والقرود والفيلة وغيرها من التي قد تكون ذات أصول طوطمية، وقد اتخذت شكلا شرعيا في الهندوسية)[٥].

وكان منشأ عبادة بعض الحيوانات - عامة - نصوصا مثل ما ورد في منو سمرتي:

- ((على من يريد لنفسه الخير والصلاح: ألا يهين الكشتري، ولا الحية، ولا البرهمن العالم؛ ولو كانوا ضعفاء، وكان قادرا على إهانتهم.. لأن هؤلاء الثلاثة، يهلكونه؛ إذا أهينوا. لذلك؛ عليه ألا يهينهم، ولا يحتقرهم))[٦].

---

(١) انظر: جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٥٩.
(٢) فوزي محمد حميد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ص١٧٦.
(٣) علي وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ص١٨٦.
(٤) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٤١.
(٥) سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص٣٠٩.
(٦) **منو سمرتي**، ص٢٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال المعلق: (من هنا نشأت عبادة الحيات، التي ما زالت رائجة، عند كثير من الأقوام، والفكرة الأساسية في الأمر: هي عدم أذية الحية؛ لكي لا تؤذي من آذاها)[١].

فيكون النص في أصل كتابته يريد أمرا، ثم يتغير معناه وهدفه حتى يصير دالا على أمر مختلف تماما لم يرده النص ولا يهدف إليه.

(١) **منو سمرتي**، ص٢٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الرسالة والنبوة في الهندوسية بين النفي والإثبات

المبحث الأول: عقيدة الرسالة والنبوة في المنظور الإسلامي

المطلب الأول: إرسال الرسل لجميع البشر
المطلب الثاني: حاجة البشرية للرسل
المطلب الثالث: الكتب المنزلة على الأنبياء

المبحث الثاني: الإيمان بالرسل عند الهندوس بين النفاة والمثبتين

المبحث الثالث: الإيمان بالوحي والكتب السماوية عند الهندوس

المبحث الرابع: البشارات بالنبي العربي ﷺ في الكتب الهندوسية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

اختلف العلماء كثيرا في تعريف النبوة والرسالة والنبي والرسول والفرق بينهما إلى أقوال عديدة، بين متكلمين على شتى فرقهم ومذاهبهم، وبين صوفية وفلاسفة وغيرهم من أهل الفكر[١].

أما التعريف الذي اطمأنت إليه نفسي فهو الآتي:

الرسالة: هي انبعاث أمر من المرسل إلى المرسل إليه، وأصلها: المجلة، أي الصحيفة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد[٢]. وتكون عبارته لتلك الرسالة شبيهة للمصور في قلبه من وحي الله[٣].

والرسول: في اللغة هو من يبلغ أخبار من بعثه لمقصود. سمي به النبي المرسل، لتتابع الوحي عليه، إذ هو فعول بمعنى مفعول[٤].

أما **النبوة:** فهي سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عبيده لإزاحة عللهم في معاشهم ومعادهم فيما قصرت عنه عقولهم[٥]. وهذا التعريف يصلح للرسالة أيضا[٦].

والنبي: في اللغة مأخوذ من الإنباء، وهو الإخبار، أي أنه مخبر عن الله[٧]. سمي به لكونه منبئا بما تسكن إليه العقول الذكية، ويصح كونه فعيلا بمعنى فاعل، وكونه بمعنى مفعول[٨].

والرسول باعتبار الملائكة أعم من النبي، إذ قد يكون من الملائكة بخلافه، وباعتبار البشر أخص منه، إذ الرسول رجل بعث إلى الخلق لتبليغ الأحكام الشرعية، وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي[٩].

والنبي هو من أوحي إليه بملك، أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤية الصالحة. فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة، لأن الرسول هو من أوحى إليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب من الله[١٠].

---

(١) انظر: محمد نبيل طاهر العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، رسالة لنيل درجة العالمية (الدكتوراة) في العقيدة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، ١٩٩٣م، ص٣٩- ٥٥، ٨٦- ٩٤، ١٢١- ١٥٠. وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط١٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٢٦٦- ٢٧٠. وعمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص١٣- ١٥. وقحطان الدوري، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ص٣٣١- ٣٣٣. ومحمد علي الصابوني، **النبوة والأنبياء**، دط، د دار نشر، مكة المكرمة، ١٣٩٠هـ، ص٩- ١٥. **وشرح المصطلحات الكلامية**، ص٣٦٢- ٣٦٣.

(٢) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٣٦٣.

(٣) **شرح المصطلحات الكلامية**، ص١٥٨.

(٤) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٣٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص٦٩١. وانظر: **شرح المصطلحات الكلامية**، ص٣٦٣.

(٦) انظر: **شرح المصطلحات الكلامية**، ص١٥٨.

(٧) **شرح المصطلحات الكلامية**، ص٣٦٣.

(٨) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٦٩١.

(٩) المرجع السابق، ص٣٦٤. وانظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص١٨٠. **وشرح المصطلحات الكلامية**، ص١٥٩.

(١٠) الجرجاني، **التعريفات**، ص٣٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما بالنسبة للهندوسية، فإن مما يعرفه الباحثون المتخصصون في الأديان، القول الشهير للإمام الشهرستاني في مسألة نفي النبوة عند الهندوس. فقد قرر في كتابه "الملل والنحل" والذي يعد من أهم المصادر في علم الأديان، أن الهندوس يمنعون عقلا إرسال الرسل والأنبياء إلى البشر، ويرون استحالته[١].

وقد قال بهذا القول كثير من علمائنا ممن سبق الشهرستاني زمنا، ووافقه عليه جمع ممن أتى بعده، كما سيأتي معنا مفصلا.

وفي نظري، لا مانع إطلاقا من قبول مثل هذه النتيجة التي وصل إليها أي من أئمتنا المبرزين المتميزين، لا سيما إن كانت هذه النتيجة مبنية على نقل صحيح أو استنتاج رجيح، مدعما بالأدلة القوية التي تضع هذه النتيجة في خانة الظن الراجح على الأقل.

ففي هذا الفصل سأحاول التوصل إلى حقيقة قول الشهرستاني في هذه المسألة، وهل تابعه عليه أحد غيره من أهل العلم والباحثين؟ وهل خالفه أيضا غيره من أهل العلم؟

ثم سأحاول البحث عن أي نص هندوسي مقدس، أو أي قول لعالم أو باحث يثبت أن الهندوس يعتقدون بالنبوة والرسالة، أو أن التاريخ ذكر أحدا من الأنبياء الذين ظهروا في بلاد الهند.

وإن لم أجد شيئا يؤيد وجود أنبياء في الهند، أو نصا هندوسيا يصرح بإيمانهم بالرسل والرسالات، فسأسلم للشهرستاني بنتيجته، فليس هدفي إثبات أنهم يؤمنون بالنبوات، بل هدفي هو البحث عن الحقيقة.

---

(١) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، دط، ٢م، (تحقيق: محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ، م٢، ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول
عقيدة الرسالة والنبوة في المنظور الإسلامي

إن بحثنا في إثبات اعتقاد الهندوس بالرسالات والنبوة ليس فقط من خلال الواقع الهندوسي أو ذكرهم للأنبياء في كتبهم. بل ستكون بداية بحثي لهذه الجزئية من خلال التصور الإسلامي للرسالة والرسل، وحتمية إرسال الرسل لجميع الشعوب والمناطق الجغرافية المختلفة، التي يقطنها أعداد كبيرة من البشر، الذين يحتاجون للرسالات الإلهية مثلهم مثل باقي الأمم.

ففي البداية سأحاول بحث مسألة حاجة البشر عامة لوجود رسول من عند الله تعالى يبلغهم رسالات ربهم، وإثبات أن الله تعالى لم يحرم أحدا من البشر هذه النعمة الربانية العظيمة، فهو سبحانه لا يرضى لعباده الكفر، بل يرسل دوما لعباده من يظهر لهم الحق، فهو سبحانه يريد لعباده اليسر والخير، وهو يغار سبحانه من عبادة غيره معه، ويحب أن يعذر في عباده بأنه قد أرسل إليهم من يرشدهم إلى الحق، فلا يكون لأحد على الله حجة يوم القيامة إن عذبه، ويكفينا في هذا المعنى قول النبي ﷺ: ((أتعجبون من غيرة سعد! والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين..))[١] وقوله عليه الصلاة والسلام: ((وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل))[٢] وقال أيضا عليه السلام: ((لا أحد أحب إليه العذر من الله وذلك أنه اعتذر إلى خلقه))[٣].

وهذا ما قاله ربنا عز وجل : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[٤] فقد أعذر من أنذر.

وسنجد أن القرآن الكريم قد صرح مرارا بأن الله تعالى أرسل لكل أمة رسولا، وأنه سبحانه لم يقص علينا أسماء وأخبار جميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم إلى البشر. وينص الحديث الشريف على عدد كبير من الأنبياء والمرسلين، يبلغ أضعاف أضعاف الأسماء التي نعرفها من خلال القصص القرآني. فهذه العقيدة هي الحق الذي لا ينبغي لأحد اعتقاد خلافه، فهو صريح القرآن الكريم.

لا بد من الإقرار بأن الله تعالى لم يَدَعْ أحدا من الأقوام من بني البشر إلا وأرسل لهم رسلا مبشرين ومنذرين، وهذا صريح في كتاب الله تعالى، قال سبحانه:

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: (لا شخص أغير من الله)، م٦، ص٢٦٩٨، برقم: ٦٩٨٠. ومسلم، **الصحيح**، كتاب اللعان، م٢، ص١١٣٦، برقم: ١٤٩٩.
(٢) مسلم، **الصحيح**، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، م٤، ص٢١١٣، برقم: ٢٧٦٠.
(٣) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، **المعجم الكبير**، ط٢، ٢٠م، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م، م١٠، ص١٧٧، برقم: ١٠٣٧٨.
(٤) سورة النساء، آية: ١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[١].

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ وتأمل فيه، ألا يشمل هذا التعميم بلاد الهند والصين والقارتين الأمريكيتين قبل النصرانية والقارة الأفريقية وأستراليا وحتى القطب الشمالي الذي يقطنه أعداد من البشر المعزولين عن البشرية منذ قرون وقرون؟

يقول الطبري: (يقول تعالى ذكره: (ولقد بعثنا) أيها الناس (في كل أمة) سلفت قبلكم (رسولا) كما بعثنا فيكم بأن (اعبدوا الله) وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة (واجتنبوا الطاغوت) يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله، فتضلوا)[٢].

وقال البقاعي: (.. {ولقد} أي والله لقد {بعثنا} أي على ما لنا من العظمة التي من اعترض عليها أخذ {في كل أمة} من الأمم الذين قبلكم {رسولا} فما بقي في الأرض أحد لم تبلغه الدعوة، ولأجل أن الرسل قد تكون من غير المرسل إليهم كلوط وشعيب عليهما السلام في أصحاب الأيكة وسليمان عليه السلام في غير بني إسرائيل من سائر من وصل إليه حكمه من أهل الأرض لم يقيد ب « منهم »..)[٣].

وقال ابن عادل: (فإنه يدل على أنه - تعالى - كان أبدا في جميع الأمم؛ آمرا بالإيمان، وناهيا عن الكفر)[٤]. فيفهم من كلام المفسرين أن الله تعالى لم يدع أمة من الأمم دون رسول يرشدهم إلى الخير وإلى الصراط المستقيم، فالتعميم في الآية مراد. وقد اختار هذا الرأي من المعاصرين قحطان الدوري، فقال: (وقد أرسلهم الله تعالى إلى أمم العالم جميعا، فكل أمة لها رسول، وإن لم يخبرنا الله بأسمائهم..)[٥].

٢- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٦].

قال صديق حسن خان: (أي ما من أمة من الأمم الماضية إلا مضى فيها نذير من الأنبياء ينذرها، والأمة الجماعة الكثيرة، وتقال لكل أهل عصر، والمراد هنا أهل العصر... فإن قلت: كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام لم يخل فيها نذير؟ قلت: إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٦.
(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط٣، ١٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، م٧، ص٥٨٢.
(٣) البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥ هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط١، ٨م، (تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، م٤، ص٢٦٧.
(٤) ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ)، **تفسير اللباب في علوم الكتاب**، ط١، ٢٠م، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، م١٢، ص٥٤.
(٥) انظر: قحطان عبد الرحمن الدوري، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ص٣٣٩.
(٦) سورة فاطر، آية: ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نذير إلا أن تندرس، وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا ﷺ... وهذا يقتضي أن أهل الفترة مكلفون لبقاء آثار الرسل المتقدمة فيهم...)[١].

٣- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢].

قال الزمخشري: (لكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به..)[٣].

وقال القرطبي: (المعنى: لكل أمة رسول شاهد عليهم..)[٤].

وقال صديق حسن خان: (..(ولكل أمة) من الأمم الخالية في وقت من الأوقات (رسول) يرسله الله إليهم يبين لهم ما شرعه الله لهم من الأحكام على حسب ما تقتضيه المصلحة..)[٥].

وقال محمد رشيد رضا: (أي أنه تعالى جعل لكل أمة من الأمم الخالية رسولا بعثه فيها في وقت الحاجة إليه يبين لهم أصول دينه..)[٦].

ويقول الشيخ الشعراوي: (والحق سبحانه هنا يبين أن لكل أمة رسولا يتعهدها بأمور المنهج، وقد خلق الحق سبحانه كل الخلق، فكانوا موحدين منذ ذرية آدم عليه السلام ثم اقتضت الأحداث أن يتباعدوا، وانتشروا في الأرض، وصارت الالتقاءات بعيدة، وكذلك المواصلات، وتعددت الآفات بتعدد البيئات.. أما في الأزمنة القديمة، فقد كانت أزمنة انعزالية، تحيا كل جماعة بعيدة عن الأخرى، ولذلك كان لا بد من رسول لكل جماعة، ليعالج داءات [كذا] البيئة.. إذن: فالحق سبحانه هنا يبين أن لكل أمة رسولا جاءها بالبلاغ عن الله...)[٧].

وقال الشيخ الطنطاوي: (ثم بين - سبحانه - أن من مظاهر رحمته بعباده، أن جعل لكل أمة رسولا يهديها إلى الحق وإلى الطريق المستقيم فقال - تعالى - : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٨] أي: أنه - سبحانه - اقتضت حكمته ورحمته أن يجعل لكل جماعة من الناس، رسولا يبلغهم ما أمره الله بتبليغه، ويشهد عليهم بذلك يوم القيامة)[٩].

---

(١) القنوجي، صديق حسن خان البخاري (ت ١٣٠٧ هـ)، **تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن**، دط، ١٥م، (تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري)، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٩م، م١١، ص٢٤١.

(٢) سورة يونس، آية: ٤٧.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، اعتنى به: خليل مأمون شيحة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٤٦٥.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط١، ٢٤م، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م، م١١، ص٥.

(٥) القنوجي، **تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن**، م٦، ص٧٢.

(٦) محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م)، **تفسير المنار**، ط١، ١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، م١١، ص٣٣٠.

(٧) محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، دط، ١٢م، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة، دت، م١٠، ص٥٩٧٢ باختصار.

(٨) سورة يونس، آية: ٤٧.

(٩) محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دط، ٣٠م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، م٧، ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١].

وهذه الآية صريحة أيضا بأن الله تعالى قد جعل لكل قوم وشعب وأمة من يهديهم إلى الحق أي يرشدهم إليه. ثم إن آيات الشهادة الأربعة تدل أيضا على أن الله سيخرج يوم القيامة من كل أمة من يشهد عليهم بأنه قد أدى فيهم واجبه الشرعي وبشرهم وأنذرهم، وقد يكون هذا الشهيد نبيا أو رسولا أو مصلحا مجددا من العلماء الصالحين، فالمهم أنه لم يخل وقت في كل أمة من نذير بشير، يبلغ أوامر ربه ورسالته، فيقيم عليهم الحجة أمام الله تعالى، وهذا يستدعي بالضرورة وجود نصوص أو تعاليم قالها وحاول نشرها، كانت متداولة بين تلك الأمم، سواء آمنت به أم لم تؤمن، وهذه التعاليم هي التي أريدها في هذا البحث.

٥- آيات الشهادة: قال تعالى:

أ- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[٢].

ب- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾[٣].

ت- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[٤].

ث- ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[٥].

والشهيد المراد في هذه الآيات إنما هو النبي الذي أرسله الله في كل أمة من الأمم، كما قاله كثير من المفسرين[٦]، وقد يكونون من غير الأنبياء كما نقل البعض الآخر؛ فقد قال القرطبي: (وهم الأنبياء شهداء على أممهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوا الرسالة ودعوهم إلى الإيمان، في كل زمان شهيد وإن لم يكن نبيا، وفيهم قولان: أحدهما - أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء. الثاني - أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه. قلت: فعلى هذا لم تكن فترة إلا وفيها من يوحد الله..)[٧].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٧.
(٢) سورة النساء، آية: ٤١.
(٣) سورة النحل، آية: ٨٤.
(٤) سورة النحل، آية: ٨٩.
(٥) سورة القصص، آية: ٧٥.
(٦) انظر: الزمخشري، **تفسير الكشاف**، ص٥٨١. وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤م، (تحقيق: حامد أحمد الطاهر)، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م، م١، ص٧٤٦. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، م٦، ص٣٢٦. والشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، **تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ط٢، ٦م، (تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٧م، م٤، ص٢٤٤. ومحمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، دط، ١٢م، دار سحنون، تونس، دت، م٢، ص٥٧. وابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، المكتب الإسلامي، ودار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٨٣.
(٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، م١٢، ص٤١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالخلاصة هي أنه ما وجدت جماعة من البشر يوما إلا وقد أرسل الله إليهم نبيا يرشدهم إلى الصراط المستقيم ويأخذ بأيديهم إلى الجنة. ويذهب المودودي إلى أن الله تعالى لم يدع أمة من الأمم إلا وأرسل إليها رسله وأنبياءه، من الهند والصين وفارس والعراق ومصر وإفريقية وأوربة..[١] ويقول بأنه قد بقي جزء من الصدق والحق في كل أمة رغم التحريف والتبديل الذي حصل في كل ديانة، ورغم مسخ كل أمة لتعاليم نبيها.. فقد انتشرت العقيدة في الله والحياة الآخرة في جميع الأمم بأية صورة من الصور..[٢] ويقول: (فنحن نؤمن بكل من عسى أن يكون جاء من رسل الله إلى بلاد الهند والصين وإيران ومصر وإفريقية وأوربة وسائر نواحي الأرض وأرجائها، ولكننا لا نستطيع أن نقول عن فلان منهم إنه كان أو لم يكن رسولا من الله، وذلك أننا لم نخبر عن ذلك بشيء. غير أنه لا يجوز لنا بحال من الأحوال أن نذم أو نذكر بالسوء أحدا من الذين يتبعهم رجال مختلف الديانات في الأرض، وما أدرانا إن كانوا من رسل الله حقا، ثم بدل الناس دينهم من بعدهم، كما بدل أتباع موسى وعيسى عليهما السلام دينهما من بعدهما..)[٣].

وقد ذهب إلى هذا القول أيضا الشيخ سعيد حوى، وقال كلاما قريب الشبه جدا مما قاله المودوي[٤]. وكان مما قاله: (والمعروف أن آثار زرادشت أحرقها الإسكندر المقدوني، وليس عند البراهمة أسانيد متصلة إلى رسول، وهكذا قل في كل دين من الأديان، ومن ههنا نقول: إن الميزان الذي نعرف به ما إذا كان هناك بقية من حق في دين من الأديان إنما هو القرآن والسنة النبوية، ووجود شيء من ذلك في دين لا يعني بالضرورة أن هذا الدين أصوله سماوية، بل قد يكون تسلل إليه من دين سماوي، والملاحظ أن الدراسة المتعمقة لكثير من نصوص الديانات المندثرة أو الباقية تثبت وجود بعض الموافقات لبعض معاني القرآن والسنة، وهذا يؤكد شيئين: الشيء الأول: أن أصول هذه الديانات كانت سماوية. والشيء الثاني: أن كل أمة قد أرسل لها رسول، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم برسالة أحد ونبوته إلا إذا جاءنا ذلك عن طريق الكتاب والسنة، وذلك لاحتمالات أن يكون بعضهم من نسب إليهم بقايا الحق هذه من المجددين أو من المتأثرين بآثار الأنبياء.. ومن أجل أن يكون عندك تصور ما عن بقايا حق توافق في بعض نصوص الكتاب والسنة في بعض الديانات المندثرة أو الباقية، فإننا ننقل لك بعض النقول عن الديانات المصرية والهندية والفارسية والصينية..)[٥]. ثم قام بنقل كلام البيروني الذي نقلناه في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذه الرسالة، الذي يصرح فيه البيروني بأن اعتقاد الهند في الله تعالى الوحدانية والتنزيه الخالص الموافق لعقيدة المسلمين. ثم قال حوى: (إن الكلام الذي مر معنا فيه ما يعترض عليه، ولكن فيه

---

(١) أبو الأعلى المودودي، **مبادئ الإسلام**، ط٢، ترجمة: محمد عاصم الحداد، مكتبة الشباب المسلم، دمشق، ١٩٥٧م، ص٤١، ٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤٣. وانظر: ممدوح الزوبي، **هل كان زرادشت نبيا؟**، ص٨٤.

(٣) أبو الأعلى المودودي، **مبادئ الإسلام**، ص٨٥.

(٤) انظر: سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، م٢، ص٧٩٣، ٨٣٧- ٨٣٨.

(٥) المرجع السابق، م٢، ص٨٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكثير مما يوافق الكتاب والسنة، وفيه ما يدل على أن براهما قد أنزل عليه كتاب، فإذا صح النقل، فإن براهما يكون رسولا قد غلا فيه قومه وألهوه، كما فعل النصارى بالمسيح ابن مريم عليه السلام)[١].

ومن المعلوم لدينا جميعا، أن الله تعالى لم يقص علينا أخبار جميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم إلى البشر، بل المذكور لدينا منهم في كتاب الله تعالى الكريم خمسة وعشرون نبيا لا غير، وجاء ذكر النبي السادس والعشرين بصورة عابرة، وهو العبد الصالح في سورة الكهف، وهو نبي على الراجح من أقوال أهل العلم، واختلف في نبوة لقمان وذي القرنين وعزير على أقوال عند أهل العلم.

ولقد أضافت السنة النبوية المشرفة ذكر بعض الأنبياء الآخرين أيضا كيوشع بن نون وشيث وغيرهما، فلا يتجاوز عدد الأنبياء المعروفين في النصوص الإسلامية الثلاثين نبيا.

ومن الأدلة على ذلك الحديث الطويل الوارد في صحيح ابن حبان، وهو حديث أبي ذر رضي الله عنه حين قال له النبي ﷺ: (يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم وشيث وأخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، ونوح..) الحديث[٢].

وقد أضافت كتب أهل الكتاب أنبياء أخر، ولكن هؤلاء كانوا أنبياء بني إسرائيل فقط، وعددهم ليس بالكبير أيضا، مقارنة بما رواه علماؤنا من قول النبي ﷺ حين سأله أبو ذر رضي الله عنه فقال: قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا)[٣].

فهذا عدد كبير جدا من الأنبياء، أرسلهم الله إلى أمم الأرض جميعا، لا شك عندي في ذلك، وهؤلاء الأنبياء هم الذين عناهم ربنا جل وعلا حين قال: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[٤]. وحين قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[٥].

فهاتان الآيتان صريحتان في أن الله أرسل رسلا كثيرين إلى أقوام عديدين، ولكن لم تدع الحاجة إلى ذكر أخبارهم وما دار بينهم وبين أقوامهم، إما لعدم تميز أخبارهم كما تميزت أخبار من قص علينا أخبارهم، سبحانه، وإما للاكتفاء بما أنزل علينا من قصص الأنبياء المشهورين، وأن العبرة والعظة والتسلية لنبينا ﷺ قد حصلت بصورة كافية بقص أخبار هؤلاء، فلم يكن هنا داع لذكر أخبار غيرهم،

---

(١) سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، م٢، ص٨٤٠- ٨٤٢. باختصار.
(٢) ابن حبان، **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها م٢، ص٧٦ برقم: ٣٦١.
(٣) ابن حنبل، **المسند**، م٥، ص٢٦٥، برقم: ٢٢٣٤٢.
(٤) سورة النساء، آية: ١٦٤.
(٥) سورة غافر، آية: ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالعبرة في قرآننا المجيد هي في وصول العبرة إلى أذهان القارئين والسامعين لآي الذكر الحكيم، لا مجرد السرد التاريخي والقصصي الخالي من زيادة فائدة أو درس، خلافا للكتاب المقدس الذي يقرؤه أهل الكتاب، والمحشو حشوا بتفاصيل كثيرة لا حصر لها، لا تسمن ولا تغني من جوع، بل هي مجرد لغو وسرد ممل لا طائل تحته.

فالمهم أن الأنبياء كثر جدا، وهم على عدد الأمم والأزمان، أرسلهم الله تعالى لجميع أهل الأرض ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[١].

صحيح أن الله تعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[٢] ولكن الله تعالى عودنا على سنن تقبلها عقولنا وتفهمها جيدا، وليس من سنة الله في خلقه أن يحابي أقواما دون أقوام، والأمر الداعي إلى إرسال النبي إلى قوم معينين هو هو ذاته الداعي لإرسال مثله إلى الأقوام الآخرين، والله تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[٣].

فهو سبحانه لا يرضى أن يرى قوما يعبدون غيره وينتهكون محارمه ليلا نهارا دون أن يفعل شيئا لإنقاذهم من الضلال ولإخراجهم من الظلمات إلى النور، فهذا السبب الذي لأجله أرسل أنبياء لبني إسرائيل ولفرعون وللعرب، وهو متحقق أيضا في أهل الهند والصين والأحباش وغيرهم من شعوب الأرض، فليس من حكمة أو مرجح لإرسال الأنبياء إلى العرب وإلى العبرانيين وترك أهل الهند والصين دون أنبياء، فليس هؤلاء بأكرم عند الله من أولئك، والتوحيد والعمل الصالح مطلوبان من جميع البشر، فلماذا لا يرضى الكفر للعرب ويرضاه للهنود - مثلا - هذا ما لا يقول به أحد!

وجدير بالذكر أن هذه الشعوب هي شعوب عظيمة كبيرة وذات أعداد هائلة، تفوق العرب بأضعاف مضاعفة، فأهل الهند وحدهم اليوم يفوقون عدد العرب وبني إسرائيل مجتمعين بأضعاف كثيرة، وأهل الصين كذلك، فهم بحاجة للرسالات والشرائع كحاجة غيرهم من الشعوب التي هي أقل عددا.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

يقول الإمام الرازي: (والمعنى أن حصول الفترة يوجب احتياج الخلق إلى بعثة الرسل، والله تعالى قادر على كل شيء، فكان قادرا على البعثة، ولما كان الخلق محتاجين إلى البعثة، والرحيم الكريم قادرا على البعثة؛ وجب في كرمه ورحمته أن يبعث الرسل إليهم)[٥].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٦٥.
(٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٣.
(٣) سورة الزمر، آية: ٧.
(٤) سورة المائدة، آية: ١٩.
(٥) الرازي، **التفسير الكبير**، م٤، ص٣٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول ابن كثير: (والمقصود أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين..)[١].

ويقول عمر سليمان الأشقر: (اقتضت حكمة الله - تعالى - في الأمم قبل هذه الأمة أن يرسل في كل منها نذيرا، ولم يرسل رسولا للبشرية كلها إلا محمدا ﷺ، واقتضى عدله ألا يعذب أحدا من الخلق إلا بعد أن تقوم عليه الحجة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٢]. من هنا كثر الأنبياء والرسل في تاريخ البشرية كثرة هائلة، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٣]..)[٤].

فالخلاصة هي أن الله أرسل رسلا كثيرين جدا إلى أقوام الإنس كلها، ولم يخبرنا إلا أخبار مجموعة صغيرة منهم بقصد العبرة والدرس.

ومما يدل على أن الله أرسل رسلا لشعوب أخرى غير التي نعرفها من القرآن الكريم قول علي بن أبي طالب عليه السلام: (بعث الله عبدا حبشيا نبيا، فهو ممن لم يقصص على محمد ﷺ)[٥].

فأهل الحبشة وغيرهم من سكان إفريقيا الزنوج بحاجة أيضا لأنبياء يبلغونهم أوامر الله وشرعه، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، كغيرهم من شعوب الأرض، فليس شعب أحق بهذا من آخر.

ومثلهم المجوس الذين جاء فيهم قول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (أنا أعلم الناس بالمجوس؛ **كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه**، وإن ملكهم سكر فوقع على ابنته أو أخته، فاطلع عليه بعض أهل مملكته، فلما صحا جاؤوا يقيمون عليه الحد، فامتنع منهم، فدعا أهل مملكته، فلما أتوه قال: تعلمون دينا خيرا من دين آدم؛ وقد كان ينكح بنيه من بناته، وأنا على دين آدم، ما يرغب بكم عن دينه؟ قال: فبايعوه، وقاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم، فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم، فرفع من بين أظهرهم وذهب العلم الذي في صدورهم، فهم أهل كتاب، وقد أخذ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منهم الجزية)[٦].

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، م٢، ص٥٤.
(٢) سورة الإسراء، آية: ١٥.
(٣) سورة فاطر، آية: ٢٤.
(٤) عمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص١٧. وانظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص٢٧١- ٢٧٧.
(٥) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، **المعجم الأوسط**، ١٠م، دط، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ، (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد)، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، م٩، ص١٢٧، برقم: ٩٣١٩.
(٦) الشافعي، محمد بن إدريس المطلبي القرشي، **كتاب الأم**، ط١، ١١م، (تحقيق: فوزي رفعت عبد المطلب)، دار الوفاء، المنصورة، ٢٠٠١م، في كتاب الجهاد والجزية، باب من يلحق بأهل الكتاب، م٥، ص٤٠٦- ٤٠٧، برقم: ١٩٢٣. والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **السنن الكبير**، دط، ١٠م، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، كتاب الجزية، باب المجوس أهل كتاب والجزية تؤخذ منهم، م٩، ص١٨٨، برقم: ١٨٤٣٠. وعبد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حسن الحافظ ابن حجر هذا الأثر في الفتح، ثم قال: (وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج بإسناد صحيح عن ابن أبزى: لما هزم المسلمون أهل فارس قال عمر: اجتمعوا، فقال: إن المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم، ولا من عبدة الأوثان فنجرى عليهم أحكامهم. فقال علي: بل هم أهل كتاب، فذكر نحوه. لكن قال: وقع على ابنته، وقال في آخره: فوضع الأخدود لمن خالفه. فهذا حجة لمن قال كان لهم كتاب..)[١].

قال الإمام الشافعي بعد ذكره لهذا الأثر: (وما روي عن علي من هذا دليل على ما وصفت: أن المجوس أهل كتاب. ودليل أن عليا عليه السلام خبر أن رسول الله ﷺ لم يأخذ الجزية منهم إلا وهم أهل كتاب..)[٢]. وورد أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (إن أهل فارس لما مات نبيهم كتب لهم إبليس المجوسية)[٣].

فالمجوسية هي تحريف وتبديل للديانة الصحيحة التي جاء بها نبي الفرس، وقد يكون هو زرادشت وديانته المنزلة هي الزرادشتية، والله تعالى أعلم.

قال صاحب عون المعبود: (وأما المجوس فقال بعض الأئمة منهم الشافعي إنه من أهل الكتاب ويدل عليه أثر بن عباس الذي في الباب وكذا أثر علي رضي الله عنه عند الشافعي في مسنده وكذا أثر زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عوف عند بن أبي عاصم لكن سندهما ضعيف، وبوب البيهقي في السنن الكبرى فقال: باب المجوس أهل الكتاب والجزية تؤخذ منهم. ثم أورد أثر علي رضي الله عنه هذا)[٤].

ويقول الإمام النسفي: (وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري أن النبي عليه السلام صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب حتى يعطوا الجزية إلى أن يقبلوها)[٥].

الرزاق الصنعاني، **المصنف**، ط٢، ١١م، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ، م٦، ص٧٠، برقم: ١٠٠٢٩.

(١) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط٣، ١٣م، دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء، دمشق، ٢٠٠٠م، م٦، ص٣١٤. وانظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، م١٢، ص٥٢٣- ٥٢٤. والبغوي، الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦ هـ)، **تفسير معالم التنزيل**، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٣٩٧. وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، دط، ٤م، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، م٣، ص١٧٥.

(٢) الشافعي، **كتاب الأم**، م٥، ص٤٠٧.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، **السنن**، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في أخذ الجزية من المجوس، م٢، ص١٨٣، برقم: ٣٠٤٢. وحسنه الشيخ الألباني.

(٤) العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ط٢، ١٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ، م٨، ص٢٠٤.

(٥) النسفي، عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠ هـ)، **تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط١، ٤م، (تحقيق: مروان الشعار)، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٦م، م٢، ص١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الإمام الشهرستاني: (الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب، وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية، فإن الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم وينحى بهم نحو اليهود والنصارى إذ هم من أهل الكتاب..)[١].

فإذا كان هذا قولهم في المجوسية وهي شقيقة وقرينة الهندوسية - كما قرر كثير من الباحثين[٢] - فلا يستبعد أن يكون هذا منطبقا على غيرها من الأديان القديمة السابقة لليهودية حتى أو المعاصرة لها على أقل تقدير كالهندوسية والكونفوشية وغيرها..

ومن ذلك أيضا تقرير كثير من علمائنا أن الصابئة هم من أهل الكتاب أيضا - على الخلاف في ذلك - وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

ومن هؤلاء العلماء الإمام الشهرستاني الذي قال: (وهؤلاء هم الصابئة الأولى الذين قالوا بعاذيمون وهرمس[٤] وهما شيث وإدريس عليهما السلام ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء عليهم السلام)[٥].

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس (عليهما السلام) في الصابئة: (هم قوم من أهل الكتاب)[٦]. وهو مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت[٧].

---

(١) الشهرستاني، **الملل والنحل**، م١، ص٢٠٧.

(٢) يقول إحسان حقي: (وقد جاءت أسماء بعض آلهة الركويد كأسماء بعض آلهة الفرس، مما يدل على أن القوم اغترفوا غرفة أو غرفات من دين الفرس). **منو سمرتي**، ص ج - هـ. وانظر: العقاد، **الله**، **كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص٨٧. وجفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١١٥، ١٤٦، ١٤٨- ١٤٩، ١٥٣، ١٨١. ومحمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٥٢٣- ٥٢٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٦٢.

(٤) وهرمس الملقب بمثلث العظمة، والذي عرف لدى الفرس بـ "أنبجهد"، وسماه اليهود "أنوش" أو "أخنوخ"، وهو في القرآن الكريم النبي إدريس عليه السلام. وقد وصف في اعتقادات الشعوب المختلفة بصفات شتى منها: الإله، والنبي، والطبيب، والفيلسوف، والعالم. وهو شخصية عالمية عند من يعده إلها من المشركين. وقد نسبت إليه مجموعة معتقدات وأفكار ونصوص تمثل مذهب الهرمسية، ونسبت إليه "رسائل هرمس"، وقد قام لويس منيار بدراستها بعد أن ترجمها عن اليونانية إلى الفرنسية، وقام عبد الهادي عباس بترجمتها إلى العربية والتعليق عليها. انظر: عبد الراضي المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٢٥، ١١٣- ١١٤. ولويس منيار، **هرمس المثلث العظمة**، ط١، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٨م.

(٥) الشهرستاني، **الملل والنحل**، م٢، ص٢.

(٦) البغوي، **تفسير معالم التنزيل**، ص٣٨.

(٧) انظر: الكاساني (أو: الكاشاني)، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت ٥٨٧ هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط٢، ٦م، (تحقيق: محمد عدنان ياسين درويش)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م، كتاب النكاح، عدم نكاح المشركة، م٢، ص٥٥٢، وفي كتاب الذبائح، ذبائح النصارى، م٤، ص١٦٥، وفي كتاب السير، ركن العقد في الأمان المؤبد وشرائطه، م٦، ص٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول علي زيعور: (أنا أقدر عاليا مقولة اعتبار كونفوشيوس "نبيا" لم يرد ذكره في القرآن.. ذلك الرأي، في ملتي واعتقادي، جائز وسديد... بهذا المعنى يكون كونفوشيوس، على غرار ما أقوله في بوذا، نبيا يدخل في دائرة من نعتبرهم أنبياء لم يقصص القرآن علينا أخبارهم... لم يكن متشككا في الإله، ولم يكن ملحدا... هناك عبارات لكونفوشيوس يتحدث فيها عن "السماء" معبود الصين الرئيسي. ويبدو أنه كان يتأثر بالسماء، ويحس بأنها بعثته للصينيين، وحل مشكلاتهم، وتحسين أخلاقهم.. وكان يعتقد بأن الناس إن لم تفهمه فإن السماء تفهمه ولن تخذله... وكان يؤمن بأن السماء تعين الذين يعينون أنفسهم... إن فكرة السماء وهبته إحساسا قويا بوجود قوة كونية تقف بجانب الإنسان الذي يسعى لإحقاق الحق..)[١].

وقال مصطفى محمود تحت عنوان "العدل الأزلي": (وليس متدينا في نظري من تعصب وتحزب وتصور أن نبيه هو النبي الوحيد، وأن الله لم يأت بغيره.. فإن هذا التصور لله هو تصور طفولي متخلف يظن أن الله أشبه بشيخ قبيلة.. ومثل هذا الإحساس هو عنصرية وليس تدينا. وإنما التصور الحق لله.. أنه الكريم الذي يعطي الكل ويرسل الرسل للكل)[٢]. وبعد أن استعرض الآيات سابقة الذكر قال: (ومعنى هذه الآية أن بوذا يمكن أن يكون رسولا في عصره، وإن لم يرد ذكره في القرآن. وأخناتون يمكن أن يكون رسولا في زمانه.. ويمكن أن يكون ما وصلنا من تعاليمهم قد خضع للتحريف.. والدين واحد من الناحية العقائدية، وإن اختلفت الشرائع في الأديان المتعددة، كما أن الرب واحد، والفضلاء من جميع الأديان هم على دين واحد، لأن المتدين الفاضل لا يتصور الله خالقا له وحده وهاديا له وحده أو لفئة وحدها.. وإنما هو نور السموات والأرض.. المتاح لكل من يجهد باحثا عنه.. الرحمن الرحيم المرسل للهداة [كذا، وأظنها: الهداية] المنزل للوحي في جميع الأعصر والدهور.. وهذا مقتضى عدله الأزلي.. وهذا هو المعنى الجدير بالمقام الإلهي.. وبدون هذا الإيمان المنفتح لا يكون المتدين متدينا)[٣].

وقد قام حسن شحاتة سعفان بتأليف كتاب يبحث فيه فلسفة كونفوشيوس، وكان عنوان الكتاب يشير إلى أن كونفوشيوس هو نبي الصين. ويقول في كتابه هذا بأن الكثير من الصينيين قد قدسوا كونفوشيوس ورفعوه إلى مرتبة الأنبياء[٤] وقد صرح هو نفسه بأن الله هو الذي كلفه بتبليغ رسالته الأخلاقية[٥].

ويقول المودودي: (أما الكتب الأخرى التي أوتيها سائر الأنبياء، فلم نخبر عن أسمائها، ولا نكاد نقطع عن كتاب ديني آخر بأنه كان أو لم يكن من عند الله تعالى.. فما أمرنا بالإيمان بالكتب الماضية إلا من حيث إن الله كان أيضا أرسل رسله بأحكامه إلى كل أمة من الأمم الماضية قبل القرآن..)[٦].

---

(١) علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص٤٣٨- ٤٣٩.
(٢) مصطفى محمود، **رحلتي من الشك إلى الإيمان**، دط، دار العودة، بيروت، دت، ص٦٠.
(٣) المرجع السابق، ص٦١- ٦٢ باختصار.
(٤) حسن شحاتة سعفان، **كونفوشيوس النبي الصيني**، ص٣، ١١٩.
(٥) المرجع السابق، ص١١٩.
(٦) أبو الأعلى المودودي، **مبادئ الإسلام**، ص٧٩- ٨٠ باختصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول محمد رشيد رضا: (ومن المعقول أن يكون أولو الحضارة منهم؛ كالصينيين والهنود والفرس والمصريين واليونان قد كتبوا كلهم أو بعضهم ما أوحي إلى رسلهم، فضاع بطول الأمد، أو خلط بغيره ولم يعد أصله معروفا)[١].

ويقول سعيد حوى: (وتوجد عند أمم كثيرة غير اليهود والنصارى أسفار دينية قد تكون بعض أصولها مروية عن الأنبياء، ولكن ذلك لا نستطيع الجزم به، وإن كنا نجزم أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها من يبلغها دعوة الله)[٢].

فعلى هذا، فقد يكون بوذا وكونفوشيوس وزرادشت وكذا براهما وكريشنا وراما ومانو وناراين وجميع الشخصيات الدينية العالمية أو أغلبهم أنبياء، أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم[٣]، ولكن لم يصلنا من سيرتهم وتعاليمهم الحقيقية إلا شذرات متناثرة، اختلطت بالظلمات والتحريفات والخزعبلات، فطغت هذه الشركيات على الحق وطمست نوره فلم يبق منه غير بصيص ضئيل خافت بعيد. وقد يكون أخناتون الذي دعى إلى عبادة الإله الواحد "آتون" وتنزيهه في مصر[٤] نبيا أيضا، أرسله الله سبحانه ليهدي به المصريين المشركين إلى عبادة الله تعالى وحده، ونبذ ما كانوا يعبدونه من الأصنام والحيوانات والظواهر الطبيعية والنجوم والكواكب[٥]. وقد يصح هذا القول أيضا في فلاسفة اليونان والإغريق القدماء كتاليس الملطي وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من أساطين الفلسفة الذين قالوا بتوحيد الله تعالى وتنزيهه.[٦]

---

(١) محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م)، **تفسير المنار**، م١٠، ص٢٦٤- ٢٦٥.
(٢) سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، م٢، ص٧٨٣. وانظر: المرجع السابق، م٢، ص٧٩٣.
(٣) انظر: العقاد، **الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص٩٦. وسعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، م٢، ص٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٥٢.
(٤) انظر: العقاد، **الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص٦٧، ٦٩- ٧٤.
(٥) انظر: سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، م٢، ص٨٣٩- ٨٤٠.
(٦) انظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، م٢، ص٦١- ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الإيمان بالرسل عند الهندوس

بين النفاة والمثبتين

ذكر الإمام الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) أن من أهم عقائد البرهميين إنكار النبوة، وأنهم يرون استحالتها في العقول، فيقولون: (إن الذي يأتي به الرسول لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون معقولا وإما ألا يكون معقولا، فإن كان معقولا فقد كفانا العقل التام إدراكه والوصول إليه، فأي حاجة لنا إلى الرسول؟ وإن لم يكن معقولا، فلا يكون مقبولا، إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية ودخول في حريم البهيمية..)[١].

هذا الدليل استعرضه كثير من علمائنا وناقشوه، وأثبتوا خطأه وجواز إرسال الرسل عقلا.

وليست هذه المسألة هي موضوعي في هذا البحث، ولكن الذي أريد دراسته هو: هل ينكر جميع البراهمة الهندوس إرسال الرسل، أم أن بعضهم ينكر ذلك والبعض الآخر يجوز بعثتهم؟

فإذا كان هناك فريق يقول بجواز إرسال الرسل، فهل حددوا رسلا معينين بأسمائهم يؤمنون بهم؟

وإذا سلمنا بأن جميع البراهمة أنكروا إرسال الرسل؛ فينتقل بحثنا إلى مجال آخر، وهو: هل ظهر في تاريخ الهند رجال نستطيع نحن المسلمون أن نعدهم أنبياء ومرسلين، حوّلهم الفكر الهندي إلى آلهة أو تجليات للإله؟

وربما يظهر لنا أن المسألة ليست إلا خلافا لفظيا حول الأسماء، لكن المسمى واحد، والمآل واحد، فقد يكون الخلاف في ذكر مصطلح النبوة والنبي والرسالة والرسول فقط، ولكنهم يعدون كهنتهم أو حكماءهم ملهمين يوحى إليهم، ولكن لا يسمونهم أنبياء، ولكنهم أنبياء مرسلون في نفس الأمر. والله أعلم.

أما كلام الإمام الشهرستاني فهو شهير ومعروف، وحتى لا يظن أحد أن هذا القول ضعيف أو أن الشهرستاني قد ابتدعه أو انفرد به دون العلماء - كما كنت أظن أنا نفسي في البداية! - فسأذكر أسماء أبرز العلماء المسلمين الذين ذهبوا هذا المذهب، ممن وقفت عليه منهم، فقد وافقه على قوله هذا جمع من العلماء المحققين، وسبقه بالقول أيضا جماعة من الأئمة المعتبرين، وقد يكون هو قد أخذ عنهم. ومن أبرز هؤلاء السابقين له زمنا: عبد القاهر البغدادي[٢] (ت ٤٢٩ هـ) والماوردي[٣] (ت ٤٥٠ هـ) وابن حزم[٤]

---

(١) الشهرستاني، **الملل والنحل**، م٢، ص٢٤٩.
(٢) انظر: البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، **أصول الدين**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٧٤.
(٣) انظر: الماوردي، **أعلام النبوة**، ص٢٧.
(٤) انظر: ابن حزم الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، م١، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ت ٤٥٦ هـ) والإسفراييني أبو المظفر[١] (ت ٤٧١ هـ) والجويني[٢] (ت ٤٧٨ هـ) والغزالي[٣] (ت ٥٠٥ هـ) والزمخشري[٤] (ت ٥٣٨ هـ) وغيرهم.

أما الذين أتوا بعده في الزمان: فابن رشد[٥] (ت ٥٩٥ هـ) وابن الجوزي[٦] (ت ٥٩٧ هـ) والبيضاوي[٧] (ت ٦٨٥ هـ) وابن تيمية[٨] (ت ٧٢٨ هـ) ومرعي الكرمي الحنبلي[٩] (ت ١٠٣٣ هـ) والآلوسي الكبير[١٠] (ت ١٢٧٠ هـ) وغيرهم[١١].

وأكثر من يهمنا كلامه ممن قال بذلك من العلماء السابقين، الإمام البغدادي، المتخصص في علم مقارنة الأديان، والسابق للشهرستاني زمنا، حيث قال: (وأجمع أصحاب الشافعي على أن البراهمة الذين ينكرون جميع الأنبياء والرسل لا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن وافقوا المسلمين في حدوث العالم وتوحيد صانعه، والخلاف في قبول الجزية منهم كالخلاف في قبولها من أهل الأوثان)[١٢].

---

(١) انظر: الإسفراييني، طاهر بن محمد، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، ط١، (تحقيق: كمال يوسف الحوت)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ص٧٢ و ص١٥٠.

(٢) انظر: الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الشافعي إمام الحرمين (ت ٤٧٨ هـ)، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، ط٢، (تحقيق: فوقية حسين محمود)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٢٣. و**الإرشاد**، ط١، (تحقيق: أسعد تميم)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٥٧.

(٣) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي، **قواعد العقائد**، ط٢، (تحقيق: موسى محمد علي)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢١٢. **وفضائح الباطنية**، دط، (تحقيق: عبد الرحمن بدوي)، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، دت، ص١١٥. طبعة أخرى: ط١، (تحقيق: محمد علي القطب)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠م، ص١٠٦.

(٤) انظر: الزمخشري، **تفسير الكشاف**، ص٧٤٦.

(٥) انظر: ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٩٦.

(٦) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **تلبيس إبليس**، ط١، (تحقيق: السيد الجميلي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٨٣.

(٧) انظر: البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥ هـ)، **تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دط، دار الجيل، دت، ص٤٨٠. والقونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥ هـ)، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**، ط١، ٢٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، م١٤، ص٩٦.

(٨) انظر: ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، **مجموع الفتاوى**، دط، ٣٧م، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وابنه محمد، د دار نشر، دت، م٥، ص١٧ و م٢٧، ص٢٨١ و م٢٨، ص٦٠٨. **ودرء تعارض العقل والنقل**، دط، ١٠م، (تحقيق: محمد رشاد سالم)، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١ هـ، م٣، ص٣٢٠ و م٤، ص٣٥٢.

(٩) انظر: الكرمي، مرعي بن يوسف الحنبلي، **رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر**، ط١، (تحقيق: أسعد محمد المغربي)، دار حراء، مكة المكرمة، ١٤١٠ هـ، ص٥٩.

(١٠) انظر: الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ٣٠م، (تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، م٦، ص٤. و م١٤، ص٩٤. و م٢٠، ص٧٩.

(١١) انظر: أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، **الغنية في أصول الدين**، ط١، (تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر)، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٤٨. وأبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي، **تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء**، ط١، (تحقيق: محمد رضوان الداية)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤١. وابن بدران، عبد القادر بن بدران الدمشقي الحنبلي، **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، ط٢، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، ص٢٩٥.

(١٢) البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رأي علماء الكلام في التفصيل:

يلخص أستاذنا الدكتور محمد نبيل طاهر العمري في أطروحته للدكتوراة موقف علماء الكلام في هذه المسألة فيقول: (وتكاد كتب علم الكلام تجمع على أن البراهمة هم الذين يحيلون إرسال الرسل، وينكرون النبوات..)[١].

ولكن، لو حاولنا استقصاء كتب التوحيد عند المسلمين، لوجدنا أن العموم الذي يفهم من عبارته لا يراد منها، فإن بعضا من العلماء الكبار قد فصلوا في هذه المسألة، وذهبوا إلى أن فريقا من البراهمة قد أنكروا النبوات وليس جميعهم، وأن فريقا آخر قد أثبت النبوة عامة، بل وعيّن بعضهم أسماء أنبياء بأعيانهم؛ كآدم وإبراهيم وإدريس ونوح وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ورفض التصديق بالأنبياء الآخرين. وهذا القول قد نقله أستاذنا العمري أيضا، كما سيأتي معنا.

ومن الضروري هنا أن أنقل شيئا من كلام العلماء الذين أثبتوا بأن فرقة من البراهمة قد اعتقدوا بالنبوة بصورة عامة أو بنبوة بعض الأنبياء بالتحديد:

يقول ابن المطهر المقدسي[٢] (ت: بعد ٣٥٥ هـ): (**وأما الهند فمن أثبت منهم الرسالة فإنهم يزعمون أن الرسل ملائكة** فمنهم..) وعد أسماء لفرق هندية ثم قال: (**وهؤلاء فرق البراهمة الذين يثبتون الرسالة**..)[٣].

---

(١) محمد نبيل طاهر العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ص٢٤٧.

(٢) المقدسي (.. - بعد ٣٥٥ هـ =.. - بعد ٩٦٦م) مطهر بن طاهر المقدسي: مؤرخ، نسبته إلى بيت المقدس. دل تحقيق المستشرق (كليمان هوار) على أنه مصنف كتاب (البدء والتاريخ - ط) ستة أجزاء، مع ترجمتها إلى الفرنسية، وله بقية ما زالت مخطوطة، وكان المعروف أنه من تأليف أبى زيد (أحمد بن سهل) البلخى، كما في كشف الظنون وخريدة العجائب، إلا أن البلخى توفى سنة (٣٢٢) وكتاب (البدء والتاريخ) صنف سنة (٣٥٥ هـ). وقال هوار: كان مطهر في (بست) من بلاد (سجستان). وزاد (بروكلمن) أنه توفى فيها. الزركلي، **الأعلام**، م٧، ص٢٥٣.

(٣) المقدسي، المطهر بن طاهر (أو ابن المطهر)، **البدء والتاريخ**، ط١، ٢م، (تحقيق: خليل عمران المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، م١، ص٢١٤. وانظر: م٢، ص٣٢١- ٣٢٣.

لكن مطبوع على غلاف الكتاب أنه من تأليف البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل الشمستياني (٢٣٥ - ٣٢٢ هـ = ٨٤٩ - ٩٣٤م) وهو أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام. جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون. ولد في إحدى قرى بلخ، وساح سياحة طويلة، ثم عاد وقد علت شهرته فعرض عليه حاكم تخوم بلخ وزارته فأباها وذكر له الكتابة فرضيها، فكان يعيش منها إلى أن مات في بلخ. وقد سبق علماء البلدان في الإسلام كافة إلى استعمال رسم الأرض في كتابه (صور الأقاليم الإسلامية - خ) وفي فهرست ابن النديم قائمة مؤلفاته. وهي كثيرة، منها (أقسام العلوم) و (شرائع الأديان) و (كتاب السياسة الكبير) و (كتاب السياسة الصغير) و (الأسماء والكنى والألقاب) و (ما يصح من أحكام النجوم) و (أقسام علوم الفلسفة) و (كتاب الشطرنج) و (أدب السلطان والرعية) و (كتاب القرود) و (فضائل بلخ) و (أخلاق الأمم) و (نظم القرآن). انظر: الزركلي، **الأعلام**، م١، ص١٣٤.

قال الزركلي: (وينسب إليه كتاب (البدء والتاريخ - ط) وأكثر أهل التحقيق على أنه لمطهر بن طاهر المقدسي). الزركلي، **الأعلام**، م١، ص١٣٤.

وقال سركيس: (طبع منه خمسة أجزاء ومعه ترجمة إلى اللغة الفرنساوية بقلم الأستاذ كليمان هوار. شالون باريس ١٩٠٦ / ١٨٩٩ قال الموسيو هوار ناشر هذا الكتاب ما ملخصه: لدى مطالعتي كتاب تاريخ الفرس الذي نشره العلامة زتنبرج تحقق لدي أن مؤلف البدء والتاريخ هو المطهر بن المطهر المقدسي ألفه سنة ٣٥٥ لا أبو زيد البلخي كما ذكره صاحب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو ينص على أن هذه الفرق هي من البراهمة لا من غيرهم. وهم يثبتون الرسالة ولا ينكرونها.

ويقول الإمام الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ): (وقد افترقت البراهمة على قولين؛ فمنهم من جحد الرسل وزعم أنه لا يجوز في حكمة الله سبحانه وصفته أن يبعث رسولا إلى خلقه وأنه لا وجه من ناحيته يصح تلقي الرسالة عن الخالق سبحانه. **وقال الفريق الآخر: إن الله تعالى ما أرسل رسولا سوى آدم** عليه السلام وكذبوا كل مدع للنبوة سواه. **وقال قوم منهم: بل ما بعث الله تعالى غير إبراهيم وحده** وأنكروا نبوة من سواه. وهذا جملة قولهم)[١].

ويقول أيضا: (فأما المثبتون من البراهمة لنبوة آدم الجاحدون لمن بعده من الرسل والمثبتون لنبوة إبراهيم الجاحدون لمن بعده من الرسل **فقد أقروا بجواز إرسال الرسل وأنه قد وجد ونقل وإن خالفوا في نبوة قوم بأعيانهم وليس ذلك من قول محيل الرسالة جملة في شيء**. فيقال لهم: ما الدليل على إثبات نبوة آدم وإبراهيم عليهما السلام؟ فإن قالوا: ظهور الأعلام على أيديهما؛ قيل لهم: وما الدليل على صحة هذه الأعلام ونحن لم نشاهدها ولا عاصرنا أصحابها؟ فإن قالوا: لنقل من يستحيل عليه الكذب لها؛ عورضوا بمثل ذلك في نقل أعلام موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام..)[٢].

وهذا التفصيل هو المطلوب، فالبراهمة مختلفون في مسألة إرسال الرسل، شأنهم في ذلك شأنهم في جميع الاعتقادات والتصورات، لا يكادون يتفقون على شيء.

والمهم هنا هو مناقشة القول الشائع الذي يعمم ويزعم بأن جميع البراهمة ينكرون جواز إرسال الرسل إلى البشر، وقد ثبت من هذين النصين أن فريقا منهم أجازوا ذلك، بل وصرحوا بالاعتقاد بنبوة بعض الأنبياء المعروفين بأسمائهم، مع إنكارهم نبوة غيرهم، وهذه مسألة أخرى ليست مجال بحثنا.

وقد ذهب إلى هذا التفصيل جماعة من العلماء، الذين وافقوا الباقلاني فيما ذهب إليه، وحتى أثبت ذلك فلا بد لي من نقل بعض من أقوالهم.

فمنهم القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي (ت ٤١٥ هـ)، الذي نص على أن جماعة من البراهمة أنكروا النبوات لا جميعهم[٣].

كشف الظنون في الجزء ٢ ص ٢٣ رقم ١٦٩٣ والغالب أن حاجي خليفة اطلع على النسخة التي بيدنا وكانت دخلت في ملك الصدر الأعظم داماد إبراهيم باشا وكتب عليها وهما أن مصنفها أبو زيد البلخي المتوفى سنة ٣٢٢ ومما يؤيد رأيي أن ابن النديم صاحب الفهرست لم يذكر هذا الكتاب في جملة مصنفات أبي زيد البلخي والأسف أننا لا نعلم شيئا من حال ابن المطهر المقدسي سوى من تأليفه هذا). يوسف اليان سركيس، **معجم المطبوعات العربية**، م١، ص٢٤١- ٢٤٢. وانظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي الحنيفي، الشهير بالملا كاتب جلبي (ت ١٠٦٧ هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ط١، ٦م، دار الفكر، بيروت - دمشق، ١٩٩٤م، م١، ص٢٢٥.

(١) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، ط١، (تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٥.

(٣) انظر: الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي قاضي القضاة (ت ٤١٥ هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، ط١، (تحقيق: سمير مصطفى رباب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإمام الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) الذي يقول: (والصنف الثاني: براهمة موحدة يقولون بحدوث العالم ويجحدون بعثة الرسل ويبطلون النبوات وهم المنسوبون إلى برهمن صاحب مقالتهم. **وشذ فريق منهم فادعى أنه آدم أبو البشر ومنهم من قال هو إبراهيم، ومن قال من هذه الفرقة الشاذة منهم أنه أحد هذين أقر بنبوتهما وأنكر نبوة من سواهما**، وجمهورهم على خلاف هذه المقالة في اعتزائهم لصاحب مقالتهم وإنكار جميع النبوات عموما)[١].

وهو وإن عد هذه الفرقة شاذة مخالفة لجمهورهم، إلا أن هذا يكفي في إثبات وجود مثل هذه الفرقة، وليس مقياس الحق والباطل بالكثرة أو القلة، وليس هدفي إثبات من هي الفرقة الأكبر، بل كان قصدي هو إثبات اعتقاد بعض البراهمة بالأنبياء وتجويزهم إرسال الرسل، ونفي الإجماع المزعوم في إحالتهم ذلك.

فربما كانت هذه الفرقة الشاذة حافظت على شيء من الحق الذي كان في آبائهم الأولين، فظلوا متمسكين بعقيدتهم الأصلية الصحيحة، التي من أركانها الإيمان بالأنبياء والمرسلين.

وينص أبو يعلى الفراء (ت ٤٥٨ هـ) على أن بعض البراهمة أحالوا إرسال الرسل، وأن بعضهم الآخر أجاز ذلك ونص على نبوة آدم وإبراهيم أو أحدهما[٢].

ويقول البزدوي (ت ٤٩٣ هـ) بأن **البراهمة من علماء الهند أقروا بنبوة** نوح وإبراهيم وإدريس صلوات الله عليهم، وأنكروا سائر الرسل، **وبأن الذين أنكروا النبوة وأحالوا إرسال الرسل هم السمنية** وهم علماء الهند، ومع ذلك فبعض هؤلاء يقرون بجوازه عقلا، وأقروا برسالة آدم فقط، وبعضهم أقر برسالة آدم وإبراهيم فقط[٣]. وينص في موضع آخر على أن البراهمة يقرون ببعض الرسل دون البعض[٤].

ويقول الشريف الإدريسي[٥] (ت: ٥٦٠ هـ): (ومذاهب أكثر أهل الهند اثنتان وأربعون ملة **فمنهم من يثبت الخالق والرسل** ومنهم من يثبت الخالق وينفي الرسل ومنهم ينفي الكل..)[١].

---

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **أعلام النبوة**، ط١، (تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٣.

(٢) انظر: الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين البغدادي الحنبلي، **المعتمد في أصول الدين**، دط، (تحقيق: وديع زيدان حداد)، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٥٣.

(٣) انظر: البزدوي، أبو اليسر محمد الماتريدي، **أصول الدين**، دط، (تحقيق: هانز بيتر لنس)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٩٥ بتصرف.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٠١.

(٥) الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠هـ = ١١٠٠ - ١١٦٥م) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالبي، أبو عبد الله: مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية. من أدارسة المغرب الأقصى. ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة. ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني، ووضع له كتابا سماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - خ) أكمله سنة (٥٤٨ هـ) وهو أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوربة وإيطالية، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه. انظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط٥، ٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، م٧، ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الإمام الآمدي (ت: ٦٣١ هـ) عن التفصيل في مسألة إنكار النبوة عند الهندوس: (وحزب انتمى إلى القول بالامتناع كالبراهمة والصابئة والتناسخية **إلا أن من البراهمة من اعترف برسالة آدم دون غيره ومنهم من لم يعترف بغير إبراهيم**. وأما الصابئة فإنهم اعترفوا برسالة شيث وإدريس دون غيرهما ولا بد من التفصيل في الرد على أهل التضليل)[٢].

ويقول أيضا: (ثم يلزم الصابئة الملتزمين لتصديق شيث وإدريس **ومن التزم من البراهمة بتصديق آدم وإبراهيم** المنع من إحالة تصديق غيرهم من المرسلين؛ فإنه مهما وجد دليل يدل على صدق بعض المخبرين بطريق اليقين، لم يمتنع وجود مثل ذلك في حق غيره أيضا)[٣].

وقال السكسكي[٤] (ت ٦٨٣ هـ) بأن البراهمة قد أنكروا الرسل إلا إبراهيم عليه السلام، فإنهم يقولون برسالته[٥].

وقال الإيجي (ت: ٧٥٦ هـ): (الثالثة: من قال: في العقل مندوحة عن البعثة. وهم البراهمة والصابئة والتناسخية، **غير أن من البراهمة من قال بنبوة آدم فقط، ومنهم من قال بنبوة إبراهيم فقط**، ومن الصابئة من قال بنبوة شيث وإدريس فقط)[٦].

ويقول محمد الطاهر ابن عاشور: (وإبراهيم عليه السلام مثل في اليقين بالله والغضب له، عرف ذلك العرب واليهود والنصارى من الأمم، وشاع بين الأمم المجاورة من الكنعانيين والأراميين، ولعله بلغ إلى الهند. وقد قيل: إن اسم "برهما" معبود البراهمة من الهنود محرف عن اسم "إبراهيم" وهو احتمال)[٧].

ويقول عبد الرزاق عفيفي في رده على من أحال إرسال الرسل: (البراهمة: قيل: إنهم جماعة من حكماء الهند تبعوا فيلسوفا يسمى برهام فنسبوا إليه، وقيل: إنهم طائفة عبدت صنما يسمى (برهم) فنسبت

والصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ)، **الوافي بالوفيات**، ط١، ٢٩م، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، م١، ص١٣٨.

(١) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي السبتي الصقلي الشريف، (ت ٥٦٠ هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، دط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص٣٠.

(٢) الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، **غاية المرام في علم الكلام**، دط، (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ، ص٣١٨.

(٣) المرجع السابق، ص٣٣٩.

(٤) السكسكي (٦١٦ - ٦٨٣ هـ = ١٢١٩ - ١٢٨٤م) عباس بن منصور بن عباس، أبو الفضل التريمي: فقيه يماني من الشافعية. ولي القضاء في تعز، وكانت (رواتب) القضاة تعطى من جزية اليهود، فلما أراد السلطان المظفر أن يبني مدرسته التي في غربي تعز، وأمر بجمع الجزية من كل بلد وتعويض مستحقيها من مال الخراج، عزل القاضي عباس نفسه بسبب ذلك، ولزم بيته. وأقبل عليه الناس، يتلقون دروسه، وصنف في الأصول مختصرا سماه: (البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - خ) في مكتبة الكونغرس بواشنطن. قال بامخرمة: له شعر حسن، وكان كثير المخالطة لأهل الذمة فاتهم، ولولا التجاؤه إلى أمير يسمى (الطنبغا) لقتل. الزركلي، **الأعلام**، م٣، ص٢٦٨.

(٥) انظر: السكسكي، أبو الفضل عباس بن منصور التريمي الشافعي (ت ٦٨٣ هـ)، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، ط٢، (تحقيق: بسام العموش)، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٩٦م، ص٨٧.

(٦) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، **كتاب المواقف**، ط١، (تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م، م٣، ص٣٣٥.

(٧) محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، م١١، ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليه، والقصد بيان مذهبهم في الرسالة. والرد عليه بما يدفع شبهتهم، **مع أن بعضهم قد اعترف برسالة آدم. وآخرين منهم اعترفوا برسالة إبراهيم**، عليهما السلام)[١].

هذا هو كلام علمائنا في المسألة، فكثير منهم عمم ولم يخصص، وقليل منهم فصل ولم يجمل، فصرح الآخرون بأن من البراهمة من أجاز إرسال الرسل بل ونصوا على بعضهم بالتعيين.

رأي الباحثين المعاصرين:

وينقل محمد الشرقاوي عن الأستاذ أصغر علي، أنه يحاول أن يصل، مستندا إلى الآيات القرآنية الكريمة التي تثبت أن الله تعالى قد أرسل في كل أمة رسولا، وأنه تعالى لم يذكر في القرآن أسماء أو قصص جميع الرسل الذين أرسلهم إلى جميع الأمم، إلى أن الهند لم تخل أيضا من الأنبياء، **فأمة الهند، بناء على هذا الاستدلال، قد أرسل الله إليها رسولا أو رسلا، وأنزل إليهم وحيا أبلغوه إلى قومهم، وأن آثار هذا الوحي محفوظة في كتبهم التي تتشابه في جوانب كثيرة مع القرآن الكريم**..[٢]

وينقل أقوالا عن كتاب مجمع البحرين (الهندوسية والإسلام) للأمير المقتول محمد دارا شيكوه، تدل على أنه **كان يؤمن بأن الأسفار الهندوسية فيها بقية وحي وآثار نبوة، وأنها ليست وضعا إنسانيا خالصا، لأن الهنود أمة عظيمة وقديمة، لا بد أن الله تعالى قد بعث فيهم رسولا أو رسلا يبشرونهم وينذرونهم.**[٣]

وقد أشار الشيخ الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله إلى وجود نبي للهنود يدعى "نادر" مجرد إشارة عابرة[٤]، ناقلا ذلك عن كتاب محمد طاهر التنير[٥]: "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية"[٦]، وحين رجعت إلى هذا الكتاب وجدت التنير قد قال: (نبي الهنود "نارد")[٧] وليس "نادر" وقد نقل بدوره هذه المعلومة عن كتاب اسمه: "تاريخ بلاد الهند" لتوما موريس، " Maurice - The History of Hindostan" وهو باللغة الإنجليزية. وقد ذكر التنير هذا النبي في موضع سابق بقوله: (النبي المنجم

(١) عبد الرزاق عفيفي، **مذكرة التوحيد**، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ، ص٥٩، حاشية ١.

(٢) انظر: محمد عبد الله الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص١٠٤.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٨١.

(٤) انظر: محمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان، الأديان القديمة**، ص٢٨.

(٥) التنير (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣م) محمد طاهر بن عبد الوهاب بن سليم التنير: باحث، من أهل بيروت. تعلم فيها في الجامعة الأميركية وأصدر جريدة (المصور) ورحل إلى سويسرة ودرس في إحدى جامعاتها سنة واحدة، وعاد إلى بلاده، وأقام في قرية عين عنوب، ثم وظف في إدارة جريدة الشرق التي أمر بإنشائها جمال باشا الكبير. فر في خلال الحرب العامة الأولى عن طريق حوران فلحق بالجيش العربي. ثم رحل إلى مصر. وعاد إلى سورية، فتوفي في دمر (من ضواحي دمشق) ودفن بها. له كتب، منها (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - ط) و (علم الفلك والطبيعيات - ط) الجزء الأول منه، شارك أباه في تأليفه، (الأنوار السنية) و (الدر النضير). انظر: الزركلي، **الأعلام**، م٦، ص١٧٣. وعمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، م١٠، ص٩٨.

(٦) وقد طبع الكتاب بمصر عام ١٩١١م وببيروت سنة ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م. انظر: يوسف اليان سركيس، **معجم المطبوعات العربية**، م٢، ص١٦٧٠.

(٧) محمد طاهر التنير، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنجليزية. وقد ذكر التنير هذا النبي في موضع سابق بقوله: (النبي المنجم ناريد العظيم)[١]. وقال في موضع آخر عن ولادة كرشنا: (وسمع به النبي الهندي - ناريد - فذهب وزار أباه وأمه بمدينة كوكول، ومن بعد فحصه للنجوم، قرر أنه من أصل إلهي..)[٢] وكان مصدره واحدا في هذه المواضع كلها.

يقول جفري بارندر: (يكتب شعراء الـــقـــيدا بوحي من الإلهام، ويطلق عليهم أحيانا اسم "المرتعدون" لأنهم يكتسبون رؤاهم من خلال تركيز ذهني داخلي.. وتدور معظم الترانيم حول الثناء على الآلهة..)[٣].

وقد يكون هؤلاء المرتعدون أنبياء، ومعلوم من حال نبينا ﷺ خلال تلقيه الوحي أنه كان يرتعد ويرجف فؤاده.[٤]

ويقول ألبير شويتزر: (إن الطموح إلى وحدانية أخلاقية كان موجودا في تعدد الآلهة الهندي. وإذا كان البراهمانيون لم يولوه أي اهتمام، **فإن أشخاصا أنبياء انبثقوا مع الزمن** من خارج طبقة الكهنة وتقدموا بالديانة الشعبية في طريق الوحدانية الأخلاقية. عن مسيرة هذا التطور لا نملك إلا معرفة ناقصة، لأننا اقتصرنا بالنسبة لهذا الزمن السحيق على ما وجده البراهمانيون صالحا لينقلوه لنا..)[٥].

وقد نص بعض الباحثين على أن بعض فرق الإصلاح الهندوسية المتأخرة تؤمن بوجود أنبياء من الجنس الآري، وأن على الهندي أن يتبع طريقهم ليصل إلى الخلاص[٦].

ويقول محمد إسماعيل الندوي بأن الهندوس، وإن استغنوا عن النبوة والرسالة بعقولهم، إلا أنهم لم ينكروا جواز وقوعها ولم يبطلوها، لأن هذا الأمر يخالف طبيعة الهندوسية المتسامحة مع كل الأفكار والعقائد..[٧]

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٨.
(٢) المرجع السابق، ص١١٧.
(٣) جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٥٢ باختصار.
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، م١، ص٤، رقم: ٣.
(٥) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص١٥١.
(٦) انظر: رحمات الإندونيسي، **التفكير الديني**، ص٢٣٢.
(٧) انظر: محمد إسماعيل الندوي، **الهند القديمة: حضاراتها وديانـاتها**، دط، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٢٠-١٢١. نقلا عن: عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ص٦٠- ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النصوص الهندوسية:

ونجد في نصوص الهندوس أيضا ما يشير من بعيد إلى عقيدة النبوة، محرفة عن صورتها، مصوغة بصورة التجليات الإلهية في الصور البشرية. جاء في كتاب منو سمرتي:

((إن أفضل المخلوقات هو البرهمن، ودونه الإنسان، ودونه الدواب، ودونها الحشرات، ودون ذلك الجماد))[١].

((إن أفضل البراهمة هم الذين يعرفون برهما، ودونهم الذين يعملون بأحكام الويد، ودونهم الذين يعترفون بالحاجة إلى هذه الأحكام، ودونهم الذين لا يعرفونها))[٢].

((إن البرهمن هو تجسد الدين الأبدي، خلق ليعمل عليه، وليتحد ببرهما ويمتزج به))[٣] [١/ ٩٨/ ٣٩].

((إن الله قد نزل إلى هذا العالم بصورة البرهمن، لحفظ الدين))[٤].

يقول إحسان حقي معلقا على هذه النصوص: (البرهمن عند الهنادكة هو فوق البشر، وأحيانا هو فوق بعض الآلهة، ولذا ميزه هنا عن الإنسان، وكأنه ليس بإنسان. وذلك لأن البرهمن قد قطع كل المراحل بالتناسخ حتى لم يبق بينه وبين الاندماج في الله إلا درجة واحدة)[٥].

وأنا أقول: إن المراد من الفقرة الأولى إنما هم الأنبياء، فهم فوق البشر وهم أفضل المخلوقات عند الله، والآلهة الذين تحدث عنهم النص إنما هم الملائكة، ومعلوم أن الأنبياء أفضل من الملائكة، والمراد بالتناسخ والاندماج هو العبادات والتقرب إلى الله تعالى بها، ثم الوصول إلى مرحلة يكون فيها النبي قريبا من الله جدا، معنويا وروحيا، لا ماديا ومكانيا. والله أعلم.

أما الفقرة الثانية، فنستطيع أن نقول بأن النص عد العلماء والأولياء والصالحين من ورثة الأنبياء، فسماهم براهمة أيضا تجوزا وتوسعا، كما قيل عن تلاميذ المسيح وتلاميذهم حتى يومنا هذا بأنهم رسل، لا من الله ولكن تجوزا، وبابا الفاتيكان اليوم يعد رسولا أيضا عندهم، خليفة لرسول المسيح المدفون في الفاتيكان، قائما بواجباته ومتمتعا بصلاحياته عندهم. فهو تجوز في التعبير وتوسع في الاصطلاح، ولا يراد ظاهره. والله أعلم.

فأفضل البراهمة هم الأنبياء، الذين يعرفون الله حق المعرفة، ثم العلماء الذين عندهم علم من الكتاب، ثم طلبة العلم الذين يعترفون بحاجتهم إلى العلم، ثم الطلبة البسطاء السطحيون السذج. والله أعلم.

---

(١) **منو سمرتي**، ص٣٨.
(٢) المرجع السابق، ص٣٨.
(٣) المرجع السابق، ص٣٩.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق، ص٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونزول الله تعالى إلى هذا العالم بصورة البرهمن لحفظ الدين إنما هو تجوز في التعبير فقط ومجاز من القول، والمراد منه أن الله تعالى إذا أراد من البشر شيئا أرسل إليهم رسولا من عنده يعلمهم كلام الله ويرشدهم إلى طاعته، فهو ينوب عن الله تعالى ويتحدث بلسانه - إن جاز التعبير - وكلها تعبيرات مجازية لا مانع منها، وعندنا في القرآن الكريم الكثير منها، وفي التوراة والإنجيل كذلك، لكن الفرق بين القرآن وبين هذه الكتب هو أن لغة القرآن بديعة معجزة والتعبير من خلالها يكون غاية في الروعة وفي الابتعاد عن التشبيه والإيهام، أما هذه الكتب فقد كتبت بلسان البشر فلم تحسن الصياغة ولا التعبير، فأوهمت التشبيه، وأساءت الأدب. فليس نزول الله على الحقيقة، إنما هو تعبير مجازي عن نزول أمره وأوامره، وهو المراد من هذا النص هنا، لأنه يتحدث عن النبوة والوحي والشريعة.

يقول كريشنا: ((يا أرجن، من أجل إنقاذ الأبرار، وإفناء الأشرار، ومن أجل إقامة شرعة الدين، أهبط بنفسي دورة بعد أخرى))[١].

وهذا هو مفهوم النبوة والرسالة، فهي ليست إلا نزول الله بمعنى مجازي، المقصود به نزول أوامره سبحانه على ألسنة الرسل والأنبياء، فالرسل إنما هم تجل لأوامر الله تعالى وإرادته ليس إلا، ولكن العقل الفلسفي والفكر البعيد عن زمن الوحي، يحرف الأمور ويقلبها، كما حصل مع النصارى الذين ألهوا نبي الله عيسى عليه السلام، فقد يكون ما حصل مع الهنود هو ذاته الذي حصل مع النصارى.

يقول الأعظمي: (و"كريشنا" هو بطل من أبطال الهندوس، وهم يعتقدون فيه الألوهية، وأنه مظهر من مظاهر الإله، وأنه هبط بنفسه إلى الأرض، **وهي عقيدة محرفة من النبوة والرسالة**... وهذه العقيدة تعرف عند الهندوس باسم "أفتار" وهي كلمة سنسكريتية معناها – النزول... وإذا كانت عقيدة "أفتار" عند الهندوس **هي صورة محرفة من النبوة والرسالة؛ فالقرآن الكريم يشير إلى أن الله تبارك وتعالى بعث لكل أمة رسولا ونبيا...** وبناء على هذا بدأ المسلمون يدرسون الأديان الأخرى في فجر تاريخهم، بعد أن وضعوا أمام أعينهم **بأنه وقع التحريف والتبديل في جميع الأديان السابقة على الإسلام... والكتب الهندوسية تنص على بعثة أربعة وعشرين رسولا، ظهر منهم الجميع إلا الرابع والعشرين، وهم ينتظرون ظهوره..)**[٢].

وهل توافق هذا الاعتقاد مع اعتقاد المسلمين بأربعة وعشرين نبيا مصادفة؟! فهم ينتظرون النبي الخاتم، وهم في هذا كاليهود الذين انتظروا نبي الله الخاتم كثيرا، ثم لما ظهر أنكروه وكذبوه واستكبروا، ولا يزالون ينتظرون مسيحهم اليهودي حتى هذه اللحظة، والهندوس أيضا لم يؤمنوا بنبينا ﷺ، ولا يزالون ينتظرون خروج هذا النبي الخاتم من بين أظهرهم، ولسوف يطول هذا الانتظار كثيرا.

---

(١) **الغيطا**، ص٢٢١.

(٢) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧١٢- ٧١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال شارح البهغفض غيطا: (إن نشاطات كريشنا تعرف باصطلاح "بهكطي يوغا" العمل لأجل كريشنا على الدوام. لا يشمل ذلك كريشنا فحسب بل مختلف امتداداته الكاملة أمثال "رام" و "نارايان". إن امتدادات كريشنا لا تعد ولا تحصى. وكل من يشغل نفسه في خدمة إحدى صور كريشنا هذه (امتداداته الكاملة) فإنه يعتبر مستقرا على الصعيد التجاوزي. كذلك ينبغي للإنسان أن يلاحظ بأن صور كريشنا كلها هي تجاوزية بصورة تامة وسعيدة، كاملة المعرفة والسرمدية. إن كل هذه الشخصيات الإلهية هي شخصيات قديرة قادرة وعلمية وتتمتع بكل الخصال التجاوزية. وعليه، إذا شغل الفرد نفسه في خدمة كريشنا أو في خدمة أحد امتداداته الكاملة بعزم قوي يصبح بوسعه أن يتجاوز هذه الظواهر للطبيعة المادية بمنتهى السهولة رغم تعذر تجاوزها..)[١].

ولا أجد إلا أن أقول: هذه هي عقيدة استمرار النبوة في مختلف الأماكن والأزمان، وهو المراد من امتدادات كريشنا، فالأنبياء المختلفون في المكان والزمان والاسم والشريعة هم كلهم امتداد لنور الله تعالى وفضله على البشر. فمن تبع موسى في زمانه فهو مصيب وكذلك عيسى وصالح وهود وشعيب وغيرهم من الأنبياء الكرام، صلوات الله عليهم وسلامه.

يقول مترجم الغيطا: (لذلك فالمولى حين ينزل إلى العالم المادي فإنه يفعل ذلك لكي يعيد للنفوس المشروطة الساقطة الدعوة للرجوع إلى السماء القديمة، حتى تستعيد صحبته القديمة ثانية. ينزل المولى الأسمى إلى العالم المادي **بشخصيات مختلفة** كما أنه يرسل خدمه المقربين لكي يحاولوا ردع هذه النفوس المشروطة عن غوايتها)[٢].

جاء في كتاب الغيطا:

١- ((قال المولى المبارك: ولادات عديدة وكثيرة مررنا بها، أنت وأنا. أنا أتذكرها كلها، بينما أنت لا تستطيع ذلك، يا قاهر الأعداء))[٣].

قال الشارح: (يذكر في "برهم - سمهيطا" ما يلي: ((إنني أعبد الإله الشخصي الأسمى، "غوفينض" (كريشنا)، الموجود بشخصيات كثيرة مثل "رام"، "نريشمها"، وفيض جزئي كذلك، لكنه الإله الشخصي الأسمى الأصلي المعروف بـــ كريشنا، والذي يتجلى على الأرض شخصيا أيضا))..

وقد قيل في الـــقـــيدا أيضا: إن الله، رغم أنه واحد أحد، فإنه يتجلى بأشكال عدة... مثل هذه الشخصيات الإلهية المتعددة يفهمها المكرس الطاهر، وليس أي كان بمجرد دراسة الـــقـــيدا... وكلما هبط المولى الأسمى إلى العالم المادي، يلازمه صحبه المكرسون أيضا من أجل القيام على خدمته..)[٤].

---

(١) **الغيطا**، ص٦٧٠.
(٢) المرجع السابق، ص٣١- ٣٢.
(٣) المرجع السابق، ص٢١٥.
(٤) المرجع السابق، ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ((رغم أنني غير مولود وجسدي التجاوزي لا يفنى، ورغم أنني رب الكائنات فإنني أتجلى في كل دورة بصورتي التجاوزية الأولية))[١].

ومما جاء في الشرح: (.. لذا، فعلى الرغم من وجوده في العالم المادي، فإنه يبقى غير المولود ذاته... تؤكد الـــقـــيدا بأن الإله الشخصي الأسمى غير مولود، ورغم ذلك يبدو، في الظاهر مولودا بشخصيات مختلفة... **وما تجليه سوى رحمته غير المعلولة**..)[٢].

نجد في هذا النص أن تجليات المولى سبحانه ليست إلا رحمته المتمثلة بأنبيائه ووحيه وكتبه.

٣- ((حيثما يوجد انحراف في الممارسات الدينية، يا سليل "بهرط"، وازداد الإلحاد، أهبط بنفسي))[٣].

ومما جاء في الشرح: (الآية السابقة سبق وأكدت **قدم صورة المولى ونفت عنه صفة المخلوق**، كون كل صوره قديمة الوجود، **رغم أن الله يتجلى حسب برنامج معد**... إلا أنه غير ملزم بالتقيد بمثل هذه الأوقات، **ذلك لأن له مطلق الحرية بالتجلي متى أراد**[٤]. إنه يتجلى بمحض إرادته حينما يبرز الإلحاد ويضمر الدين الحق.

إن مبادئ الدين مكتوبة في الـــقـــيدا، وأي انحراف يتعلق بإنجاز شرائع الـــقـــيدا يجعل الإنسان آثما. يذكر "بهاغفطم" أن الـــقـــيدا هي شريعة المولى الأسمى، ولا يحق لغير المولى الأسمى خلق الدين، كما **لا يقبل بالفيدا إلا كما أوحاها المولى بنفسه إلى قلب "برهما"**. لذا، **تعتبر شرعة "ضهرم" أي الدين بمثابة أوامر الإله الشخصي الأسمى المباشرة**. ويشمل نشيد المولى شرعة "ضهرم" هذه.

إن غاية الـــقـــيدا هي توطيد دعائم شرعة "ضهرم" بأمر المولى الأسمى، وفي نهاية النشيد يأمر المولى مباشرة بأن أسمى شرائع "ضهرم" هي **التسليم به وحده لا غير**، كما تحث الشرائع الفيداوية الإنسان على التسليم الكامل به، **وحينما تلتبس هذه الحقيقة بفعل الأشرار، يتجلى المولى**.

كذلك يذكر كتاب "بهاغفطم" أن **المولى "بوذا" هو فيض شخصي من كريشنا**، وقد ظهر عندما هيمنت المادية، وتذرع الماديون بسلطة الـــقـــيدا... وما ظهر المولى "بوذا" إلا من أجل إيقاف هذه الهرطقات وللتشديد على مبادئ اللاعنف الفيداوية. **لذا، نرى أن لكل فيض شخصي إلهي "أفطار" ينزل على الأرض، رسالة خاصة**، وتسهب أسفار الـــقـــيدا بشرحها.

أما الادعاء بأن المولى الأسمى يتجلى على التراب الهندي فقط، فلا أساس له من الصحة. بل بمقدوره أن يتجلى أينما وحيثما يشاء، وفي كل مرة يتجلى فيها فإنه يتكلم عن الدين بالقدر الذي يمكن

---

(١) **الغيطا**، ص٢١٧.
(٢) المرجع السابق، ص٢١٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢١٩.
(٤) قارن ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ سورة الأنعام، آية: ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للبشر في ذلك الظرف فهمه، إلا أن الرسالة واحدة - وهي هداية البشر إلى الوعي الإلهي وإطاعة شرعة الدين.

يهبط كريشنا حينا بنفسه، ويرسل خدمه المخلصين، أو نفسه مستترا، أحيانا أخرى... لقد علم المولى الأسمى المبدأ ذاته في كل امتداداته الهابطة، إلا أن هذا المبدأ بدا بسيطا حينا ومعقدا حينا آخر، وفقا لاختلاف الظرف..)[١].

تجد في النص السابق ذكرا للدين والوحي إلى قلب براهما، فهو نبي يوحى إليه، كما قال تعالى عن نبينا ﷺ: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢] وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٩٦﴾[٣].

وتجد أيضا ذكرا لعقيدة النبوة صراحة في قوله السابق: (يأمر المولى مباشرة بأن أسمى شرائع "ضهرم" هي **التسليم به وحده لا غير**، كما تحث الشرائع الفيداوية الإنسان على التسليم الكامل به، **وحينما تلتبس هذه الحقيقة بفعل الأشرار، يتجلى المولى**). فالإله العظيم حين يرى البشر حادوا عن توحيده وأشركوا معه غيره، فإنه يسارع إلى التجلي بصورة النبوة والوحي لإصلاح الحال، ولإعادة البشر إلى الصراط المستقيم. أما البرنامج المعد الذي أشار إليه، فهو في نظري ليس إلا علمه تعالى الأزلي الذي لا يتغير.

٤ - ((من أجل إنقاذ الأبرار وإفناء الأشرار، ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدين، أهبط بنفسي دورة بعد أخرى))[٤].

قال الشارح: (لا يحتاج المولى إلى إبادة الملحدين بنفسه... فلدى المولى عدد كاف من الوكلاء القادرين على إبادة الأشرار. ورغم ذلك يتجلى المولى خصيصا لإرضاء أتباعه الطاهرين، الذين يخشن الأشرار معاملتهم، حتى وإن كانوا أقرباء لهم..)[٥].

---

(١) **الغيطا**، ص٢١٩.
(٢) سورة البقرة، آية: ٩٧.
(٣) سورة الشعراء، آية: ١٩٢ - ١٩٦.
(٤) **الغيطا**، ص٢٢١.
(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسألة:

يقول أستاذنا العمري: (وإذا عدنا إلى تقصي الشبهات والأدلة على الإنكار، فإننا نجد أن البراهمة أهم هؤلاء المنكرين للنبوة، وهذا مما أجمع عليه علماء الكلام، إلا أن للأستاذ عمار الطالبي رأيا مخالفا لهذا الإجماع، ذلك أنه حاول تبرئتهم من تهمة إنكار النبوات وإلصاقها بابن الراوندي..)[١].

وينقل أستاذنا عن الطالبي قوله: (ولكن ابن الراوندي خدع الناس حين عبر عن آرائه الخاصة في إنكاره النبوة، واستتر بنسبتها إلى البراهمة. **ذلك لأن البراهمة لا تنكر النبوات**، والدليل على ذلك أن أبا محمد النوبختي عرض لنا في كتابه "الآراء والديانات" مذهب البراهمة فيما يرويه لنا ابن الجوزي فقال: "إن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار، وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب.. وأمرهم أن يعبدوا البقر"[٢]. ووافقه البيروني الذي يعتبر حجة في ديانات أهل الهند وعقائدهم، فتحدث في كتابه المشهور "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" عن أنبياء البراهمة ورسلهم. وقد أخطأ المؤرخون الإسلاميون في شتى مؤلفاتهم كالباقلاني وابن حزم والبغدادي والشهرستاني، فنسبوا إلى البراهمة نكران النبوة..)[٣].

ويعلق أستاذنا بقوله: (وربما يكون لوجهة نظر الأستاذ الطالبي حظها من الصواب لو أقام عليها الدليل القاطع، فإن إجماع العلماء من مختلف مذاهبهم ومناهجهم ممن سبقوا النوبختي أو عاصروه أو جاؤوا بعده **على أن جماعة من البراهمة أنكروا النبوات**، ولهم أدلتهم على ذلك، ولا يمكن لهذه النخبة من العلماء الأفذاذ الالتقاء على رأي واحد مع اختلافهم في أصول مذاهبهم. هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء العلماء فصلوا في أدلة البراهمة، ولا يعقل أن يكون ردهم عليها دون أن يكون لها أصل عندهم، وهم قد ردوا هذا الأصل إلى البراهمة في الغالب)[٤].

وأنا أوافق أستاذنا الموقر في أن العلماء قد أجمعوا على أن **فريقا من البراهمة** أنكروا النبوات جميعها، ولكن لابد من التشديد على كلمة "فريقا" كما أنه ينبغي الاستدراك دوما بأن الفريق الآخر لم ينكروها. وأستاذنا هنا يصرح بأن (جماعة من البراهمة أنكروا النبوات) فقط وليس كلهم، فلم يقل: (جميع البراهمة) مثلا، وهو تفصيل دقيق.

---

(١) محمد العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ص٢٤٩.
(٢) النوبختي، الآراء والديانات. نقلا عن: ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، ص٨٣.
(٣) عمار الطالبي، **آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية**، م١، ص٢٦٩- ٢٧٠.
(٤) محمد العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ص٢٤٩- ٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما كلام النوبختي كاملا فقد نقله عنه ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) فقال: (وقد حكى أبو محمد النوبختي[١] في كتاب "الآراء والديانات" **أن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب..** وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر، في هذيانات يضيع الزمان بذكرها)[٢].

وقد يشكل على البعض مثل هذا الكلام العجيب، فإن كنا نبحث عن إثبات للرسل عند الهندوس، ألا يفترض أن يكون الرسول بشرا؟! وأن يكون من عند الله تعالى، يأمرهم بعبادة الله وحده والكفر بالطواغيت والأصنام؟! أولا يفترض به أن يأتي بكتاب من عنده تعالى؟!

يقول أستاذنا العمري: (على أن المتأمل في نص النوبختي يؤيد ما ذهب إليه أغلب علماء الكلام، إذ إنه يشير إلى أن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب، وهذا عين ما ذهب إليه البيروني، **فالرسول في عرف الأمم جميعا هو الذي يأتي بالتشريعات، وهو من جنس البشر، فماذا قدم هذا الملك لهؤلاء الناس إذا لم يأتهم بتشريع؟** أضف إلى ذلك أن دعوة جميع الأنبياء والرسل هي عبادة الله وحده، **والرسول المزعوم عندهم يأمرهم بعبادة البقر. فكيف يكون رسولا من الله؟!!**)[٣].

فالجواب: أن هذا صحيح، ولكن مثل هذا النقل مأخوذ عن نصوص قديمة جدا ومحرفة، وعن أناس اختلط عليهم كل شيء، فخلطوا الملائكة بالآلهة، وتحريم أكل لحم البقر بتأليهها، وأزعم أن النبوة عندهم اختلطت بالكهانة والعرافة والشعوذة، وأيضا بالتجليات الإلهية وحلول الله تعالى - كما يزعمون - في صور بشرية!! فمن الطبيعي جدا أن يزعموا بأن هذا النبي هو من الملائكة أو أنه قد أمرهم بعبادة البقر..

فكثير من الأمم لم تقبل التصديق بنبي من البشر، وطلبت نزول ملك من السماء لكي يتبعوه: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾[٤] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾[٥] ﴿وَمَا

---

(١) النوبختي (٠٠٠ - ٣١٠ هـ = ٠٠٠ - ٩٢٢ م) الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي، أبو محمد: فلكي عارف بالفلسفة. كانت تدعيه المعتزلة والشيعة. وهو من أهل بغداد. نسبته إلى جده (نوبخت) بضم النون وفتحها. من كتبه (فرق الشيعة - ط) و (الآراء والديانات) كبير لم يتمه، و (اختصار الكون والفساد) لارسطاطاليس، و (الجزء الذي لا يتجزأ) كبير، و (الرد على أصحاب التناسخ) و (المرايا وجهة الرؤية فيها) و (الإنسان) و (الفرق والمقالات - خ) و (الرد على المنجمين) و (النكت على ابن الراوندي) و (الرد على الغلاة). الزركلي، **الأعلام**، م٢، ص٢٢٤.

(٢) النوبختي، الآراء والديانات. نقلا عن: ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، ص٨٣.

(٣) محمد العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ص٢٥١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾[١] ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[٢].

فلا بد أن يكون هذا الكلام الذي قاله جماعة من البراهمة على أنه عقيدة، قد عبر عن مكنونات نفوسهم ورغباتهم وتصوراتهم، لا هو الحق الذي كان عليه من سبقهم. فإن العرب أيضا رفضوا تصديق نبي من البشر، وطلبوا أن يروا ملكا منزلا عليهم لكي يصدقوا.

وهذه العقيدة تخالف قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾[٣] فالله سبحانه لم يُرسل للأمم السابقين إلا رجالا من أنفسهم ومن بني جلدتهم.

ومن جهة أخرى، فإن الفكرة التي أبحث عنها في نصوص الهندوس ليست هي عقيدة النبوة بالمعنى الشرعي التقليدي المتعارف عليه بين العلماء، بتفصيلاته وتفريعاته وضوابطه، لكن يكفيني إثبات أنهم يؤمنون بأن شخصا ما ينزل أو يبعث إليهم لتبليغهم أوامر الله، حتى وإن كان ملكا أو جنيا أو غيره من المخلوقات! فهذه هي الفكرة الرئيسية والغاية الأهم المقصودة من إرسال الرسل، فالنبوة في صورتها الأولية هي إرسال رسول من الله تعالى إلى البشر يبلغهم أوامره ونواهيه، وأصلا لا تصح نبوة البشري بدون وجود الرسول النوراني الملائكي، فهذه تقتضي تلك.وهذا القول المنقول عنهم يدفع القول بأنهم يحيلون إرسال الرسل.

وقد نص ربنا سبحانه على أنه يصطفي من الملائكة رسلا أيضا: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤]. لكن جاء تقييد ذلك بأن الملك لا يكون مرسلا لغير النبي المبعوث من البشر، فربما تحرفت هذه العقيدة من صورة إرسال الملك رسولا إلى النبي البشري، إلى صورة إرسال الملك مباشرة إلى بني الإنسان.

وقال سبحانه أيضا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩﴾[٥] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾[٦].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩٤.
(٢) سورة الفرقان، آية: ٧.
(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٩.
(٤) سورة الحج، آية: ٧٥.
(٥) سورة الأنعام، آية: ٨- ٩.
(٦) سورة الإسراء، آية: ٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الآيتين السابقتين تنزل مع المشركين في النقاش، وفيهما أيضا تجويز إرسال الملك رسولا إلى البشر، فالله تعالى لم يحل ولم ينف الفكرة من أصلها، وهو سبحانه لم يردها لذاتها، بل لأنها غير قابلة للتطبيق، فلو أرسل سبحانه ملكا إلى البشر بصورته الحقيقية لفزعوا منه ولما طاقوا الاجتماع به، ولقالوا: إن هذا الرسول ليس من جنسنا وليس من نوعنا، فلا نستطيع مخاطبته أو التفاهم معه، وهو معصوم عصمة تامة فلا يصلح أن يكون قدوة لنا، فنحن لا نقدر على فعل ما يفعل. ولو أرسله على صورة بشر لما صدقوا بأنه ملك ولقالوا بأنه بشر ولطالبوا بإرسال ملك، وبهذا نعود إلى البداية ولا نخرج من هذه المعضلة، فهذا يؤدي إلى الدور. والله أعلم[١].

والله سبحانه قد أرسل جبريل عليه السلام بصورة الإنس إلى النبي ﷺ ليخبره بأمور أو ليسأله أسئلة بغرض تعليم الناس دينهم، وقد رآه الصحابة بأعينهم على صورة البشر وهو جالس بينهم[٢]، فالفكرة غير مرفوضة جملة وتفصيلا، وهذه صورة من صور الوحي، وهي واردة ومقبولة.

أما بالنسبة للكتاب، فلا يشترط أبدا - فيما أعلم - أن يكون مع كل نبي كتاب ما! فقد ذهب بعض العلماء في مسألة التفريق بين الرسول والنبي إلى أن النبي لا يشترط أن يكون له كتاب، بل قد يتعبد بشريعة غيره. وهذا هو ما قرره - أو نقله عن علمائنا على الأقل - أستاذنا العمري في رسالته[٣]. وهو قول غير مستنكر عند علماء الإسلام إطلاقا.

أصلا ما المراد من اصطلاح الكتاب؟ ألا يكفي أن يبلغ الرسول الناس أوامر الله مشافهة؟! ألا يعد كلامه هذا هو الكتاب المنزل ذاته؟! أنا لا أظن غير هذا، والله أعلم. فليس المراد من الكتاب أن ينزل الكتاب مخطوطا مكتوبا من السماء، بل كانت هذه الفكرة من الأفكار المغلوطة التي آمن بها المشركون من أهل الكتاب حين طلبوا من النبي أن ينزل عليهم كتابا من السماء، طلب تعجيز ومكابرة: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٤].

أما قول أستاذنا بأن هذا النبي المزعوم لم يأت بتشريعات، فإن في النص السابق الذكر التصريح بالتحريم والإباحة والأمر بتعظيم النار وغيرها، وهي وإن كانت باطلة في نفس الأمر إلا أنها تشريعات

---

(١) انظر: الزمخشري **تفسير الكشاف**، ص٣٢٠. وابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ص٤٢٦. وسيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط٢٥، ٦م، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م، م٢، ص١٠٤٢. وسعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ط٥، ١١م، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٩م، م٦، ص٣١٢٢. وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص٣٤٤- ٣٤٦. وعمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص٧٠- ٧٣. ومحمد علي الصابوني، **النبوة والأنبياء**، ص٢١- ٢٣.

(٢) انظر: مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، م١، ص٣٦، برقم: ٨.

(٣) انظر: محمد العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ص٤٦.

(٤) سورة النساء، آية: ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بكل معنى الكلمة، ولكن أستاذنا الحبيب قد اكتفى من نص النوبختي بما نقله الأستاذ عمار الطالبي مختصرا[١]، فيما يظهر، ولو أننا رجعنا إلى كتاب ابن الجوزي لوجدنا النص أطول من ذلك وأتم، وفيه تفصيلات تشريعية كما رأينا. وقد نقلته بكامله فيما سبق.

أما كلام البيروني فهو غير واضح تماما؛ يقول البيروني (ت: ٤٤٠ هـ): (وعلى مثله أمر الهند فإنهم يرون الشريعة وسننها صادرة عن "رشين" الحكماء، قواعد الدين دون **الرسول** الذي هو "ناراين" المتصور عند مجيئه بصور الإنس، ولن يجيء إلا لحسم مادة شر يطل على العالم، أو لتلافي واقع... فلأجل هذا، وقع الاستغناء عن الرسل عندهم في باب الشرع والعبادة، وإن وقعت الحاجة إليهم في مصالح البرية. فأما نسخها، فكأنه غير ممتنع عندهم؛ لأنهم يزعمون أن أشياء كثيرة كانت مباحا قبل مجيء "باسديو" ثم حرمت، ومنها لحم البقر... ومنها أمر الأنكحة والأنساب)[٢]. وأورد أمثلة على هذه المسائل ثم قال: (فلهذا يتخيل من كلامهم جواز النسخ)[٣]. ووجود النسخ عندهم دليل على وجود الشرائع، ومراعاة المصالح، فهي شريعة كاملة.

وعلق أستاذنا على النص السابق بقوله: (هذا النص يوضح لنا أمرين: الأول: أن الرسول المشار إليه في صدر الفقرة، ليس رسولا بشريا، بل يتصور عند نزوله بصورة الإنس، **ويبدو أن نزوله غير منقطع** ومحدد لغاية محددة، فهو يأتي لحسم مادة شر تطل على العالم، **والشر لا ينقطع**، فبدهي أن مجيء هذا الرسول لا ينقطع أيضا. الثاني: أن هذا الرسول لا يأتي للتشريع وأمور العبادة، وإنما لغاية محددة جدا، تلك التي تهم جميع البشر وهي حسم الشر)[٤]. وقد أجبت سابقا عن مسألة بشرية الرسول من عدمها.

أما قول أستاذنا بأن نزول الرسول لا ينقطع، فنحن نعلم أن الله تعالى قد أرسل الرسل للغاية نفسها، وهي دفع الفساد ومحاربة الشرك ورفع الظلم وإعلاء كلمة الحق، ومع ذلك فإن الله تعالى لم يرسل نبيا في كل مرة يخبو نور الحق ويطمس، ويعلو صوت الباطل ويطغى، وإلا لاحتجنا إلى نبي في كل زمان ومكان وآن، فهذا الرسول يأتي لحسم مادة الشر، حين يشاء الله ذلك، لا بحسب الأحوال فقط. والله أعلم.

أما رشين، فقد فسره البيروني في موضع آخر فقال: (هم الحكماء الذين **على إنسيتهم أفضل من الملائكة بسبب العلم**، ولذلك يستفيده الملائكة منهم **فليس فوقهم إلا براهم**)[٥].

وهم الأنبياء في نظري ليس إلا، ولكن اختلفت التسمية فقط، أما المسمى فهو واحد، وهذا التفضيل بين النبي والملك مختلف فيه بين علماء المسلمين.

---

(١) عمار الطالبي، **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية**، دط، دم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، م١، ص٢٦٩.
(٢) البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة**، ص٨١- ٨٢.
(٣) المرجع السابق، ص٨٢- ٨٣.
(٤) محمد العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ص٢٥٠.
(٥) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما ناراين فهو: (قوة من القوى العالية غير قاصدة الإصلاح بالأصلح ولا الإفساد بالفساد وإنما هي **دافعة للفساد والشر بما أمكن**، والصلاح عندها مقدم على الفساد، فإن لم يطرد ولم يمكن، فبالفساد الذي لابد منه... **وقد يكون لها في العالم حلول بشبه أهله من التجسم والتبدن والتلون**، إذ لا يمكن غير ذلك..)[١].

أما قول أستاذنا الفاضل بأن وجهة نظر الأستاذ الطالبي ربما يكون لها حظ من الصواب لو أقام عليها الدليل القاطع، ففي رأيي أن مثل هذه المباحث لا يوجد فيها دليل قاطع البتة، بل هي كلها اجتهادات واستنتاجات لا تخرج عن دائرة الظن أبدا، فليس لأي من القولين أي دليل قاطع، بل هو ظن راجح أو ظن مرجوح فقط. والله أعلم.

وينتهي أستاذنا من مناقشة الأستاذ الطالبي بقوله: (وإذا ما أردنا أن نجمع بين الرأيين، فإن بعض علماء الكلام قد أشاروا إلى أن **طائفة من البراهمة أو قوما منهم هم الذين أنكروا النبوات وليس جميعهم**[٢]، وكذلك النص الذي أورده الأستاذ الطالبي عن النوبختي يشير إلى **قوم من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل**، فربما أراد النوبختي بكلامه هؤلاء الذين آمنوا بالرسل، مثلما أراد المتكلمون الذين لم يؤمنوا من البراهمة بهم... وحاصل القول أن النصوص التي استند إليها الأستاذ الطالبي لا تنفي إنكارهم للنبوة والرسالة بمعناها الشرعي. والذي يبدو أن مفهوم الرسول ومهمته عندهم كما ذكر في النصوص السابقة مجرد مذهب عقلي أو ديانة وضعية لا تمت بصلة إلى مفهوم الرسول ومهمته بالمعنى الشرعي الذي علمناه بطريق القطع من الكتاب والسنة. **والذي أراه راجحا في هذه المسألة هو ما عليه علماء المتكلمين من أن قوما من البراهمة أنكروا النبوات، وقوما منهم أثبتوا نبوة بعض الأنبياء**..)[٣].

فكلام أستاذنا هنا في نظري لا ينفي أصل الرسالة والنبوة عند أهل الهند، إذ إن اعتمادنا على نصوصهم في نفي النبوة بالمعنى الشرعي الإسلامي، قد يقودنا إلى نفيها عند النصارى واليهود أيضا، فهم لا يعتقدونها بالمعنى الشرعي الذي نعتقده نحن المسلمون، بل هم أقرب إلى إنكارها منهم إلى إثباتها، ورغم ذلك فنحن لا ننفي نبوة إسحق ويعقوب، أو موسى وعيسى ومن جاء بينهما من الأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام، ولا يجرؤ واحد منا أن يقول: ليس عند النصارى واليهود نبوة. أو: إن اليهود والنصارى ينكرون النبوة. بل نقول بكل دقة وحذر: إن أنبياءهم الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة الصحيحة هم أنبياء حق وصدق، ولكن هذه العقيدة تحرفت وتغيرت وتشوهت عندهم. والله أعلم.

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٣٣٢- ٣٣٤.

(٢) ذكر أستاذنا العمري بعض هذه الكتب، وقد رجعت إليها جميعا ونقلت منها المراد، ولكنه قال منهم: الإرشاد للجويني (ص: ١٢٦) حيث فصل في الموضوع، وقد رجعت إليه فلم أجد إلا قوله بأن البراهمة قد أنكروا النبوات وجحدوها بعقولهم، كما نقلت عنه، ولم أجده ذكر أن طائفة منهم تقر بالنبوات، والله أعلم.

(٣) محمد العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ص٢٥٠- ٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الإيمان بالوحي والكتب السماوية في الهندوسية

الوحي: لغة هو الإعلام الخفي السريع، مهما اختلفت أسباب هذا الإعلام. لذلك يطلق على الإيماء، وعلى الإشارة السريعة، وعلى الكلام الخفي، وعلى الكتابة وعلى إلقاء المعنى في النفس، وعلى الإلهام سواء كان بدافع الغريزة أو بإشراقات الفطرة، وعلى الرؤيا الصالحة الجلية.

أما في الاصطلاح فهو (إعلام الله رسولا من رسله أو نبيا من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى، بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به)[١]. وهو (الكلام الخفي، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره، والتخصيص له به دون سواه).[٢]

أما **الكتاب**: فهو في اللغة مصدر كتب، كالكَتْبِ، وأصل الكَتْبِ: ضم أديم إلى أديم بالخياطة، واستعمل عرفا في ضم الحروف بعضها إلى بعض.

وفي الاصطلاح هو كلام من كلام الله تعالى، فيه هدى ونور، يوحي به الله إلى رسول من رسله ليبلغه للناس. وهو يطلق في الشرع على ما يشمل الصحف والألواح، وجميع أنواع الوحي اللفظي أو الكتابي، التي ينزلها الله على أي رسول من رسله ليبلغها إلى الناس، وبأية لغة من اللغات نزلت، صغيرة كانت أو كبيرة، مدوّنة أو غير مدوّنة، فيها صفة الإعجاز اللفظي للناس أو ليس فيها كذلك[٣].

والسؤال هنا هو: هل يعتقد الهندوس بأن الكتب المقدسة كالـــڤـــيدا والأوبانيشاد وغيرها موحى بها من عند الله تعالى؟ بمعنى أنها ليست من تأليف البشر وصناعة عقولهم وفكرهم؟

يقول شارح البهغفض غيطا: (**وقد ألهم المولى الحكمة الفيداوية** بعد خلق العالم المادي لكي ترشد هذه الكائنات أفضل السبل للعيش الكريم ومن ثم الخروج من التكبل المادي.. ويقتصر هذا المقام التجاوزي على المتوكل كليا على رحمة كريشنا والعامل بوحيه وإلهامه..)[٤].

ونقل البيروني كلاما طويلا عن اعتقاد الهنود في الله تعالى وصفاته، ناقلا من كتاب باتنجل، ومما جاء عنه سبحانه، قول صاحب الكتاب: ((أفتصفه بالكلام أم لا؟

قال المجيب: **إذا كان عالما، فهو لا محالة متكلم**.

قال السائل: فإن كان متكلما لأجل علمه؛ فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم؟

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص٤٥٦.
(٢) **شرح المصطلحات الكلامية**، ص٣٩١.
(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص٤٦٦.
(٤) **الغيطا**، ص١٣٨- ١٣٩ باختصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال المجيب: الفرق بينهم هو الزمان، فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين، ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم، فكلامهم وإفادتهم في زمان، **وإذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال؛ فالله سبحانه عالم متكلم في الأزل**)).

((وهو الذي **كلم "يراهم" وغيره من الأوائل على أنحاء شتى، فمنهم من ألقى إليه كتابا، ومنهم من فتح لواسطة إليه بابا، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ما أفاض عليه**))[١].

فهو سبحانه متكلم، يوحي بكلامه إلى الأنبياء ليرشدوا البشر إلى الصراط المستقيم. فهنا إثبات للوحي والنبوة أيضا.

وربما كانت طرق الوحي التي ورد ذكرها في هذا النص مشابهة للطرق التي نعرفها في الإسلام ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[٢].

وقال النبي ﷺ، حين سئل عن كيفية الإيحاء إليه: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول..)[٣].

ويتابع البيروني نقله فيقول: ((قال السائل: فمن أين له هذا العلم؟

قال المجيب: **علمه على حاله في الأزل**، وإذ لم يجهل قط؛ فذاته عالمة لم تكتسب علما لم يكن له، كما قال في "بيذ"[٤] **الذي أنزله على براهم**: احمدوا وامدحوا من تكلم ببيذ وكان قبل بيذ))[٥].

وهنا أيضا إثبات للوحي وإنزال الكتاب على من اصطفاهم سبحانه من البشر، فالله قد تكلم بهذا الكتاب، وكان قبله، أي قبل إنزاله للبشر، أو قبل التكلم به، فهو علمه الأزلي.

وعرف البيروني كتاب الـــفـــيدا بقوله: ("بيذ" تفسيره العلم لما ليس بمعلوم، **وهو كلام نسبوه إلى الله تعالى من فم "براهم"**... ويتضمن بيذ الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين، والثواب والعقاب، ومعظمه على التسابيح وقرابين النار بأنواعها التي لا تكاد تحصى كثرة وعسرة؛ ولا يجوزون كتبته لأنه مقروء بألحان فيتحرجون عن عجز القلم وإيقاعه زيادة أو نقصانا في المكتوب، ولهذا فاتهم مرارا فإنهم يزعمون أن في مخاطبات الله تعالى مع براهم في المبدأ على ما حكاه "شونك" ناقله كوكب الزهرة عنه: إنك ستنسى "بيذ" في الوقت الذي يغرق فيه الأرض فيذهب إلى أسفلها... وهذا لأن المنثور أقبل للفساد من المنظوم، وليس "بيذ" على ذلك النظم السائر بل هو بنظم غيره، فمنهم من يقول: **إنه معجز**

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٢٠- ٢١.
(٢) سورة الشورى، آية: ٥١.
(٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، م١، ص٤، برقم: ٢. ومسلم، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، م٤، ص١٨١٦، برقم: ٢٣٣٣.
(٤) وهو كتاب "الفيدا" أو "الويد" ذاته.
(٥) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٢٠- ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يقدر أحد منهم أن ينظم مثله، والمحصلون منهم يزعمون أن ذلك في مقدورهم ولكنهم ممنوعون عنه احتراما له..)[١].

ويقول رؤوف شلبي بأن الهندوس يعتقدون بأن الــڤــيدا كتاب موحى به من الله تعالى[٢] ويقول: (لم أشأ أن أطلق لفظ "الوحي" على ما تدعيه الهندوسية من أنها تلقت الكتب المؤلفة لمؤلفيها المعروفين عندهم.. وما تدعيه الهندوسية محض تخيل وأوهام، يظهر ذلك بوضوح من عرضها لفكرة الإيحاء التي تدعيها، **فإنهم يقولون: "ويرا" يعتقد أنه في منزلة الأنبياء، على نحو ما تذكره كتب ريج ويدا هو أول من تلقى الوحي، ثم جاء من بعده مجموعة "ريسي" وهم الملهمون، وهؤلاء لا هم قساوسة، وإن كانت وظيفتهم مثل وظيفة القساوسة، ولكنهم أنبياء نزل عليهم الوحي عن طريق براهما الذي هو من الملائكة، فهو الذي بلغهم محتويات كتب الويدا**.. وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم الشهرستاني "أصحاب الروحانيات الذين أثبتوا متوسطات روحانية تأتي بالرسالة في صورة بشر". ولكن المؤلف نجومان يصور هذا الإيحاء على أنه تخيل محض من جماعة الريس، فيقول: "إن هؤلاء الملهمين قد رأوا الحقيقة بنور البصيرة وشفافية الروح، لأنهم هم العارفون للحق، وهم الطاهرون الأنقياء، فأخرجوا مشاهداتهم الوجدانية في صورة كتب هي كتب الويدا، ولهذا فإن كتب الويدا هذه قد ألحقت بأسماء هؤلاء الملهمين"..)[٣].

وهنا ذكر للأنبياء والملائكة والوحي والكتب، فلم يبق من تصور النبوة شيء ناقص.

يقول سعيد حوى: (ويعتقد الباحثون أن "الفيدا" جاءت مع الشعوب الآرية التي غزت الهند، وهناك خلاف بين الباحثين حول منشأ الآريين الغزاة للهند، هل هو تركستان أو أوربا، وفي كلا الحالتين، فإن الاحتمال الأكبر **أن تكون الأصول السماوية الصحيحة للفيدا قد نزلت على هذه الشعوب**، ثم حملتها إلى الهند، ثم تتابع إرسال الرسل إلى الهند، وإن كنا لا نستطيع التحديد الجازم فيمن هو رسول، وفيما هو وحي سماوي)[٤].

يقول ألبير شويتزر: (**وتعتبر أسفار الــڤــيدا الأربعة والبراهمانات والأوبانيشادات كشوفا إلهية**، ولم تنقل إلا سماعا من جيل إلى جيل عبر عصور طويلة... على أن الــڤــيدا والبراهمانات والأوبانيشادات بقيت كلها مدة طويلة يتم تناقلها عن طريق السماع حتى بعد دخول الكتابة... ولم يباشر بكتابة أول نسخ

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٩٦- ٩٨ باختصار.
(٢) رؤوف شلبي، **آلهة في الأسواق، دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق**، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م، ص٨٤.
(٣) نجومان، **مواقف الهندوسية**، ص٢٤. نقلا عن رؤوف شلبي، **آلهة في الأسواق**، ص١٠٠ وقال شلبي معلقا: وهذه القصة هي التي ادعاها حواريو عيسى بعده..
(٤) سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، م٢، ص٧٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منها إلا بعد عدة قرون من ميلاد المسيح، فأي جهد عظيم وجب على الذاكرة أن تبذله لتحفظ عن ظهر قلب هذه النصوص التي لا تنتهي..)[١].

ويقول عن حركة آريا - ساماج ومؤسسها دايانااند ساراسفاتي أنهم يعتقدون بأن الــفــيدا هو كتاب موحى به من عند الله تعالى[٢].

ويقول الدكتور رحمات عن كتاب المهابهارتا: (عثر في داخل هذا الكتاب على فصول من الميثولوجيا القديمة، مثل الأفعال الخارقة للعادة التي فعلها الآلهة المقدسة والأنبياء)[٣].

ويقول راداكريشنا: (الأوبانيشاد سروتي أي الأدب الملهم، هي أحاديث الحكماء الذين تكلموا عن كمال تجاربهم الفكرية. **وتعتبر إشراقا روحيا** أكثر منه منهجا للفكر. وهدفها عملي أكثر منه تأملي، وتقدم لنا المعرفة كوسيلة للحرية الروحية. وقد اعتمد عدد كبير من المفكرين على الاقتراحات والتأملات المتضمنة في الأوبانيشاد، وجعلوا منها عناصر ومواضيع لبناء مفاهيمهم الخاصة، وذلك بدون أن يشوهوا النصوص الأصلية)[٤].

ومن النصوص الهندوسية المثبتة للوحي ما جاء في نهايات قانون منو قوله: ((هذا ما كشفه لي الإله المعبود من الأسرار العظيمة من القانون المقدس بغية فلاح بني البشر))[٥].

وجاء في البهغفض غيطا: ((قال المولى المبارك: لقد أعلنت عن علم اليوغا القديم هذا إلى ملاك الشمس "فيفشفان"، الذي أعلنه بدوره إلى "منو"، والد البشرية، و"منو" تحدث به إلى "إيكشفاكو"))[٦].

قال الشارح: (نطالع هنا تاريخ نشيد المولى الذي يعود إلى زمن سحيق... يعرف ملاك الشمس، في هذه الحقبة، باسم "فيفشفان"، والشمس هي أصل كل كواكب النظام الشمسي... إن الشمس تحكم كل الكواكب الأخرى بتزويدها بالحرارة والضوء، ويحكمها حاليا الملاك "فيفشفان". **وقد جعل المولى كريشنا من "فيفشفان" تلميذه الأول وعلمه نشيد المولى**... وفي كتاب "مهابهارط" نستطيع اقتفاء أثر تاريخ النشيد من خلال الآية التالية..)[٧].

ثم سرد مصطلحات تاريخية خاصة، وقام بحسبة السنوات والقرون التي مرت على هذا الكتاب، ثم توصل إلى أن تاريخ تلقين المولى كريشنا تلميذه "فيفشفان" كان منذ حوالي مليوني سنة.. أما تاريخ الإعلان الحالي للنشيد لأرجون فقد كان منذ خمسة آلاف سنة..

---

(١) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٣٦ باختصار.
(٢) المرجع السابق، ص١٨٣- ١٨٤.
(٣) رحمات الإندونيسي، **التفكير الديني**، ص١٩٠.
(٤) سرفبالي راداكريشنا، **الفكر الفلسفي الهندي**، ص٧١- ٧٤.
(٥) **منو سمرتي**، ص٧٠١.
(٦) **الغيطا**، ص٢٠٩.
(٧) المرجع السابق، ص٢٠٩- ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول مترجم كتاب البهغفض غيطا: (**إن المعرفة الفيداوية لم تعط من قبل كائنات حية قاصرة، بل أوحيت إلى قلب "برهما" أول مخلوق حي**، وأفضى بها "برهما" إلى أبنائه وتلاميذه، **تماما كما استلمها من المولى**)[١].

وجاء ذكر الوحي في ترجمة كتاب البهغفض غيطا، حين قال المعلق في تعريفه لمصطلح "شروطي": (**هي الأسفار التي أوحاها الله مباشرة**)[٢].

وقد قال عمارة نجيب بأن الهندوس يعتقدون بأن كتاب الفيدا هو وحي من الإله براهما نفسه[٣].

ومما جاء في كتاب منو سمرتي: ((لقد أحصى هذا الكتاب تفصيل كل الأمور الدينية، وأعمال الخير والشر وواجبات الفرق))[٤].

وهذا قريب من قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾[٥] وقوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[٦].

---

(١) **الغيطا**، ص٢٩.
(٢) المرجع السابق، ص٨٤٣.
(٣) عمارة نجيب، **الإنسان في ظل الأديان**، ص١٨٢.
(٤) **منو سمرتي**، ص٤٠.
(٥) سورة الأنعام، آية: ٣٨.
(٦) سورة النحل، آية: ٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

البشارات بالنبي محمد ﷺ في كتب الهندوس

ذهب بعض الباحثين إلى أن النبي محمدا ﷺ لم يكن ذكره مقصورا على كتب بني إسرائيل، وإنما ورد ذكره وصفته في الأسفار الدينية العالمية الأخرى ككتب البراهمة والزرادشتية وغيرهم[١].

فقد ألف ((مولانا عبد الحق قديارتي)) كتابا بالإنجليزية سماه: "محمد في الأسفار الدينية العالمية" "Mohammed in World Scriptures" واستفاد في مقارناته ونقوله بمعرفته للفارسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللغات الأوروبية، ولم يقنع فيه بكتب التوراة والإنجيل، بل عمم البحث في كتب فارس والهند وبابل القديمة، وكانت له في بعض أقواله توفيقات تضارع أقوى ما ورد في نظائرها في شواهد المتدينين كافة..

يقول الأستاذ عبد الحق أن اسم الرسول العربي "أحمد" مكتوب بلفظه العربي في الساما فيدا من كتب البراهمة، وقد ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني ونصها أن ((أحمد تلقى الشريعة من ربه، وهي مملوءة بالحكمة، وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس))..

ويزيد الأستاذ عبد الحق على ذلك أن وصف الكعبة المعظمة ثابت في كتاب الأثارفا فيدا حيث يسميها الكتاب بيت الملائكة، ويذكر من أوصافه أنه ذو جوانب ثمانية وذو أبواب تسعة.

وفي مواضع كثيرة من كتب البراهمة يرى المؤلف أن النبي محمدا مذكور بوصفه الذي يعني الحمد الكثير والسمعة البعيدة، ومن أسمائه الوصفية اسم "سشرافا" الذي ورد في كتاب أثارفا فيدا..[٢]

وكذلك صنع بكتب زرادشت التي اشتهرت باسم الكتب المجوسية، فاستخرج من كتاب زند افستا نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين "سوشيانت" ((Soeshyant)) ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة "أبو لهب" ((Angra Mainyu)) ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفوا أحد ((هيج جيز باونما)) وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة ((جز آخاز وانباز ودشمن ومانند ويار وبدر ومادر وزن وفرزند وحاي سوي وتن آسا وتناني ورنك وبوي است)) ويشفع ذلك باقتباسات كثيرة من كتب الزرادشتية تنبئ عن دعوة الحق التي يجيء بها النبي الموعود، وفيها إشارة إلى البادية العربية، ويترجم نبذة منها إلى اللغة الإنجليزية معناها بغير تصرف: ((إن أمة زردشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم

---

(١) انظر: فاضل السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، ط٢، مكتبة القدس، بغداد، ١٩٨٣م، ص٢٠٤.

(٢) انظر: عباس محمود العقاد، **مطلع النور**، دط، دار الهلال، القاهرة، دت، ص١٤- ١٦. وفاضل السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، ص٢٠٤. وعمر الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ، وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم، وأن نبيهم ليكونن فصيحا يتحدث بالمعجزات))[١]. ولا يرد على ذهني لقوله: "يتحدث بالمعجزات" غير معنى واحد، وهو القرآن الكريم الذي هو معجزته ﷺ وهو كلام يتلى ويتحدث به.

ويقول محمد ضياء الرحمن الأعظمي: (إن موضوع البشارات في كتب الهندوس شغل بال علماء الهند مع اعترافهم بأن كتبهم غير منزلة[٢]. فقد ألف الشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي المتوفى سنة (١٣٧٦هـ) وهو أحد كبار علماء أهل الحديث في الهند رسالة باسم "بشارات محمدية" واختصرها العلامة المناظر الشيخ ثناء الله الأمرتسري المتوفى سنة (١٣٦٧هـ) رئيس جمعية أهل الحديث في الهند باسم "محمد رشي" ونشره محمد داود راز سنة (١٣٧٧هـ). كما ألف الأستاذ محمد مطيع الرحمن الجاتر فيدي باسم "خاتم النبيين". وقد ظهر كتاب جديد بقلم شمس نويد العثماني في الموضوع نفسه إلا أنه توسع فيه بما لا تقره كتب القوم، كل هؤلاء أرادوا إقامة الحجة على الهندوس من كتبهم.

كما أن غير المسلمين من الهندوس والقاديانيين أيضا اهتموا بهذا الموضوع؛ فألف "عبد الحق الوديارتهي" القادياني كتابا باسم "ميثاق النبيين" استقصى فيه جميع البشارات الواردة في كتب غير المسلمين من اليهود والنصارى والهندوس والبوذيين والزردشتيين، وطبع هذا الكتاب في عام (١٩٣٦م) وترجم إلى عدة لغات عالمية. كما ألف في الموضوع نفسه بعض الهندوس منهم: الدكتور "ويد بركاش" رسالتين عن البشارات بالنبي ﷺ في كتب الهندوس. **كما أن الدكتور "راميش برساد" كتب مقدمة لكتاب سلام الله صديقي في الموضوع نفسه، واعترف فيها بأن معنى ((نراشنس)) بالعربية ((محمد)) وهو الذي جاء ذكره في "آتور فيدا". وكلمة ((نراشنس)) مركبة من ((نر)) ومعناها الإنسان، و ((شنس)) ومعناها ((الممدوح من الناس)) (Praised) يعني الإنسان الذي مدحه الناس، وادعى فقال: من هو هذا؟ غير محمد ﷺ**. كما أن القاديانيين في تراجمهم لمعاني القرآن الكريم وتفسيره أشاروا إلى هذا الموضوع بإسهاب. وقد اشتهر في الأوساط العلمية في الهند السيد "أديار" المولود سنة (١٩٣٥م) في منطقة "تامل نادو" رئيس تحرير صحيفة يومية "تروتام" بكتابه "الإسلام الذي أحبه" وفيه فصل كامل عن البشارات في كتب الهندوس)[٣].

---

(١) انظر: عباس محمود العقاد، **مطلع النور**، ص١٦- ١٧. وفاضل السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، ص٢٠٥. وعمر الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص١٨٧- ١٨٨.

(٢) قد مر معنا في السابق أن بعض الهندوس يؤمنون وينصون صراحة على اعتقادهم بأن كتبهم المقدسة منزلة من السماء على قلب براهما، وموحى بها من الله تعالى.

(٣) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٠٣- ٧٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمثلة من هذه البشارات:

ومن أبرز هذه البشارات ما ذكره الأعظمي في كتابه:

١ - ((في ذلك الوقت في قرية "شامبهل" عند رجل اسمه "وشنوياش" صاحب قلب رقيق يولد في بيته "كالكي")) [البهكفت بران (٢/ ١٨)].

شرح الكلمات:

لفظ "شامبهل" مركب من كلمتين "شم" معناه: الأمن، و"بهال" معناه: القرية أو البلد، يعني به: قرية الأمن، أو: البلد الأمين.

و"وشنوياش" مركب من كلمتين - أيضا - "وشنو" معناه: الله، و"ياش" معناه: العبد، يعني اسم أبيه: عبد الله.

و"كالكي" معناه: مطهر من الذنوب والآثام[١].

٢ - ((يولد "مهارشى كلكي" في بيت "وشنوياش" من زوجته "سومتي")) [كلكي بران (٢/ ١١)]

كلمة "سومتي" معناها: صاحبة السلامة والأمن، ولعلنا نرى ربطا بين هذا المعنى وبين اسم أم النبي ﷺ "آمنة"[٢].

٣ - ((إنه يولد في الثاني عشر من ظهور القمر في شهر اسمه "مادوه")) [كلكي بران (٢/ ١٥)].

معنى "مادوه" الشهر المرغوب فيه، والمحبب إلى النفوس، وهو شهر الربيع، وقد اتفق أهل السير والتاريخ بأن النبي ﷺ ولد في شهر ربيع، ربيع الأول، وفي اليوم الثاني عشر منه[٣].

٤ - ((إن "مهارشى كلكي" يكون متصفا بصفات ثمانية)) [البهكفت بران (١٢/ ٢ - ١٩)].

والصفات الثمانية هي:

أ- (Pragya) ومعناها: الإخبار عن المستقبل.

ب- (Culinata) يعني: يكون هذا النبي من أشرف قومه.

ت- (Indridaman) يعني: الغالب على نفسه، فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ كان أملك لنفسه من غيره.

ث- (Shrut) بمعنى: عنده العلم الإلهي، ويراد به الوحي.

ج- (Prakram) معناه: رجل قوي البنية الذي لا يغلب.

ح- (Abhu Bhashita) يعني: قليل الكلام.

خ- (Dan) معناه: السخي الكريم الذي لا يبخل بما عنده.

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧١٤.
(٢) المرجع السابق، ص٧١٦.
(٣) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- (Kritagyata) ومعناه: المعترف بالجميل.[١]

٥- ((وهو يركب على الحصان، ويخرج منه النور، ولا يضاهيه أحد في رعبه وجماله، ويكون مختونا، ويعدم الألوف من الظلمة والكفرة)) [البهكفت بران (١٢/ ٢ - ٢٠)].

ما ألصق هذه الصفات بنبينا ﷺ، وجماله معروف في الأحاديث الصحيحة. وأما الختان فلا يعمل به عند الهندوس لا قديما ولا حديثا. وأما ركوب الحصان فلا يعرف من زعماء الهندوس من ركب الخيل..[٢]

٦- ((إنه بمساعدة أربعة من أصحابه يهلك الشيطان، وإن الملائكة تنزل على الأرض لمساعدته في حروبه)) [كلكي بران (٢/ ٥ - ٧)].

فيه إشارة إلى أصحابه الأربعة من الخلفاء الراشدين، وأما نزول الملائكة إلى الأرض لمساعدته وأصحابه فهو إشارة إلى قصة بدر التي قصها ربنا علينا في سورة الأنفال: الآيات: (٩ - ١٣)[٣].

٧- ((إنه بعد ولادته يتوجه إلى الجبال ليتعلم من "برش رام" ثم يذهب إلى الشمال، ثم يعود إلى مولده)) [كلكي بران].

"برش رام" معناه: المعلم الأكبر، ولعلنا نرى في هذه البشارات بوضوح ثلاثة أحداث مهمة في حياة النبي ﷺ:

أ- تحنثه في غار حراء قبل البعثة، ومجيء جبريل إليه بالوحي الأول قائلا له: إقرأ.

ب- وهجرته إلى المدينة الواقعة إلى شمال مكة.

ت- وعودته إلى مكة مكان ولادته عند فتحها[٤].

٨- ((إن الناس يسحرون من عبقه الذي يخرج من جسمه، وإن عبق جسمه الطاهر يختلط بالهواء، ويلطف الأرواح والنفوس)) [البهكفت بران (٢/ ٢/ ٢١)].

ومما هو معلوم في شمائل النبي ﷺ تضوع رائحة زكية من جسمه ﷺ[٥].

وأما رهبان الهندوس وعلماؤهم، فيحرم عليهم استعمال الطيب، وعليهم أن يلطخوا أجسامهم بالتراب لإذلالها فتخرج منهم روائح كريهة[٦].

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧١٧.
(٢) المرجع السابق، ص٧٢٥.
(٣) المرجع السابق، ص٧٢٦.
(٤) المرجع السابق، ص٧٢٧.
(٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، م٣، ص١٣٠٦، برقم: ٣٣٦٨. ومسلم، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، م٤، ص١٨١٤، برقم: ٢٣٢٩، ٢٣٣٠. وباب طيب عرق النبي ﷺ، م٤، ص١٨١٥، ١٨١٦، برقم: ٢٣٣١، ٢٣٣٢.
(٦) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩- ((أول من ذبح وضحى هو "أحمدو" فصار كالشمس)) [سام فيدا (٣/ ٦/ ٨)].

يعني: ذبح لله، وقد جعل أهل الجاهلية الذبح لغير الله، فأعاده النبي ﷺ كما كان قبل ذلك منذ عهد إبراهيم خليل الله، فعظمت منزلته عند الله، وصار كالشمس في انتشار دينه، وسمو تعاليمه.

أما كلمة "أحمدو" في اللغة السنسكريتية فلم يستطع أحد علماء الهندوس أن يعرفوا معناها، لأنها ليست من لغتهم، فتخبطوا في تفسيرها بما لا نهاية له. وقد تجاهل "ماكرونيل" و"كيت" مؤلفا "معجم الـــقـــيدا" هذه الكلمة، فلم يذكروها في معجمهما أصلا[١].

١٠- ((سوف يأتي معلم روحاني مع رفقائه الكرام، ويشتهر بين الناس باسم "محامد" ويستقبله الأمير قائلا: يا ساكن الصحراء، هازم الشيطان، صاحب المعجزات، بريئا من كل شر، قائما على الحق، خبيرا ومجسما في معرفة الله، ومحبا له، سلام عليك، أنا عبدك أعيش تحت قدميك)) [بهاوشيا بران (٣/ ٣/ ٥- ٨)].

كلمة "محامد" لا توجد في اللغة السنسكريتية، وهي محرفة من لفظ "محمد" ثم هذه الصفات المذكورة في "محامد" لم توجد في بطل من أبطال الهندوس، وقد وجدت بأتم صورها في نبينا محمد ﷺ[٢].

١١- ((وفي هذه الأدوار إذا جاء وقت ظهور الخير الجماعي للإنسان فإنه يعرف الحق، وبظهور "محمد" تنتهي الظلمات، ويطلع نور الفهم والحكمة)) [البهكفت بران (٢/ ٧٦)].

والفترة التي كانت قبل بعثة النبي ﷺ اشتهرت بالجاهلية، والفترة بعد البعثة عرفت بالإسلام، والعلم، والخير الاجتماعي، فببعثة النبي ﷺ انتهت الظلمات[٣].

١٢- ((أكنى ديوي "صاحب الشريعة الغراء" جعلناك فوق سرة الأرض لتقديم القرابين)) [ريـــچ فيدا (٣/ ٢٩/ ٤)].

يقول علماء الجغرافيا: إن مكة تقع في سرة الأرض، وفيه إشارة إلى أن النبي المنتظر سيظهر في مكة. وعلماء الهندوس لم يعينوا سرة الأرض، ويبدو أنهم لم يعرفوا موقعها من بلادهم فسكتوا عن هذا.

وأمامي الآن تفسير "ريـــچ فيدا" للعالم الهندوسي "شري شرما آجاريا" إلا أنه لم يقل شيئا في تفسير هذه الفقرة من "ريـــچ فيدا". [تفسير ريـــچ فيدا ٢/ ٤٩٢][٤].

١٣- ((ركب "إندر" المهيب نوعا من الفرس يقال له: "آشو" أول مرة، وعرج به إلى السماء، وقطع ثلاثة منازل)) [ريـــچ فيدا (١٦٣/ ١/ ٣)].

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٢٩.
(٢) المرجع السابق، ص٧٣٠.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق، ص٧٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لفظ "إندر" هو في الأصل إله الرعد عندهم، ولكن المعنى الوصفي له بأنه "مهيب" وأن هذا الرسول قطعه ثلاثة منازل على فرسه "آشو"... والفرس المذكور هو "البراق" الوارد ذكره في السنة الصحيحة.

وتحت عنوان "التبشير بـــ((نراشنس))" قال: (كلمة "نراشنس" مركبة من كلمتين: "نر" يعني: الإنسان، و"أشنس" معناها: الممدوح من الناس (Praised) ومعنى الكلمتين: الإنسان الممدوح، أو الذي حمده الناس.

يقول الدكتور "راميش برشاد" في مقدمة لكتاب [كذا] سلام الله صديقي: (معنى نراشنس بالعربية "محمد" وهو الذي جاء ذكره في آتور فيدا)[١].

وإليكم فقرات من الكتب الهندوسية عن أوصاف "نراشنس":

١٤- ((إنه جميل، ويكون أجمل من في الأرض)) [ريـــج فيدا (٢/ ٣/ ٢)][٢].

١٥- ((إن نوره يدخل بيتا بيتا)) [ريـــج فيدا (٢/ ٣/ ٢)][٣].

١٦- ((إنه يطهر الناس من الذنوب والآثام)) [ريـــج فيدا (٢/ ١٠٦/ ٤)][٤].

١٧- ((إنه يركب الإبل)) [آتور فيدا (٢٠/ ١٢٧/ ٢٠)][٥].

وركوب الإبل شيء غير معروف في الهند، كما أنه لم يثبت من ركب الإبل من أبطال الهندوس.

١٨- ((إن له اثنتي عشرة زوجة)) [آتور فيدا (٢٠/ ١٢٧/ ٢)].

والهندوسية لا تقر بتعدد الزوجات، كما أنه لم يوجد بطل من أبطالهم له أكثر من زوجة، إلا ما حكي عن إلههم "كرشنا" بأن له عددا من الجواري يلاعبهن، وهن معروفات بـــ"جوبي" (Gopi) ولكن زوجته الحقيقية واحدة وهي "رادها" (Radha).[٦]

وأما أزواج النبي ﷺ اللواتي عشن معه ودخل بهن، فبلغ عددهن هذا العدد[٧].

١٩- ((إن المئات من أصحابه يقومون بدعوته)) [آتور فيدا (٢٠/ ١٢٧/ ٣٠)].

ولم يحصل هذا لأي نبي أو زعيم أو بطل في تاريخ العالم أجمع إلا لنبينا ﷺ[٨].

٢٠- ((إنه صاحب عشرة عقود)) [آتور فيدا (٢٠/ ١٢٧/ ٣)].

فيه إشارة إلى أصحابه العشرة المبشرين، فإن منزلة هؤلاء عند النبي ﷺ مثل العقد في العنق[٩].

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٣٢.
(٢) المرجع السابق، ص٧٣٤.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) **القاموس الهندوسي**، دط، د دار نشر، دت، ص٢٤٤- ٢٤٦. نقلا عن: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٣٥.
(٧) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٣٥.
(٨) المرجع السابق، ص٧٣٩.
(٩) المرجع السابق، ص٧٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢١- ((اسمعوا أيها الناس، إن "تراشنس" يرتفع ذكره)) [آتور فيدا (٢٠/ ١٢٧/ ١)].

ولعل في هذا لإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾[١].[٢]

وفي الباب العشرين من "آتور فيدا" يوجد جملة من الفقرات تسمى "كنتاب" ومعناها: المستور. يعني أن الزمن الآتي سوف يكشف سر هذه الفقرات، ومن هذه الفقرات المستورة:

٢٢- ((يا أيها الناس اسمعوا: إن "تراشنس" يحمد، وإنه يهاجر من بين ستين ألف وتسعين، وإني لأحفظه من أعدائه، وهو يركب الإبل، وله اثنتا عشرة زوجة، ومنزلته مثل السماء، وقد أعطيت "مامح" مائة دينار خالص، وعشر تسبيحات، وثلاثمائة فرس)) [آتور فيدا (٢٠/ ١٢٧/ ١)].

الشرح:

أ- فيه إشارة إلى بعض صفات النبي ﷺ.

ب- وفيه إشارة إلى هجرته من مكة إلى المدينة.

ت- وفيه إشارة إلى عدد سكان مكة من ستين ألف إلى تسعين.

ث- وفيه إشارة إلى حفظه من الأعداء: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣].

ج- و"مامح" مركب من لفظين: "ما" يعني "مها" ومعناه عظيم، و"مح" الذي حمد، - ومعني [كذا] اللفظين - الذي كثر حمده وثناؤه في العالمين.

فمن يكون هذا غير نبينا ﷺ؟

ح- ومائة دينار خالص: إشارة إلى أصحابه المخلصين الذين هاجروا إلى الحبشة.

خ- وعشر تسبيحات: إشارة إلى العشرة المبشرين بالجنة.

د- وثلاثمائة فرس: إشارة إلى أصحاب غزوة بدر الذين كان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشرة، والله أعلم.

هذه الفقرات من "آتور فيدا" لا يزال يقرأها الهندوس في المناسبات الدينية، ولكن لم يثبت في التاريخ من يصدق عليه هذه البشارات إلا على نبينا محمد ﷺ والهندوس ينتظرون ظهور هذا النبي منذ آلاف السنين، ويتجاهلون أن النبي الموصوف بهذه الصفات قد تم ظهوره قبل ألف وأربعمائة سنة[٤].

٢٣- ((إن رجلا ذا سيرة طيبة جاء إلى الملك "بهوج" ملك السند في ظلمات الليل وقال له: أيها الملك إن دينك "آريا دهرم" يفوق جميع الأديان (في الهند) ولكن بحكم الإله الأكبر، إني أظهر دين رجل يأكل كل شيء من الطيبات، وهو مختون (خلافا لعادة الهندوس) ولا يكون على رأسه ضفيرة مدلاة ولا معقوصة

---

(١) سورة الشرح، آية: ٤.

(٢) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٤٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) المرجع السابق، ص٧٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(مثل ما يكون على رؤوس نساك الهندوس) وله لحية طويلة، ويحدث انقلابا عظيما، ويؤذن في الناس، ويأكل من كل شيء من الطيبات ما عدا لحم الخنزير، ودينه ينسخ جميع الأديان وسميناهم المسلى، (والإله الأكبر هو الذي أوحى) إليه هذا الدين)) [بهاوشيا بران (٣/ ٣/ ٢٣ - ٢٧)][١].

٢٤- وقد تواترت الروايات عن بوذا أنه عند موته قال لتلميذه "آنندا": ((أي آنندا لا تحزن فأنا لست أول بوذا ولا آخره، بل سيأتي بعدي من يكون قلبه خاليا عن الحقد والحسد، وهو ذو عقل سليم، يقود الناس إلى الخير، وينير لهم الطريق، ويبقى تعليمه إلى الأبد)) [نبي آخر الزمان في الـفـيدا (ص: ٦٩)]. وباعتراف علماء الهندوس توجد في "ريـچ فيدا" بشارات كثيرة تشير إلى بعثة النبي ﷺ في آخر الزمان[٢].

٢٥- ((وقد سئل "راماجندرا": كم عدد المنازل إذا قطعها الإنسان يلقى الله سبحانه وتعالى؟ فقال: أربعة عشر منزلا. فقيل له: هل وصل إليها أحد؟ فقال: لا. قيل: ولا أنت؟ قال: لا. قيل له: وهل يصل إليها أحد؟ قال: نعم. قيل: ما اسمه؟ قال: محامد. قيل له: أين يولد؟ قال: إنه يولد في أرض صخرية، ويعيش في أرض النخيل، ومن هنا ينتشر دينه في العالم كله، الذي يقوله يتحقق، الذي يقبل دينه يدخل الجنة، والذي يكفر به يدخل النار، يأكل اللحم ويشرب اللبن، ويحارب أعداءه بالسيف، ويفتح ملكهم))[٣].

هذه بعض أوصاف النبي الذي يظهر في آخر الزمان في كتب الهندوس، وهم لا يزالون يقرؤونها ليلا ونهارا، وينتظرون ظهور هذا النبي المرسل في الهند حتى الآن. ولا يدرون أن نبيهم ونبي العالمين قد ظهر قبل ألف وأربعمائة سنة، إلا أن العصبية الجاهلية التي ورثوها ضد الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، قد أعمت قلوبهم، وأصمت آذانهم[٤].

بعد هذه البشارات العجيبة يقول الأعظمي: (ولكن السؤال الذي يدور في أذهان كثير من الناس هو: كيف تسربت هذه البشارات إلى كتب الهندوس مع أنها غير منزلة[٥]؟ وما موقف الهندوس أنفسهم تجاه هذه البشارات؟ وللإجابة عليه أقول:

١- **لعل الآريين اقتبسوا هذه البشارات من تعليمات سيدنا إبراهيم عليه السلام...** لأنه قد ثبت أن هجرات الآريين كانت في الفترة التي ظهرت فيها دعوة إبراهيم عليه السلام في العراق وما حولها، وهي من المناطق التي مر بها الآريون في هجرتهم حتى وصلوا إلى السند، وحملوا معهم بعض الأفكار الكلدانية والبابلية تم اكتشافها في الأمهار التي وجدت في حفريات "موهان جودار" في وادي السند.

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٤٤.
(٢) المرجع السابق، ص٧٤٥.
(٣) عبد العزيز جمال الدين، **البشارات المحمدية**، دط، مطبع يوسفي، دلهي، دت، ص١١٨- ١١٩. نقلا عن محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٤٥.
(٤) انظر: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٤٥.
(٥) هذا رأي الأعظمي وأنا أخالفه فيه. فإن وجود هذه البشارات في كتبهم هو قرينة قوية على أنها منزلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كنت أرى أن "البراهمة" نسبة إلى إبراهيم عليه السلام، ثم وقفت على كلام أبي الفضل السكسكي الحنبلي (ت: ٧٨٣ هـ)! في كتابه "البرهان في معرفة الأديان"! يقول فيه: ((**وسموا براهمة لإقرارهم بالله تعالى، وتكذيبهم بالوسائط وهم الرسل، إلا إبراهيم عليه السلام، فإنهم يقولون برسالته، فسموا لذلك براهمة**))[١]..)[٢].

وقد يكون براهما هو إبراهيم النبي ذاته، وقد ذهب إلى هذا الاحتمال بعض الباحثين[٣]. إن استقراء التشابه بين اسمي النبي إبراهيم وزوجته السيدة سارة في النصوص الدينية السماوية من جهة، واسمي براهما وسارسواتي في نصوص ديانة الفيدا السنسكريتية الهندية من جهة أخرى، أثار الباحث واللغوي فالح العجمي ليضع عنوان كتابه الصادر جديداً من الدار العربية للموسوعات، وهو صحف إبراهيم، جذور البراهيمية من خلال نصوص الفيدا ومقارنتها بالتطبيقات والروايات التاريخية.[٤] الكتاب جديد في بحثه، وهو ضمن سياق الكتب التي تدمج البحث اللغوي بالاجتماعي.

وفي خاتمة الكتاب ينتهي الباحث إلى قوله: (ولا يخفي على القارئ أن وجود هذه الخيوط المتداخلة بين أديان الشرق الرئيسة قد أغرت بعض المفكرين أو الإصلاحيين الذين يسعون إلى إيجاد قاعدة مشتركة بين أبناء هذه الأديان المتجاورة، في محاولة منهم إلى نبذ أسباب الصراع والحروب لأسباب دينية. وقد كان الإمبراطور المغولي "أكبر" أحد أبرز هؤلاء التوفيقيين)[٥].

---

(١) السكسكي، أبو الفضل عباس بن منصور التريمي الشافعي (ت ٦٨٣ هـ)، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، ص٨٧. وأخطأ الأعظمي - تبعا لناشر الكتاب أو محققه - في نسبته للمذهب الحنبلي، بل هو شافعي كما رأيت في ترجمته السابقة، وكما نص على ذلك من ترجمه، مع أن محقق الكتاب مدرك للاختلاف في نسبته لأي المذهبين. وأخطأ الأعظمي أيضا في إثبات سنة وفاته فقال: ٧٨٣ هـ، والصحيح أنه توفي سنة ٦٨٣ هـ كما رأيت في ترجمته، وكما قال مترجموه أيضا، وكما أثبته هو في فهرس مصادره ص٧٥٢، وكما هو واضح على غلاف الكتاب. وأخطأ أيضا في اسم الكتاب فأسقط منه: "عقائد أهل.."، كما أثبته هو في فهرس المصادر أيضا ص٧٥٢. ولعل الأخيرين كانا من الأخطاء المطبعية لا غير. وقد أخطأ ناشره في نسبته على الغلاف، فقال: التريني بالنون، وإنما هي التريمي بالميم نسبة إلى تريم من بلاد حضرموت اليمن، كما أثبته المحقق في ترجمة المصنف ص٩، ولعله خطأ مطبعي أيضا. وانظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، م٥، ص٦٥. وإسماعيل باشا الباباني البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دط، ٢م، (تحقيق: محمد شرف الدين بالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي)، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، دت، م١، ص١٧٩. والله أعلم.

(٢) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٠٤- ٧٠٥.

(٣) انظر: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٠٤- ٧٠٥.

(٤) انظر: فالح العجمي، **صحف إبراهيم، جذور البراهيمية من خلال نصوص الفيدا ومقارنتها بالتطبيقات والروايات التاريخية**، الدار العربية للموسوعات، م٢٠٠٦. من موقع:
http://www.alriyadh.com/٠٢/٠٣/٢٠٠٦/article١٣٤٩٢٧.html

(٥) انظر: المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتابع الأعظمي بقوله: (بل وقد ادعى الدكتور "بران نات" الأستاذ بالجامعة الهندوسية ببنارس في مقال نشر في صحيفة "تائمس آف إنديا" (Times Of India) في شهري يوليو وأغسطس عام ١٩٣٥م: ((أن جزءا كبيرا من تعليمات "ريـــج فيدا" أخذت من التوراة وصحف إبراهيم))[١]

٢- إن الهندوس أدخلوا تعديلات كثيرة في كتبهم، فمن الممكن أنهم ألحقوا هذه البشارات في كتبهم في العصور الإسلامية إرضاء للمسلمين.

وقد أفادني الأستاذ "سلطان مبين" رحمه الله أستاذ اللغة السنسكريتية بكلية شبلي بمدينة "أعظم كره"، المختص في أديان الهند، في رسالة بعث بها إلي بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٩٧٩م جوابا على سؤال وجهت [كذا] إليه عن البشارات، فقال: ((إنها موضوعة، أدخلها الهندوس في كتبهم في العصور المتأخرة، كما أنهم ألفوا كتبا في العهد الإسلامي وجعلوها مقدسة ومنزلة، مثل كتاب "بهاوشيا بران" وكتاب "كلكي بران"))[٢]..)[٣].

وعلق الأعظمي على هذا الكلام بقوله: (وهذا الرأي له وجه، لأن معظم كتب الهندوس قد تمت ترجمتها إلى اللغة العربية في عهد المأمون بن الرشيد بدار الحكمة في بغداد، ولكن لم أجد أحدا من المؤلفين السابقين أشار إلى وجود البشارات في هذه الكتب. وهنا أخص بالذكر أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة (٤٤٠ هـــ) الذي أتقن اللغة السنسكريتية، وترجم كتابين إلى العربية، وألف كتابه الشهير "تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة" ولم يشر إلى وجود البشارات في كتب الهندوس.

ولذا يجب الحذر والاحتياط من قبول هذه البشارات، وأما موقف علماء الهندوس تجاه هذه البشارات؛ فبعد تتبع أقوالهم تبين لي ما يلي:

١- منهم من طبق هذه البشارات على زعمائهم وأبطالهم.

٢- ومنهم من ينتظر ظهور صاحب هذه البشارات في آخر الزمان.

٣- ومنهم من اعترف بوضعها مثل "دياننند" وأتباعه.

٤- ومنهم من اعترف بصدقها، ولكنه لم يدخل في الإسلام، مثل الدكتور "ويد بركاش" والدكتور "راميش برشاد".

٥- ومنهم من اعترف بصدقها وأحب أن يدخل في الإسلام، ولكنه خاف على نفسه وعلى رئاسته.

وأما من اختار الإسلام وأعلن به فقد تحمل أنواعا من العذاب من الضرب والشتم والتشريد...

---

(١) عبد الحق الوديارتهي القادياني، **ميثاق النبيين**، ١٩٣٦م، ص٩٦، نقلا عن الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٠٦.

(٢) وعلق الأعظمي هنا بقوله: (ويوجد في هذين الكتابين كثير من البشارات).

(٣) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- ومنهم من اختار الصمت، فإني كتبت إلى بعضهم في الهند، وأرسلت إليه بعض بطاقات البشارات، وطلبت منه عرضها على أساتذة الجامعات الهندوسيات [كذا] فرد علي المرسل إليه: بأن الأساتذة الذين عرضت عليهم هذه البطاقات اختاروا الصمت)[١].

ويتابع الأعظمي بقوله: (**ولكن أقول: مهما يكن الأمر فالقضية هي قضية الهندوس أنفسهم، وقد وجدت مجموعة من البشارات في كتبهم، وهم مسئولون عنها، ويجب عليهم أن يبينوا موقفهم تجاهها**)[٢].

وقال أيضا: (**..والكتب الهندوسية تنص على بعثة أربعة وعشرين رسولا، ظهر منهم الجميع إلا الرابع والعشرون، وهم ينتظرون ظهوره، وقد سموا هذا النبي المنتظر بأسماء منها**:

١- "كلكي" يعني: الذي يطهر الناس من الذنوب والآثام.

٢- و "تراشنس" يعني: الإنسان المحمود.

٣- و "جكت كرو" يعني: معلم العالمين.

وقد حددوا فترة ظهور هذا النبي المنتظر بأن يكون في زمن "كل يوج"، وعلى هذا الأساس؛ فالنبي المنتظر يظهر في الفترة الأخيرة وهي "كل يوج" التي بدأت منذ آلاف السنين، وتاريخ العالم يشهد بأنه لم يظهر بعد المسيح عليه الصلاة والسلام من يستحق أن يكون نبيا ومنجيا غير سيدنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهذا الأمر يدعو علماء الهندوس إلى التفكير الجدي في النبي الذي ظهر قبل ألف وأربعمائة سنة. وأما البشارات الواردة في كتب الهندوس فمنها صريحة ومنها مجملة، يحتاج إلى التفسير، مع التأكيد بأن وجود هذه البشارات في كتبهم لا ترفع منزلتها لما سبق أن بينا بأن تاريخها في ظلام)[٣].

الخاتمة:

رأينا في هذا الفصل أن إرسال الرسل هو لجميع البشر، وهو غير مقصور على ما قصه علينا القرآن الكريم، فقد نص القرآن أيضا على أنه لم يحدثنا عن جميع الرسل، بل اختار أفضلهم وأجلهم وأقربهم للعرب عهدا ومكانا، ونص أيضا على أنه لم تخل أمة من نذير منها، يهديها إلى الصراط المستقيم.

ورأينا أيضا أن منكري النبوة والرسالات من الهندوس هم فرقة منهم فقط، قلت أو كثرت، وأنهم غير مجمعين على ذلك، كما يفهم من ظاهر كلام الشهرستاني، بل نص العلماء على أن طائفة من الهندوس تؤمن بالأنبياء والمرسلين، حتى أن بعضهم نص على أسماء أنبياء بأعيانهم.

---

(١) الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٧٠٧- ٧٠٨.
(٢) المرجع السابق، ص٧٠٩.
(٣) المرجع السابق، ص٧١٣- ٧١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والهندوس يؤمنون بالوحي والإلهام، فقد نصوا صراحة على أن كتبهم هي كلام الله تعالى وأنها موحى بها وليست من تأليف البشر، ولكنهم بالغوا قليلا في ذلك، حيث عدوا جميع الشروح البشرية للفيدا موحى بها، كما قال النصارى في كلام بولس وغيره من خلفائه.

وليست الشريعة التي يعظمونها وينسبونها إلى الخالق تعالى إلا نبوة ورسالة صريحة، فهم يعتقدون بأن كريشنا - مثلا - هو الإله المتجسد الذي نزل إلى الأرض ليصلح ما أفسده العصاة، وليقضي على الشر والإلحاد، فهو كعيسى بالنسبة للنصارى، وهما عقيدتان محرفتان عن عقيدة النبوة.

أما مسألة البشارات بنبينا ﷺ في الكتب الهندوسية، فهي مسألة شائكة ومعقدة، حيث اعترف بها بعضهم وأنكرها آخرون من الهندوس والمسلمين، والذين آمنوا بوجودها من الهندوس حاولوا تأويلها وحملها على شخصيات هندية ماضية أو آتية، ولم يعترفوا بأنها تشير إلى خاتم النبيين ﷺ والذين تجرأوا واعتقدوا ذلك اعتنقوا الإسلام وأخفوه خوفا على حياتهم.

وفي ظني، أن وجود هذه البشارات ليس ببعيد، وبخاصة الموجودة في كتاب الفيدا أو أحد أجزائه الأربعة الأولى، والتي يعود تاريخ كتابتها إلى ما يزيد على ٣٠٠٠ عام. وأنا شخصيا أميل إلى الاعتقاد بأنها من الوحي فعلا. والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الخلاص في الهندوسية

المبحث الأول: ملخص اعتقاد الهندوس في الخلاص

المطلب الأول: الكارما
المطلب الثاني: تناسخ الأرواح
المطلب الثالث: الانطلاق

المبحث الثاني: النصوص الهندوسية في إثبات الجنة والنار

المطلب الأول: النصوص التي تذكر الجنة
المطلب الثاني: النصوص التي تذكر جهنم
المطلب الثالث: النصوص التي تذكر البرزخ وأهوال القيامة

المبحث الثالث: الجمع بين النصوص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

الخلاص: هي فكرة قائمة في البوذية والمسيحية، وهي تعني النجاة من الخطيئة ومن الألم. وعند الفلاسفة تعني السعادة الأبدية[١]. وهي تحريف لعقيدة الآخرة في رأيي، فالذي يظهر من كلام دارسي الأديان، أن معظم الأديان لا تخلو من عقيدة العالم الآخر، أو بكلمات أخرى: حياة ما بعد الموت، والجزاء والحساب على فعل الخير والشر في هذه الدنيا[٢]، ولكن تختلف التفاصيل فيما بين هذه الأديان. فنجد أن الفراعنة مثلا كانوا يؤمنون بالبعث بعد الموت[٣]. والديانة الهندوسية، مثل جميع الأديان، تحدثت أيضا عن مسائل متعلقة بهذه الفكرة، فقالوا بأن الإنسان يحاسب على أعماله عن طريق التناسخ وتكرار المولد، فبعد أن يموت الشخص يولد مرة أخرى، ولكن بشكل وصورة مختلفين، بحسب ما اقترفت يداه في حياته السابقة، فقد يولد في صورة أفضل وقد يولد بصورة حيوان أو نبات أو جماد، فهم ينكرون الحياة الأخرى، ويقولون بأن الإنسان يحاسب على أعماله في هذه الدنيا وليس في عالم آخر.

يقول ابن المطهر المقدسي: (لا أعلم أحداً من أهل الأديان يُنكر الجزاء من الثواب والعقاب، وإن اختلفوا في صفته واسمه ومكانه ووقته؛ لأنّ في إبطال الجزاء إبطال الأمر والنهي والوعد والوعيد وإجازة إهمال الخلق وإرسالهم، ويؤدّي ذلك إلى تسفيه الصانع وتجهيله أو الإلحاد والتعطيل، وهذه المسألة مُعلّقة بأصل التوحيد؛ وذلك أنّه لمّا قامت الدلالة على إثبات البارئ جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يجز أنْ يكون شيء من أفعاله غير حكمة وصواب فعلمنا أنّ الحكيم لم يخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ولا سهواً ولم يأمرهم ولم ينههم إلاّ للثواب الذي عرضهم له والعقاب الذي حذرهم وحاشى لله سبحانه وتعالى أن نظنّ به غير الحقّ فالجزاء يوجبه مُوجب التوحيد وحجّته حجته. ثم لطباق أكثر أهل الأرض على الإقرار به من أعظم الحجج... فأما القول في أينيّة الجزاء وماهيّته أجنّة ونار أم غيرهما، فشيء يتبع فيه الأخيار، ولو شاء الله يجزئ بغيرهما كما شاء، ولكن المعلوم من الثواب النعمة والاغتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة أعظم من دوام البقاء ولا عقوبة أبلغ من النار التي هي آكلة الأضداد)[٤].

وسأستعرض في هذا الفصل بعجالة اعتقاد الهندوس المشهور والمعروف في هذه الناحية، والذي يخالف اعتقاد المسلمين وأهل الحق.

وبعد ذلك سأحاول البحث عن الوجه الآخر لهذه المسألة عندهم، وهل يوجد في نصوصهم ما يوافق اعتقاد أهل الحق فيها.

---

(١) مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، ص٣١٦.
(٢) انظر: ممدوح الزوبي، **هل كان زرادشت نبيا؟**، ص٥٦، ٩٣.
(٣) انظر: محمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان (الديانات القديمة)**، ص١٥- ١٧.
(٤) المقدسي، **البدء والتاريخ**، م١، ص٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

ملخص اعتقاد الهندوس في الخلاص

في البداية سوف أستعرض العقيدة المعروفة والمتداولة، والتي يعتقدها الهندوس الحاليون، في مسألة الحساب والثواب والعقاب، وقولهم بأن الحساب يحصل في الدنيا عن طريق التناسخ وتكرار المولد، وإنكارهم للحياة الأخرى والقيامة التي يؤمن بها المسلمون.

يقول علي زيعور: (لا يؤمن الهندي بمعتقدات أخروية، ولا يطمع بالفوز بالحياة الأبدية. لا يرتبط مصيره بإرادة الله، بل بأعمال وأفكار الشخص عينه. ليس الله مخلصا، ولا واهبا حياة أبدية في فردوس من غير هذا العالم. فالإنسان يخلص نفسه، في هذا العالم، أو على الأدق، من هذا العالم. لا طمعاً في حياة مديدة فردوسية..)[١].

هذا هو المشهور من عقيدة الهندوس في الحياة الآخرة، وهو الذي يكاد يتفق عليه جميع من كتب عن الأديان، ولكن السؤال هو: هل هذا الكلام مسلم به؟ وهل يلزمنا الأخذ به دون دراسة وبحث وتمحيص؟

في رأيي أن كل نتيجة توصل إليها باحث أو عالم في أي مسألة من مسائل العلم، لا تخرج عن دائرة الظن أبدا، وهي خاضعة للقبول والرفض، طالما أنها لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية المسلمة والقطعية، فلا بد من دراسة كل نتيجة ومحاولة التوصل إلى حقيقتها.

فهل يعتقد الهندوس - أو اعتقدوا في مرحلة ما من مراحلهم - باليوم الآخر والجنة والنار كما نؤمن بها؟ هذا ما سأحاول التوصل إليه بعد استعراض سريع لعقيدة الهندوس في المسألة كما عرفناها وقال بها أغلب الباحثين وتناقلها اللاحق عن السابق.

أما ما يتفق عليه الجميع فهو أن الهندوس يؤمنون بأن الإنسان إذا مات فني جسده وانتقلت روحه إلى مخلوق آخر، إما إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد، وهو ما يطلق عليه تناسخ الأرواح، ويكون انتقاله هذا بناء على أعماله ومعاصيه، فيظل في الدنيا متنقلا بين الأجساد والكائنات، ما دام يحمل أوزارا وآثاما، وهذا بسبب الكارما، لكي يحاسب على أعماله.

فإذا أراد أن يخرج من هذا العالم وتعود روحه إلى الإله براهما (أصلها ومصدرها) وتتحد فيه، فإن عليه أن يقوم بأعمال شاقة كثيرة، وتعذيب لجسده حتى تتطهر روحه تماما، فتنطلق عند موته إلى بارئها براهما وتتحد به، فتتخلص هذه الروح من أعباء الدنيا والجسد وتتحرر، وهذا ما يطلق عليه (الانطلاق). وسيأتي تفصيل هذه المصطلحات فيما يأتي.

---

(١) علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص٩٦. وانظر: قحطان الدوري، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ص٤٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الكارما

وهو قانون الجزاء والعقاب عندهم، وهي العقيدة التي تقابل عند المسلمين عقيدة البعث والحساب، والثواب والعقاب في الحياة الآخرة في نظري، ولكن اختلفت الصورة وطريقة الحساب بينهما.

ويتلخص هذا القانون في أنهم يعتقدون بأن الإنسان لا بد أن يحاسب ويجازى على أعماله الصالحة والطالحة، وأنه يجب أن يحاسب عليها بالثواب والعقاب طبقا لناموس العدالة الصارم، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وحيث لا يتم دائما جزاء الإنسان في الحياة الحاضرة، فقد قالوا بتناسخ الأرواح ليقع الجزاء على الروح في الحياة القادمة، وبذلك يتم العدل الإلهي. ولكن لا يفهم التناسخ إلا بهذه القاعدة - الكارما - حيث تدل هذه الكلمة على سائر الأعمال، خيرها وشرها، وما تحدثه من تأثيرات وسلوكات داخل الفرد، وما يفعله الفرد أو يفكر في فعله يجازى عليه إن خيرا، أو شرا، فكل إنسان يجني ما يفعل ويجازى على ما يفعل، فكل شيء من فكر أو فعل يجازى المرء عليه إن خيرا فهو الثواب وإن شرا فهو العقاب، والتناسخ من قانون العدل الذي يثاب الإنسان الذي لم يلق جزاءه في الدنيا به، أو يعاقب من لم يلق جزاء شره في الدنيا..[١]

(١) انظر: محمد العمري، محمد نبيل طاهر، ومحمد أحمد الحاج، **مقارنة أديان**، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ١٩٩٨م، ص٨٩. وأحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٥٩. ومحمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

تناسخ الأرواح

وتناسخ الأرواح، أو تكرار المولد، أو تجوال الروح، يعني رجوع الروح بعد خروجها من جسم ما إلى جسم آخر، وسببه مفارقة الروح للجسد ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد، أو لأنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة أو آثام كثيرة نتيجة علاقاتها بالآخرين، وقد تكون عودتها في جسد إنسان أو حيوان، وتستمر الروح بالانتقال من حياة إلى أخرى حتى يتم حسابها، وتأخذ جزاءها على أعمالها وتطهر من آثامها، وأخيرا عندما توفى ما لها وما عليها تمتزج بالبراهما أو الروح الأسمى، وتنجو من تكرار المولد، على أن الروح في عالمها الجديد لا تذكر من عالمها السابق شيئا.

فالتناسخ إذا هو عودة الروح إلى جسم آخر لأنها لم تشبع سائر أعمالها أو لم تؤد واجباتها، ولم تتمتع بثمرة النشاطات التي نفذتها في الحياة الأولى، فمتى أشبعت كل الرغبات وأدت جميع ما عليها بلا آثام عبر التجسدات المتكررة، تنجو النفس وتتحرر بالانطلاق أو الانعتاق.

وهذا الكلام كله يقتضي القول بأن الروح عندهم خالدة لا تفنى.

وللتناسخ منزلة أساسية في الفكر الهندي، بل لعل أهم ما يميز الفكر الهندي والشخصية الهندية إلى حد بعيد هو عقيدة التناسخ(١).

يقول البيروني: (كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين والتثليث علامة النصرانية والإسبات علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها)(٢).

يقول علي وافي: (ويعتقد البرهميون في الجنة والنار، ولكن في صورة تختلف اختلافا كبيرا عن عقيدة المسلمين. ويشرح البيروني عقيدة البرهميين في الجنة والنار فيقول..)(٣).

أما كلام البيروني، فهذا هو منقولا من كتابه مباشرة، يقول: (ومنهم من يرى الواسطة التي للاكتساب هي الإنسانية، والتردد فيها بالمكافاة القاصرة عن الثواب والعقاب، ثم يرى الجنة عالية عليها للنعيم المستوجب مدة على حسن الصنيعة، والتردد في النبات والحيوان سافلا عنها للعذاب والعقاب المستأهل مدة على سوء الصنيعة، ولا يرى جهنم إلا هذا الانحطاط عن البشرية.

---

(١) انظر: محمد العمري، ومحمد الحاج، **مقارنة أديان**، ص٨٩– ٩٠. ومحمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان (الأديان القديمة)**، ص٣٨. وأحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٦١. وعلي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص١٦٤. ومحمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٢٠- ٦٢٩. ونبيه القاضي، **التقمص**، ط١، دار كيوان، دمشق، ٢٠٠٦م.

(٢) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٣٨.

(٣) علي وافي، **الأسفار المقدسة**، ص١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجزاء إنما يكون بحسب المقصود، فيناله على مراتب، إما في قالبه الذي هو فيه، وإما في الذي ينتقل إليه، وإما بعد خروجه عن قالبه وقبل أن يحصل في غيره)[١].

ويعلق البيروني قائلا: (وهذا موضع انقلابهم عن البحث النظري إلى الخبر المللي من أمر معدني الثواب والعقاب، والكون فيهما غير متجسم ببدن، والعود بعد استيفاء أجر العمل إلى التجسد والتأنس ليستعد لما هو له، ولهذا لم يعد صاحب كتاب "سانك" ثواب الجنة خيرا بسبب الانقضاء وعدم التأبد)[٢].

وينقل البيروني من كتبهم قائلا: (ففي كتاب "بشن بران": إن "ميتري" سأل "براشر" عن الغرض في جهنم والعقاب به؟ فأجابه بأن ذلك لتمييز الخير من الشر، والعلم من الجهل، وإظهار العدل، وما كل مذنب يدخل جهنم، فإن منهم من ينجو بتقديم التوبة والكفارات... ومنهم من يتردد في النبات وخشاش الطير ومرذول الهوام وقذرها من القمل والدود إلى مدة الاستحقاق.

وفي كتاب "سانك": أما من استحق الاعتلاء والثواب فإنه يصير كأحد الملائكة مخالطا للمجامع الروحانية، غير محجوب عن التصرف في السماوات والكون مع أهلها، أو كأحد أجناس الروحانيين الثمانية. وأما من استحق السفول بالأوزار والآثام؛ فإنه يصير حيوانا أو نباتا، ويتردد إلى أن يستحق ثوابا، فينجو من الشدة أو يعقل ذاته فيخلي مركبه ويتخلص.

وقال بعض من مال إلى التناسخ من المتكلمين: إنه على أربع مراتب، هي النسخ: وهو التوالد بين الناس، لأنه ينسخ من شخص إلى آخر، وضده المسخ: ويخص الناس بأن يمسخوا قردة وخنازير وفيلة، والرسخ كالنبات، وهو أشد من النسخ لأنه يرسخ ويبقى على الأيام ويدوم كالجبال، وضده الفسخ، وهو للنبات المقطوف والمذبوحات، لأنها تتلاشى ولا تعقب)[٣].

وبعد أن نقل وافي كلام البيروني السابق قال: (ويذكر البيروني مذاهب أخرى للبرهميين في الجنة والنار، منها ما يراه بعضهم من أن جهنم ليست شيئا آخر غير الانحطاط عن البشرية وتردد روح الخاطئ في الحيوان والنبات)[٤].

---

(١) البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص٤٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق، ص٤٨.
(٤) المرجع السابق، ص١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

الانطلاق

ويسميه بعضهم "النرفانا" والمقصود منه أن الهندوسي الطائع الزاهد المبتعد عن المعاصي والمترفع عن سفاسف الأمور، كلما ازداد طاعة وتقربا إلى الله، صار أقرب إليه تعالى، وأبعد عن الصفات البشرية الدنية الطينية، وأقرب إلى الصفات الإلهية النورانية العلية، وينتهي مشواره الطويل بعد تكرار مولده مرات عديدة من شخص حسن إلى أحسن، حتى يصل درجة من الرقي والشفافية والطهارة تؤهله إلى التخلص من الجسد البشري الفاني إلى الأبد، وإلى الانخلاع الكامل من قيود الحياة الدنيا والخروج منها والتوحد مع الله تعالى والفناء فيه سبحانه، فلا يعود إلى الدنيا، ويكون بهذا قد وصل إلى قمة السعادة والنعيم الأخروي المرجو، وأي نعيم أكبر من الفناء في الله تعالى، مع التحفظ على بعض معاني هذا الاصطلاح الواسع المطاط.

يقول علي وافي بأن العقيدة البرهمية في أسفار الفيدا وقوانين مانو تقوم على دعائم ثلاث منها: **تناسخ الكائنات وتجوال الأرواح (الكارما)** ومعناه أن أرواح الكائنات التي صدرت عن الموجود بذاته - وهو الله - متجولة متناسخة، ينتقل بعضها إلى مواطن بعض ويتقمص بعضها أجسام بعض، وهذا هو ما يعبر عنه بالتناسخ أو تجوال الروح. فهم يعتقدون أن الروح جائلة متنقلة في أطوار شتى من الوجود، تنتقل من جسد إلى جسد، سواء أكان من الإنسان أم من الحيوان، في طريقها إلى هدفها الأخير ويعتقدون أن كل ما يصيب الكائن في أي مرحلة من مراحل تناسخه إنما هو نتيجة لمقدمات وأعمال حدثت في مرحلة ما من مراحل وجوده؛ فما يصيب الإنسان مثلا من سعادة وآلام إنما يكون جزاء أو نتيجة لأعمال صالحة أو شريرة عملها في وجوده الحالي، أو في وجود سابق حينما كانت روحه متقمصة كائنا آخر، فكل عمل يأتيه الإنسان له ثمرته ونتيجته حتما، وهذه الثمرة لا بد أن تحدث في دور من أدوار الميلاد المتكررة التي تنتقل فيها الروح. فإن لم تحدث في الدور الذي حدث فيه العمل، فهي لا بد حادثة في دور من الأدوار التالية له.

ومنها: **رجوع الروح إلى مصدرها الأول وهو الله**: تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن **تعود في نهاية مطافها** إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه وهو الله، والإنسان أحد هذه الكائنات، فيعرض له ما يعرض لها، وروحه قطرة من نور الله انفصلت عن الله إلى أجل محدود واتصلت به ثم تتصل بعده بكائن آخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح، **ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء الأجل**، كالقطرة من الماء العذب، تصعد بخارا، وترقى في السماء، وتنتقل من جهة إلى جهة، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك، ثم تسقط على قمم الجبال، وتجري في الأنهار، ثم ترجع في نهاية مطافها إلى البحر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي انفصلت عنه في أول الأمر، أو كالهواء الحبيس في قدح مقلوب - حسب تشبيه أسفارهم نفسها - يظل منفصلا عن الهواء الخارجي وإن كان منه، حتى يتحطم القدح، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان[١].

(فمن لم يرغب في شيء ولن يرغب في شيء وتحرر من رق الأهواء، واطمأنت نفسه، فإنه لا يعاد إلى حواسه، بل تنطلق روحه لتتحد بالبراهما).[٢]

وهناك طرق محددة تقود إلى التحرر والاندماج بالروح الأسمى منها:

١- طريقة التأمل القائمة على التركيز والنظر الداخلي بحيث يدرك المتأمل داخل نفسه الذات الإلهية.

٢- وهناك طريقة اليوجا، التي تقوم على أساس من التذكر والتفكر والصمت، وتتلخص بما يلي:

أ- الاتصال والوحدة مع الإله.

ب- العمل على التحرر والانعتاق بالعبادة الخالصة وفعل الخيرات.

ج- فعل المثل العليا دون انتظار شكر من الناس.

د- العيش في زهد وخشوع وتبتل.

وتقوم اليوغا على توقيف إرادي لنشاطات العقل وتوقيف الانطباعات القادمة من العالم الحسي الخارجي وتوقف الانطباعات القادمة من العالم الداخلي للإنسان من تخيل ورغبات وعواطف وانفعالات..

وبهذه الطرق وغيرها يتطهر الإنسان من آثامه، ويتخلص من مشاغل الحياة الدنيا، ومن كل الآلام والبلايا والمصائب، ويندفع إلى أعلى ليحل فيه الروح المقدس الذي يشعر من خلاله بسمو روحه وترفعها على الشعور بالمصائب والآلام[٣].

يقول أديب صعب: (ورد ذكر اليوجا للمرة الأولى في الأوبانيشاد، ثم عرفت تطورا هائلا على يد باتانجالي في القرن الثاني للميلاد. وتقوم طريقته على خطوات، أولها قتل شهوات النفس، ثم المثابرة على النظافة الجسدية والهدوء والدرس والصلاة، والجلوس في وضع معين مع التنفس المنتظم، وإشاحة النظر عن المحسوسات والتركيز على فكرة واحدة إلى حد الاقتراب من اللاوعي، بعد ذلك يكون العقل قد فرغ من كل محتوى، فينجذب إلى المطلق ويتحد معه. هكذا تكون نتيجة اليوغا تحرير النفس من العالم الخارجي والسببية الطبيعية والقيود الأرضية. والعالم الظاهر وهم، ومعرفته جهل. والمعرفة الصحيحة هي معرفة الجوهر أو المطلق، وهذه لا تتم إلا عندما يكتشف المرء أن الأفراد، من نفوس وأشياء، هي

---

(١) انظر: علي وافي، **الأسفار المقدسة**، ص١٨٥.

(٢) مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة**، م٢، ص٧٣٨.

(٣) انظر: محمد العمري، ومحمد الحاج، **مقارنة أديان**، ص٩٠. وأحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ص٦٤. ومحمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجليات للمطلق. وهناك ممارسون لليوغا قالوا إن الخطوة الأخيرة تكسبهم قوة خارقة، مثل الارتفاع عن الأرض، وتجاوز حدود الزمان والمكان، والوجود في أمكنة عدة في وقت واحد)[١].

والهدف من كل هذا الكلام ومن كل هذه التعاليم هو أن يكون الإنسان صالحا، وحتى لو لم يكن هناك يوم آخر وحساب، فعلى العاقل أن يكون محترما مخلصا خلوقا، فقد جاء في بعض النصوص الهندوسية: ((**حتى لو قالوا: لا يوجد عالم أعلى**، اجعل رصيدك عملا صالحا))[٢].

وهذا يعني، أنك حتى لو كنت ملحدا منكرا للآخرة والحساب، فكن امرأ طيبا خلوقا.

(١) أديب صعب، **الأديان الحية**، ص٣٧. وانظر: جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، ص٩٦ وما بعدها. وللإطلاع على تفصيل روحي بديع لليوجا، انظر: هوستن سميث، **أديان العالم**، ط١، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، ٢٠٠٥م، ص٥٤- ٩٠.

(٢) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

النصوص الهندوسية في إثبات البرزخ والجنة والنار

وجدت نصوصا في الهندوسية تدل على اعتقادهم بالحياة الآخرة وبالبرزخ وبالجنة وبالنار، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن البراهمة يعتقدون بذلك ولا ينكرونه.

يقول ابن المطهر: (**وعامة أهل الهند يقرون بالجزاء** والذين يهلكون أنفسهم بأنواع العذاب من القتل والحرق والغرق يزعمون أن جواري الجنة يختطفنه قبل زهوق نفسه **وإنما أثبت هذا لأبين لك إقرارهم بالجنة** في كفرهم وجهلهم)[١]. ويقول: (والهند على كثرة اختلافها يجمعها نحلتان؛ السمنية المعطلة، والبراهمة الموحدة، **وكلهم مقرون بالجزاء**..)[٢].

وجاء في كتاب "عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة" أن الأجساد تحرق بعد الموت، لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عامودي لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصا تاما.

وعندما تتخلص الروح من الجسد بالحرق وتصعد إلى الأعلى، يكون أمامها ثلاثة عوالم:

١- إما العالم الأعلى: عالم الملائكة، الذي تصعده الروح إن كانت تستحق الصعود إليه بعملها الصالح، وتسمو إلى الملكوت الأعلى.

٢- وإما عالم الناس: وهو العالم الحالي لبني البشر ومقر الآدميين بالتقمص، فالروح تعود إليه للحلول في جسم إنساني آخر، لتكتسب عمل الخير ولتتجنب عمل الشر.

٣- وإما عالم جهنم: وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب. وليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم. والبعث في العالم الآخر عندهم إنما هو للأرواح لا للأجساد، فهي إما في الملكوت الأعلى وإما في النار[٣].

ويقول البيروني تحت عنوان: "ذكر المجامع ومواضع الجزاء من الجنة وجهنم": (المجمع يسمى "لوك" والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة، فيسمى العالم الأعلى "سفر لوك" وهو الجنة، والعالم الأسفل "ناكلوك" أي مجمع الحيات، وهو جهنم، ويسمى أيضا "نزلوك" وربما سموه "باتال" أي أسفل الأرضين، وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى "مات لوك" و "مانش لوك" أي مجمع الناس، **وهو للاكتساب، والأعلى للثواب، والأسفل للعقاب**. فيهما يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة،

---

(١) المقدسي، **البدء والتاريخ**، م١، ص١٠٠.
(٢) المرجع السابق، م١، ص١٠٦.
(٣) انظر: فوزي محمد حميد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ص١٨٦- ١٨٧. ومانع الجهني، **الموسوعة الميسرة**، م٢، ص٧٣٨- ٧٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بحسب مدة العمل، والكون في كل واحد منهما للروح وحدها مجردة عن البدن، وللقاصر عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم "لوك" آخر يسمى "ترجكلوك" وهو النبات والحيوان غير الناطق، يتردد الروح في أشخاصها بالتناسخ إلى أن تنتقل إلى الإنس، على تدريج من أدون مراتب النامية إلى عليا مراتب الحساسة. وكونها فيه على أحد وجهين: إما لقصور مقدار المكافاة عن محلي الثواب والعقاب، **وإما لرجوعها من جهنم**؛ فعندهم، أن **العائد إلى الدنيا** متأنس في أول حالته، **والعائد إليها من جهنم** متردد في النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان.

وهم من جهة الأخبار يكثرون عدد "جهنمات" وصفاتها وأساميها، ويفردون لكل ذنب منها محلا، وقيل في "بشن[١] بران": إنها ثمانية وثمانون ألفا)[٢].

فنجد في هذا النص أن بعض هذه الجهنمات عبارة عن تعذيب الشخص عبر تردده في الحيوان والنبات والجماد، وهذا هو التناسخ، ولكن بعضها الآخر ليس إلا مكانا جهنميا حقيقيا يوجد في عالم آخر غير هذه الحياة الدنيا.

وقد نقلت فيما سبق قول البيروني بأن "ميتري" سأل "براشر" عن الغرض من جهنم والعقاب به؟ فأجابه بأن ذلك لتمييز الخير من الشر، والعلم من الجهل، وإظهار العدل، وما كل مذنب يدخل جهنم..[٣]. فهو ينص فيه على اعتقادهم بوجود جهنم وعذابها.

يقول شارح البهغفض غيطا: (تعني "نيرفان" نهاية الحياة المادية، وتبعا للفلسفة البوذية، بعد تجاوز المرحلة المادية يوجد العدم، لكن تعاليم نشيد المولى مغايرة لتلك الفلسفة، إذ ترى أن الحياة الفعلية تبدأ بتجاوز المرحلة المادية..)[٤].

ويقول أيضا: (تصرح الآية الفيداوية كما يلي: ((يشغل المولى الكائن الحي بأعمال صالحة حتى يتسنى له الترقي، كما يشغله بأعمال طالحة **حتى يذهب إلى الجحيم** - يعتمد الكائن الحي كليا على المولى، في شقائه وسعادته. وبإرادة المولى يمكنه **دخول الجنة أو النار**..))..)[٥].

وجاء في بعض الكتب الهندوسية المقدسة: ((إن السيطرة على النفس تقود الإنسان إلى **مقر الخالدين**، أما الغضب فيقذف به في **غياهب الجحيم**))[٦].

---

(١) "بشن" هو ذاته "فيشنو" الإله الحافظ، وهذه هي ترجمة البيروني للاسم السنسكريتي.
(٢) البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، ص٤٤- ٤٥.
(٣) المرجع السابق، ص٤٨.
(٤) **الغيطا**، ص١٦٢.
(٥) المرجع السابق، ص٢٧٦- ٢٧٧.
(٦) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

النصوص التي تذكر البرزخ وأهوال القيامة

والمراد بالبرزخ هو الحال الذي يكون عليه الإنسان بين الحياة الدنيا والقيامة، بين موته في الدنيا وبعثه في الآخرة من بين الأموات، وهي حياة خاصة مختلفة عما يعرفه البشر، وهي حالة غيبية لا نعرف كثيرا عن تفاصيلها غير ما ورد في الكتاب والسنة عن بعض خصائصها وأحوالها.

والبرزخ في اللغة هو الحاجز ما بين كل شيئين، وفي الآية: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾[١] أي: حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر.

والبرزخ في الاصطلاح هو الحاجز بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[٢].[٣]

وهناك نصوص عامة تتحدث عن القبر وحياة البرزخ مثل قوله:

١- ((إن الأهل؛ ليتركون جسم قريبهم، ملقى على الأرض، كجسر أو كهضبة. ويفرون منه؛ مكفهري الوجوه. **ولا يتبعه؛ إلا عمله الصالح**))[٤].

هذا النص يشبه قول النبي ﷺ: (يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله)[٥].

٢- ((فعليه إذن: أن يسعى إلى اكتساب صالح الأعمال، باستمرار؛ لتكون له رفيقا بعد الموت. **لأنه يستطيع أن يقطع بالعمل الصالح، كل ظلام؛ لا يمكنه قطعه بغيرها**))[٦].

وهذا القول يشبه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣﴾[٧]. وقوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٩- ٢٠.
(٢) سورة المؤمنون، آية: ١٠٠.
(٣) انظر: قحطان الدوري، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ص٤٧٤.
(٤) **منو سمرتي**، ص٢٦١.
(٥) البخاري، **الصحيح**، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، م٥، ص٢٣٨٨، برقم: ٦١٤٩. ومسلم، **الصحيح**، كتاب الزهد والرقائق، م٤، ص٢٢٧٣، برقم: ٢٩٦٠.
(٦) **منو سمرتي**، ص٢٦١.
(٧) سورة الحديد، آية: ١٢- ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾﴾[١].

وقوله عليه الصلاة والسلام: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)[٢].

وعن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال: (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف)[٣] وقال ﷺ: (من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة)[٤].

وهناك نصوص تتحدث عن أحوال وأهوال القيامة شبيهة بما جاء في نصوص الإسلام، مثل قوله:

١- ((**قد يتخلى عن رفقة المرء: أبوه وأمه وزوجته وابنه وجميع الأقرباء. ولا تبقى معه؛ إلا الصالحات**))[٥].

وهذا النص يشبه قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[٦].

٢- ((كل مخلوق يولد وحيدا، ويموت كذلك. وهو - وحده - يتمتع بجزاء صالح أعماله، أو يقاسي عقاب سيئاته))[٧].

وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾﴾[٨] وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾﴾[٩].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٨.
(٢) السجستاني، **السنن**، كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، م١، ص٢٠٩، برقم: ٥٦١. والترمذي، **السنن**، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، م١، ص٤٣٥، برقم: ٢٢٣.
(٣) ابن حنبل، **المسند**، م٢، ص١٦٩، برقم: ٦٥٧٦.
(٤) ابن حنبل، **المسند**، م٢، ص٣٤١، برقم: ٨٤٧٥.
(٥) **منو سمرتي**، ص٢٦٠.
(٦) سورة عبس، آية: ٣٣- ٣٧.
(٧) **منو سمرتي**، ص٢٦٠- ٢٦١.
(٨) سورة مريم، آية: ٧٧- ٨٠.
(٩) سورة مريم، آية: ٩٣- ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول شارح الغيطا: (.. بكلام آخر، إن المولى ليس بمعدوم الشخصية، بل له عيناه ورجلاه ويداه... لكن يديه ورجليه وعينيه وحواسه غير مدنسة بالطبيعة المادية... وبقدر ما يمكن لنا أن نفهم من الأدب الفيداوي فإن المولى الأسمى تجاوزي على الدوام. رغم أننا لا نرى رأسه ووجهه ويديه ورجليه لكنه يتمتع بكل هذا، **وعندما نسمو إلى المقام التجاوزي يصبح بمقدورنا أن نرى صورة المولى**. إننا لا نستطيع أن نرى صورة المولى نتيجة حواسنا المدنسة ماديا..)[١].

(١) **الغيطا**، ص٦٢٣- ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

النصوص التي تذكر الجنة

جاء في كتاب الكيتا:

١ - ((يرتفع الخاضعون لظاهرة الصلاح تدريجيا **إلى الجنات**. بينما يعيش الخاضعون لظاهرة الانفعال على الكواكب الأرضية. أما الخاضعون لظاهرة الجهل فإنهم **ينحدرون إلى عوالم الأسافل (جهنم)**..))[١].

يقول الشارح عند هذه الفقرة: (هناك نظام كوكبي علوي يؤلف **كواكب الجنات** وكل أهله هم من النفوس المحلقة. يمكن نقل الكائن الحي إلى مختلف الكواكب المتواجدة ضمن هذا النظام حسب درجة تنمية ظاهرة الصلاح عنده. إن أعلى كوكب هو "سطيا لوك" أو "برهم لوك" حيث يقيم رئيس هذا الكون، المولى "برهما"..)[٢].

وعن طبيعة كوكب الإله الأسمى يقول أيضا: (يوصف الكوكب الأسمى في الأدب الفيداوي بأنه يتعدى رؤيتنا المادية، ويعتبر الهدف الأقصى. إن النفوس العظيمة "مهاطما" تستلم الرسالات التجاوزية من المكرسين المحققين وعليه فإنهم يطورون مستوى خدمتهم المكرسة في وعي كريشنا بصورة تدريجية وبذلك يستغرقون في الخدمة التجاوزية لدرجة لا يعودون يرغبون معها بالارتقاء إلى أي كوكب من الكواكب المادية، ولا حتى يريدون الانتقال إلى أي كوكب روحي، بل جل ما يريدون هو عشرة كريشنا لا غير..)[٣]. ويقول عنه أيضا: (في ذاك المقام المطلق، لا توجد تحولات، إذ إن كل شيء قديم، لا يفنى وكامل المعرفة..)[٤].

ويوصف أيضا على النحو التالي: (إن المقام الأسمى للإله الشخصي الأسمى كريشنا يوصف في "برهم - سمهيطا" بصفة "شينطامني - ضهم" المكان حيث تتحقق كل الرغبات. إن المقام الأسمى للمولى كريشنا والمسمى "غولوك فرينضافن" يزخر بقصور مصنوعة من حجر محك الفلاسفة. وهناك أشجار تسمى بـــ "أشجار الرغبة" التي تمد بأي نوع من المأكولات عند الطلب، وهناك أبقار تسمى بأبقار "سوربهي" وهي تمد بكميات لا تحد من الحليب. في هذا المقام يقوم على خدمة المولى مئات آلاف من ربات الحظ "لكشمي"... يذكر المولى كريشنا لمحة بسيطة في النشيد عن مقامه الشخصي "غولوك فرينضافن" الذي يعتبر أسمى كواكب الملكوت الروحي. لكن يوجد وصف مفصل في "برهم - سمهيطا" ويرد في الأدب الفيداوي أن **لا شيء يعلو على مقام المولى الأسمى، وأن هذا المقام هو محط الرحال. عندما يصل إليه**

---

(١) **الغيطا**، ص٦٦٤.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق، ص٤١٥.
(٤) المرجع السابق، ص٧٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحد فإنه لن يعود ثانية قط إلى هذا العالم المادي... على هذا الكوكب الأرضي، فإن بلدة "فرينضافن" التي تبعد حوالي تسعين ميلا عن مدينة دلهي، هي نسخة مطابقة لذلك المقام الأسمى "غولوك فرينضافن" الموجود في السماء الروحية..))[١].

وهذا يشبه قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: ((فيأتوني **فأستأذن على ربي في داره** فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة وسمعته أيضا يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - **ثم أعود فأستأذن على ربي في داره** فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود الثالثة **فأستأذن على ربي في داره** فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن))[٢].

قال ابن حجر: (وقوله: "فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه" قال الخطابي: هذا يوهم المكان والله منزه عن ذلك، وإنما معناه في داره الذي اتخذها لأوليائه وهي الجنة وهي دار السلام، وأضيفت إليه إضافة تشريف مثل بيت الله وحرم الله..)[٣].

٢- ((إن العبادة القلبية ترفع البرهمن إلى **عليين**، سواء أقام بغيرها من العبادات والطقوس المذكورة في الويد أم لم يقم، والبرهمن هو من كان صديقا لكل المخلوقات))[٤].

والعبادة القلبية في الإسلام تعني توحيد الله وخوفه ومحبته، وهذه الفقرة تشبه قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة). قال: ألا أبشر الناس؟ قال: (لا إني أخاف أن يتكلوا)[١].

---

(١) **الغيطا**، ص٤٢٠.

(٢) البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة} سورة القيامة، آية: ٢٢- ٢٣، م٦، ص٢٧٠٨، برقم: ٧٠٠٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، م١٣، ص٥٢٥. وانظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي (ت ٣٨٨ هـ)، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، ط١، ٤م، (تحقيق ودراسة: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود)، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، دار إحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، م٤، ص٢٣٥٥- ٢٣٥٦.

(٤) **منو سمرتي**، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ((ليس على المرأة أن تقوم، مستقلة عن زوجها؛ بعمل تقدمة. ولا أن تنذر نذرا. ولا أن تصوم. لأن المرأة المطيعة لزوجها؛ **تنال الفردوس الأعلى**، بإطاعتها فقط))[٢].

٤- ((إن المرأة التي تحفظ نفسها وفكرها ولسانها وأفعالها، ولا تستضعف زوجها قط، **تسكن معه بعد الموت في الجنان**، وتسمى الزوجة الصالحة))[٣].

٥- ((إن المرأة التي تحفظ نفسها وفكرها ولسانها وأفعالها، تتمتع بشهرة حسنة، في هذه الحياة، **وتنعم بجوار زوجها في الحياة الثانية**))[٤].

وجوار الزوج هذا لا يتصور في تناسخ الأرواح، بل يتصور فقط في وجودهما معا في مكان واحد كالجنة.

وهذه النصوص تشبه قول النبي ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت)[٥].

٦- ((إن برهماجي قد أعد للشاهد الصادق **أعالي الفردوس**، بعد موته، وشهرة واسعة في هذه الحياة))[٦].

٧- ((إن الملك الذي يقوم بكل هذه الأعمال القانونية التي ذكرت ويقضي على الآثام في بلاده **ينال الفردوس الأعلى**))[٧].

٨- ((إن الروح الذي يعمل الصالحات دوما ويرتكب شيئا قليلا من السيئات **ينال النعيم في الملكوت الأعلى** متلبسا بهذه العناصر نفسها.. وأما إذا كان يرتكب السيئات في غالب الأحيان ويأتي بقليل من الحسنات فإنه ينال عقابه بعد الموت من يم))[٨].

٩- ((إن الأعمال المذكورة في الويد قسمان: قسم يحصل به السرور والحياة الدنيوية المستمرة ويسمى بربرت. وقسم يكفل الفلاح الأعلى وبه تختم الحياة الدنيوية ويسمى نيبرت.. إن الأعمال التي تكفل الحصول على المنى في هذه الحياة وفي الحياة الثانية تسمى بربرت، وبها تمتد سلسلة الحياة، وأما الأعمال

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، م١، ص٦٠، برقم: ١٢٩.
(٢) **منو سمرتي**، ص٣١٢.
(٣) المرجع السابق، ص٣١٥.
(٤) المرجع السابق، ص٣١٥.
(٥) ابن حنبل، **المسند**، م١، ص١٩١، برقم: ١٦٦١. وابن حبان، **الصحيح**، كتاب النكاح، باب معاشرة الزوجين، م٩، ص٤٧١، برقم: ٤١٦٣.
(٦) **منو سمرتي**، ص٤١٧.
(٧) المرجع السابق، ص٥٠٠.
(٨) المرجع السابق، ص٦٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي هي نتيجة العلم الصحيح تسمى نيبرت وبها تنقطع سلسلة هذه الحياة.. **ينال درجة الآلهة** من يقوم بأعمال بربرت وأما من يقوم بأعمال نيبرت فإنه يتغلب على العناصر))[١].

وقد علق المترجم على العبارة الأخيرة بقوله: (أي لا تستطيع العناصر بعد ذلك أن تكيفه بهذه الصورة الحيوانية فلا يرجع إلى الدنيا بعد موته بل يندمج في الله)[٢].

وقوله: ينال درجة الآلهة، يريد به الملائكة، كما أثبتنا في الفصل الأول من هذه الرسالة، فليس هناك إلا إله واحد فقط، وجميع الآلهة الآخرين إنما هم ملائكة لا أكثر.

١٠- ((يا "بارطها"، سعداء هم كشطريا الذي تؤاتيهم مثل فرص القتال هذه، بدون ابتغائها، فاتحة أمامهم **أبواب الجنات على مصراعيها**))[٣].

وهذا النص، بالإضافة إلى إقراره بالجنة لفظا، فإنه يوافق القرآن الكريم، الذي ينص على تعدد أبواب الجنة، يقول تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[٥].

إذا، فهي جنة مادية حسية، أي مكان ملموس واضح المعالم، وهي ذات أبواب، يدخل الناس إليها من خلال هذه الأبواب، فهي ليست جنة معنوية ترمز إلى السعادة والنعيم فقط، حتى نستطيع تأويلها بالحياة الأخرى التي تنتقل إليها النفس أو الروح عن طريق التناسخ وتكرار الولادة.

١١- ((يا ابن "كونطي"، إما أن تقتل في ساحة الوغى **وتدخل الجنات**، أو تنتصر وتتمتع بالمملكة الأرضية، لذا، انهض وقاتل بكل عزم))[٦].

وجلي من هذا النص، أن الجنة هي مكان مغاير لهذه الأرض، حيث خير المقاتل أرجون بين الفوز بالجنة، وبين الانتصار الأرضي الملموس، فلو كان موته ينتهي بعودته إلى الأرض، وإلى جنة معنوية، يراد بها انتقال روحه إلى جسد آخر ليتنعم ويثاب، لكانت جنته مساوية للمملكة الأرضية، كونهما كلتاهما على هذه الأرض.

ومن جهة أخرى فهو يشبه قول الله تعالى على لسان المؤمنين: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾[٧] يعني: النصر أو الشهادة، وكلاهما حسنة لأن في النصر ظهور الدين، وفي الشهادة الجنة والنعيم.

---

(١) **منو سمرتي**، ص٦٩٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) **الغيطا**، ص١٢٥.
(٤) سورة ص، آية: ٥٠.
(٥) سورة الزمر، آية: ٧٣.
(٦) **الغيطا**، ص١٢٨.
(٧) سورة التوبة، آية: ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢- ((يتعلق فقيرو المعرفة كثيرا بكلمات الــقــيدا الزاهرة، والتي توصي بمختلف الأعمال **لدخول الجنات**، حيث الولادة الصالحة والثراء وهلم جرا، ولرغبتهم باللذات الحسية والحياة المترفة، يدعون أن هذا هو نهاية المطاف))[١].

ويقول شارح النص: (لا يملك عامة الناس عادة قدرا كبيرا من الذكاء، ونتيجة لذلك فهم يتعلقون غالبا بثمار الأعمال الموصى بها في قسم "كرم - كاند" الفيداوي. إذ نجدهم لا يرغبون بما يتعدى وعود اللذات الحسية **ببلوغ الجنات التي تجري من تحتها الأنهار**، والرخاء والرفاهية التي تعم، **والخمر والنساء** المتوافرة بغزارة. يوجد في الــقــيدا العديد من التضحيات **لبلوغ تلك الجنات**... كما يذكر بأن على الإنسان تقديم تلك التضحيات **إذا رغب في الجنة**. يعتقد فقيرو المعرفة أن هذا هو جل غاية الحكمة الفيداوية... يذكر قسم "كرم - كاند" الفيداوي بأن من يتبع كفارة الأربعة أشهر يصبح بمقدوره **شرب عصير "سوم رس" وبذا يصبح خالدا وسعيدا**... لا ينشد هؤلاء التحرر من أغلال المادة، بل نجدهم شغوفين بأداء طقوس وشعائر الــقــيدا الرنانة. إنهم حسيون لذا لا يرغبون بغير **مباهج الجنات**. **تذكر الــقــيدا حدائق الجنات** التي تدعى "ننضن - كانن" **والتي توجد فيها الحوريات الجميلات وأنهار خمرة** "سوم رس"..)[٢].

وهذا النص جلي في ذكر حدائق الجنة وأنهار الخمر فيها والحور العين المذكورة كلها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وقد يكون العصير الذي من يشربه يصبح خالدا وسعيدا مشابها لحوض النبي ﷺ الذي يشرب منه المؤمنون في الآخرة، شربة هنيئة لا يظمأون بعدها أبدا، يقول النبي ﷺ: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا)[٣].

١٣- ((في القديم خلق رب الكائنات جميع الناس والملائكة وخلق معهم التضحيات لــ "فيشنو" وباركهم قائلا: "اسعدوا بهذه التضحيات (ياغيا) لأن القيام بها سوف يغدق عليكم كل ما تشتهون"))[٤].

ومما جاء في الشرح قوله: (لقد خلق رب المخلوقات "فيشنو" هذا الخلق المادي لمنح الفرصة للنفوس المشروطة **حتى ترجع إلى دار البقاء - ترجع إلى الله**... إن "برجا - بطي" هو المولى "فيشنو"، وهو رب كل المخلوقات... وهو حامي الجميع..)[٥].

---

(١) **الغيطا**، ص١٣٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٦- ١٣٧.
(٣) البخاري، **الصحيح**، كتاب الرقاق، باب في الحوض، م٥، ص٢٤٠٥، برقم: ٦٢٠٨. ومسلم، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، م٤، ص١٧٩٣، برقم: ٢٢٩٠.
(٤) **الغيطا**، ص١٧٣.
(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٤- ((بممارسة ضبط الجسد والعقل والأفعال، يدخل الصوفي التجاوزي ملكوت الله (مقام كريشنا) بإنهاء الوجود المادي))[١].

ومما جاء في الشرح: (يذكر "برهم - سمهيطا" بوضوح: ((إن المولى **يبقى دوما في جنته** المسماة "غولوك"..))... لا يمكن لأحد دخول السماء الروحية، **أي جنة المولى**، قبل معرفة كريشنا وامتداده الكامل "فيشنو"..)[٢].

١٥- ((من يترك جسده وقت الموت وهو يتذكرني وحدي يحرز طبيعتي فورا، لا شك في هذا أبدا))[٣].

يقول الشارح: (**كل من يترك جسده في وعي كريشنا ينقل على الفور إلى المقام التجاوزي للمولى الأسمى**..)[٤].

وفي موضع آخر يقول: (في الفصل الثامن يرد بأن **كل من يفكر بكريشنا لحظة الموت ينقل على الفور إلى السماء الروحية، مقام كريشنا**..)[٥].

وهذه النصوص تشبه إلى حد كبير قول النبي ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٦].

١٦- ((بعد سنوات مديدة من المتعة **على كواكب الأبرار**، يولد اليوغي الفاشل في عائلة ورعة أو عائلة أرستقراطية غنية))[٧].

١٧- ((أو يولد في عائلة يوغيين عظماء بالحكمة. مثل هذه الولادة نادرة في هذا العالم))[٨].

يقول الشارح: (يصنف من يمارسون اليوغا إلى فئتين: فئة تزل عن الدرب بعد مدة قصيرة من الممارسة، وأخرى تزل بعد طول ممارسة. إذا زل اليوغي بعد فترة وجيزة فإنه **يصعد بعد فناء جسده المادي إلى الجنات، حيث يقطن الأبرار**، وبعد حياة مديدة يعود ثانية إلى هذا الكوكب بالولادة في عائلة براهمة صالحة أو عائلة تجار أثرياء..)[٩].

---

(١) **الغيطا**، ص٣٠٧.
(٢) المرجع السابق، ص٣٠٨.
(٣) المرجع السابق، ص٤٠٤.
(٤) المرجع السابق، ص٤٠٥.
(٥) المرجع السابق، ص٥٨٠.
(٦) السجستاني، **السنن**، كتاب الجنائز، باب في التلقين، م٢، ص٢٠٧، برقم: ٣١١٦. وابن حنبل، **المسند**، م٥، ص٢٣٣، برقم: ٢٢٠٨٧.
(٧) **الغيطا**، ص٣٣٥.
(٨) المرجع السابق، ص٣٣٦.
(٩) المرجع السابق، ص٣٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

النصوص التي تذكر جهنم

جاء في كتاب منو سمرتي:

١ - ((إن من يدفع ما يفضل من طعام شراده إلى شودر **يقع في قعر جهنم على رأسه**))[١].

وذكر القعر يدل على أن هذه الجهنم ليست مجرد فكرة ذهنية، أو معنى معنويا، بل هي مكان حسي ملموس له قعر.

وهو يشبه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٢]. وقول النبي ﷺ: (إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاما ما تفضي إلى قرارها)[٣] وقول عمر ﷺ: (أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد)[٤] وقول أبي هريرة ﷺ: (والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا)[٥].

٢ - ((إن من ينوي أن يقتل برهمنيا، فيشهر عليه السلاح، ثم لا يقتله؛ **فإنه يتيه في الجحيم** - تامسر - مئة عام))[٦].

٣ - ((إن من يقبل هدية من ملك بخيل، عامل بأحكامه خلاف أحكام الشريعة، **يدخل تباعا في هذه الأحد وعشرين جحيما**..))[٧].

٤ - ((إن من يشهد أمام جماعة من العظماء، خلاف ما سمع أو رأى؛ **فإنه يقع - بعد الموت - في الجحيم، على رأسه**، ويخسر النعيم))[٨].

٥ - ((إن من يدعى إلى الشهادة فيشهد كاذبا **يقع على رأسه في ظلمات قاتمة في الجحيم**))[٩].

٦ - ((إن الملك الذي لا يعبأ بالقانون، الملحد، المفترس الذي يفترس رعيته بدل حفظها، **يغرق في قعر الجحيم بعد الموت**))[١٠].

---

(١) **منو سمرتي**، ص١٩١.
(٢) سورة النساء، آية: ١٤٥.
(٣) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح** "**سنن الترمذي**"، دط، ٥م، (تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم، م٤، ص٧٠٢، برقم: ٢٥٧٥.
(٤) المرجع السابق.
(٥) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، م١، ص١٨٦، برقم: ١٩٥.
(٦) **منو سمرتي**، ص٢٤٤.
(٧) المرجع السابق، ص٢٢٦.
(٨) المرجع السابق، ص٤١٥.
(٩) المرجع السابق، ص٤٢٠.
(١٠) المرجع السابق، ص٤٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- ((لقد قال برهماجي: **إن الابن يقي أباه نار "بت"** ولذلك سمي "بتر" لأن "بت" **اسم علم لجهنم** و"تر" معناه الواقي))[١].

٨- ((إن من يهدد البرهمن بضربه بالعصا، وما أشبه ذلك، قصد إيذائه، **فإنه يبقى في جهنم** مئة عام. ومن يضربه فعلا يبقى ألف عام.. إن سافك دم البرهمن **يبقى في جهنم** آلافا من السنين بعدد ذرات التراب الذي اختلط به الدم المسفوح))[٢].

٩- ((إن الحمقى الذين يكررون ارتكاب الآثام يقاسون أنواع العذاب الذي سنذكره في خلق متعددة.. إنهم يغللون ويمزقون **ويصلون عذاب جهنم** تامسر **وغيرها من الجهنمات** ويلقون في غابات أوراق أشجارها كالسيوف والحراب.. ويقاسون أنواع العذاب، إذ تأكلهم الغدفان والبوم ويصلون حر الرمضاء **وعذاب الجحيم** الذي لا يطاق))[٣].

وقد صرح كتاب البهغفض غيطا في موضع آخر بوجود جهنمات موجودة على كواكب جهنمية يتعذب فيها الخاطئون[٤]. وقد جاء ذكر جهنم في كتاب منو سمرتي أيضا، وفي مواضع كثيرة أيضا[٥].

---

(١) **منو سمرتي**، ص٥٣٥- ٥٣٦.
(٢) المرجع السابق، ص٦٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص٦٩٣.
(٤) المرجع السابق، ص٨٠- ٨١.
(٥) انظر على سبيل المثال: **منو سمرتي**، ص١٢٦، ١٦٨، ٢٤٤، ٦٨٩، ٦٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الجمع بين النصوص

أساس عقيدة التناسخ:

يقول الأعظمي بأن الكارما - أي: قانون الجزاء - هو أساس فكرة التناسخ، فإن الهندوس حين رأوا أن الظالم قد يموت وينتهي دون أن يذوق عقاب ظلمه وإثمه، لجأوا إلى إيجاد عقيدة التناسخ، حتى لا يفر المرء من الكارما[١].

وفي موقع آخر يقرر أن الجينيين هم الذي أدخلوا عقيدة التناسخ على الهندوسية، فصعب على الهندوس التحرر من هذه العقيدة، أما قبل الجينية **فإن البـوذيدا صرح بوجود الجنة والنار**[٢].

ويوافق على هذا التحليل الشيخ الإمام محمد أبو زهرة حيث يقول: (وإذا تخلصت الروح من الجسم كان أمامها ثلاثة عوالم: أولها العالم الأعلى، وهو عالم الملائكة، تصعد إليه الروح إن كانت بعملها تستأهل الصعود إليه، والخلاص من الجسم، والسمو إلى الملكوت الأعلى، والعالم الثاني عالم الناس، وهو عالمنا الحاضر معشر الآدميين، والنفس تعود إليه بالحلول في جسم إنساني آخر لتكتسب عمل خير، ولتجتنب عمل شر، إذا كانت أعمالها في الجسم الأول لا ترفعها إلى مراتب التقديس في أعلى عليين، ولا تنزل بها إلى أسفل سافلين في العالم الثالث وهو عالم جهنم، وهذا العالم يكون لمرتكبي الخطايا الواقعين في الذنوب، وليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم... وهكذا لكل صنف من الآثمين جهنم بمقدار يتناسب مع ذنبهم، ومقدار ما فيهم من فسوق عن الدين وخروج من حظيرته.

ثم هل جهنم دائمة، وكذلك الجنة؟ منهم من يرى أن الجنة نزلها دائم، وأن الجحيم كذلك، وأنها للجنة أبدا أو الجحيم أبدا، على مقدار ما قدم الشخص من عمل، فإن كان العمل في الحياة لا يرفع إلى الجنة ولا ينزل إلى الجحيم أعيدت الروح إلى جسم آخر، لتعمل ما يعليها أو يرديها)[٣].

وعجبت جدا حين قرأت كلاما لرؤوف شلبي يصرح فيه **بأن النصوص الهندوسية لا تقول بالتناسخ بالمعنى الشائع**، وهو تنقل الروح في الأجساد وفي الحيوانات والجمادات، فيقول: (إن النفس كاملة، ولكن البدن الذي يولد ليس كاملا، بل هو ناقص، واتصال النفس بالبدن علاقته غير معروفة أولها، ولهذا فإن البدن عليه أن يستغل وجود الروح فيه ليعمل أعمالا كثيرة على مظنة أنه لا حياة بعد ذلك أبدا، لأن الموت الذي سيأتي ولا يمكن دفعه أبدا، سوف يقضي على الحياة نهائيا. والروح بعد ذلك سوف لا تنتقل إلى بدن آخر.. ولهذا وجب أن يحرق البدن حسب تعاليم كارما الذي يقضي باتحاد الروح مع الجسد، وإحراقهما

---

(١) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٢٩، بتصرف.
(٢) المرجع السابق، ص٦٧٠.
(٣) محمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان (الأديان القديمة)**، ص٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند الموت، أما الروح فهي أبدية باقية **وحسب أعمال صاحبها تنال الجزاء، فهي إما في الجنة وإما في النار**، حسب أعمال صاحبها)[١].

ويتابع تحت عنوان عودة الروح بقوله: (وبعد أن تنال الروح نصيبها من النار أو من النعيم لا تستقر هناك، بل تولد من جديد، وتظل هكذا مرارا وتكرارا حتى تعرف حقيقتها، فتنفرد بذاتها لإلهها، وهنا تتخلص من مسؤولياتها الدنيوية، **وتعود إلى ربها في عالم البهجة والسعادة**، ويتم ذلك إذا انتهت كل البواعث التي تنشد آتما التي هي النفس إلى حب العودة إلى الدنيا، فلا يبقى لها أمل إلا أن تتحد مع آتما إلهها، وذلك هو المأرب الأخير للروح)[٢].

ثم يقرر بأن في النصوص التي قرأها باللغة الشرقية عبارات تفيد **بأن الروح لا تنتقل من بدن إلى بدن آخر، ولكنها بعد أن تنال نصيبها من النعيم أو الجحيم تولد من جديد**. وغاية الأمر أن عملية تكرر نعيم الروح وعذابها ثم ولادتها من جديد له نهاية هي أن الروح تتصل منفردة بربها، فتعرف حقيقتها، وعندئذ يكتب لها الخلود والبقاء. ثم يقول: (**ولعل هذا المعنى بعيد كل البعد عن مفهوم تناسخ الأرواح، أو لعل هذا مذهب في مفهوم تناسخ الأرواح**. صحيح أن الشهرستاني قرر أن أصحاب التناسخ مختلفون في تقرير هذا المبدأ، **لكنه عنف الهندوس ووصفهم بأنهم أشد الناس اعتقادا في التناسخية**. **ولعل هؤلاء الذين وصفهم بذلك غير البرهمانية**، لأنه ينطبق عليهم وصف الشهرستاني بأصحاب الروحانيات الذين أثبتوا متوسطات روحانية جاءت بالرسالة من عند الله في صورة البراهمة التي نقلت عنها أسماء "الريش" الملهمون الذين نزلت عليهم كتب الويدا. **وإذن فليس صحيحا أن يقال أن الهندوسية تقول بالتناسخ بمفهومه المصطلح عليه أن تحل الأرواح في صورة حيوانات...)**[٣].

ويقول بأنه لا يدافع عن الهندوسية، فهي في نظره نحلة ضالة، لا شك في ذلك عنده، ولكنه يحب أن يكون أمينا فيما ينقله من مصادرهم المباشرة: (**إنهم يقولون بنفي نقل الروح إلى بدن آخر**، ويقولون كذلك بعودة الروح إلى الوجود الذي يتكرر حتى تخلص الروح إلى ربها فتخلد في عالم السرور والبهجة، وذلك حسب منطقهم ولغتهم، فمن استطاع أن يثبت لهم تناسخا بأدلة علمية فلست محاجا ولا خصما في هذه القضية)[٤].

---

(١) رؤوف شلبي، **آلهة في الأسواق**، ص١١٠.
(٢) المرجع السابق، ص١١٠- ١١١.
(٣) المرجع السابق، ص١١١.
(٤) المرجع السابق، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول فيليسيان شالي: (ومن الغريب أن هذا الكتاب [الــڤــيدا] الصادر عن الآريين الغزاة، لا يشتمل بتاتا على واحدة من الأفكار التي تعود الناس أن يعتبروها خاصة من أكبر خصائص الفكر الهندي، أي فكرة التناسخ)[١].

ويقول ألبير شويتزر: (في الأوبانيشادات يرد أيضا مذهب التناسخ... فمذهب التناسخ لم يكن قد وجد بعد في أناشيد الريغ - ڤيدا، ففي ذلك العصر القديم كانوا يغذون الأمل في أن الأموات إنما يدخلون في عالم الآلهة، ولم يكونوا يقيمون وزنا لأعمالهم الصالحة بمقدار ما يقيمونه لما سيقدمونه لهم من أضاحي كثيرة ومجدية، أما مصير أولئك الذين لا يصلون إلى هذه السعادة فلا يشار إليهم إلا بإلماعات غامضة...

إن مذهب التناسخ يرتبط في الأصل بأسطورة تروي توجه الأموات نحو مسكن سماوي، فالنفوس القادمة من الأرض لتذهب إلى السماء تمر بموجب هذه الأسطورة بالقمر وتقيم فيه، فبعضها يتابع سيره بعد بعض الوقت نحو السماء، وبعضها يعود مرة أخرى إلى الأرض مع الأمطار... ففي هذه الأسطورة يظهر مذهب التناسخ في صورته الأولى)[٢].

ثم نقل نصا من الأوبانيشادات جاء فيه: (..والحقيقة أنكم عندما تصلون إلى القمر يسألكم: "من أنت"؟ عند ذلك يجب أن تجيبوا: " أنا أنت". وكل من يقدم هذا الجواب يتركه القمر يمر)[٣]. ثم علق بقوله: (والقمر في الأصل لا يعتبر إلا مكان إقامة لسعادة مؤقتة)[٤].

ثم قال: (وقد دعم بعضهم فكرة أن الأسطورة القمرية التي يعود إليها مذهب التناسخ لم تكن في أصولها آرية، وإنما ترجع إلى المفاهيم الدينية للسكان البدائيين السابقين للآرية الذين قد يكون الآريون قد استعادوها منهم، ولم يكن في المستطاع إثبات هذا الإدعاء، ومع ذلك يمكن القول إنه لم يكن ثمة أي أثر لهذه الأسطورة القمرية في الأناشيد الــڤــيدية وإنها تبدو غريبة على تصوف الاتحاد مع البراهمان)[٥].

وقد تكلم شويتزر مطولا عن تناقض فكرة التناسخ الهندوسية المتأخرة مع البراهمانية القديمة، وأظهر بما لا يدع مجالا للشك أن التناسخ دخيل على الفكر الهندي، وأنه لم يكن موجودا عند الهندوس الأوائل الذين اعتنقوا ديانة الــڤــيدا[٦]، وقد نص على أن سبب خضوع البراهمة العلماء لمثل هذا المذهب الذي

---

(١) فيلسيان شالي، **موجز تاريخ الأديان**، ص٧١.
(٢) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٤٧.
(٣) **كاوسيتالي - أوبانيشاد** ١، نقلا عن: ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٤٨، وعلق المؤلف في الحاشية بقوله: (كما ورد موضوع إقامة النفوس في القمر في: **البرهاد - أرنياكا - أوبانيشاد** ٦، **والشاندوجيا - أوبانيشاد** ٥).
(٤) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٤٨.
(٥) المرجع السابق، ص٤٨ - ٤٩.
(٦) المرجع السابق، ص٤٩ - ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتناقض مع فكرة الخلاص والوصول إلى العالم العلوي هو أنه (واسع الانتشار ويتمتع بتقدير كبير من الشعب بحيث لم يتمكنوا من تجاهله وإهماله..)[١].

فبعض العلماء من الجبناء وضعاف الشخصية، يخضعون لأفكار العوام البدائية مع مرور الأزمان، وقد رأينا صورا لذلك في اليهودية والمسيحية وحتى عند بعض الفرق في الإسلام.

ومن ناحية أخرى، رأى شويتزر أنه قد كان للبراهمة مصالح ما في اعتناقهم - ولو ظاهريا - لمبدأ التناسخ[٢]. ولكنه عاد وأكد مرة أخرى على أن المذهب البراهماني القديم لم يكن يهتم بأمر التناسخ لأنه كان على جهل تام به[٣]. ثم أخذ يعدد المشاكل التي ظهرت في المذهب البراهماني نفسه من صعوبة تلاؤمه مع مذهب التناسخ[٤].

ويؤيد مثل هذا الرأي ما قاله جفري بارندر حين نص على أن عقيدة التناسخ دخيلة على الفكر الهندي حين قال: (لقد كانت السعادة القصوى التي يبحث عنها الآري الـقـيدي من خلال القرابين التي يقول بها الدين هي أن يعثر لروحه على مكان بين الموتى الأبرار في "عالم الآباء" في قمة السماء... ويبدو أن الاقتناع المزعج بأن سكينة النفس في السماء ليست مضمونة، كان هو المصدر لكثير من التأملات المثمرة في اليوبانيشاد المبكرة. **فنحن نجد في اليوبانيشاد لأول مرة ثلاث عقائد مترابطة**، ذات أهمية كبرى لكل التاريخ الديني المتأخر في الهند:

١- العقيدة التي تقول إن النفس تموت على نحو متكرر وتولد من جديد، وتتجسد على نحو متكرر في كائن حي جديد، وهي العقيدة المسماة "سمسارا".

٢- والعقيدة التي تقول إن المرء يتحمل نتائج أعماله في هذه الحياة الدنيا أو في الحياة المقبلة (وهي تسمى الكرما).

٣- والعقيدة التي تقول إن هناك فرارا من التكرار الممل لتجدد الموت، وتجدد الميلاد وتسمى "الموكشا" أو "النرفانا")[٥].

ثم قال: (فنحن نجد في اليوبانيشاد المبكرة إلحاحا نظريا جريئا لتجربة **أفكار جديدة لم يسمع أحد عنها من قبل**، دون اهتمام كبير بالتحقق الدقيق من صدقها أو تحديد علاقاتها بعضها ببعض.. ومما له مغزى أن أولئك الذين يعلمون الأفكار الجديدة ليسوا جميعا من البراهمة. وتستخدم فيها بحرية أساليب من المجاز

---

(١) ألبير شويتزر، **فكر الهند**، ص٥٢.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥٣.
(٣) المرجع السابق، ص٥٣.
(٤) المرجع السابق، ص٥٣- ٦١.
(٥) جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٥٤- ١٥٥، باختصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كالأمثولات والاستعارات. ورغم أن فلسفة هذه الأعمال لا تزال في مرحلة التكوين والتجريب، فقد أصبح ينظر إليها فيما بعد على أنها القاعدة والأساس..)[١].

ثم يقول: (..وقد أصبحت المعتقدات الكلاسيكية عن تناسخ الأرواح، والثواب والعقاب والانعتاق، التي كانت في نصوص اليوبانيشاد في فترة تكوينها، أصبحت بديهيات، بنيت عليها فلسفة لم تعد تخضع للشك. وهناك بديهية أبعد من ذلك كانت شائعة بين جميع المذاهب التالية وهي أن الزمان دائري. فالكون يطرأ عليه النمو والانهيار أو الكون والفساد أو الدمار وإعادة الخلق على نحو لا نهاية له)[٢].

ثم يتحدث عن دورات الزمن المذكورة في "قوانين مانو" فيقول: (غير أن الفترة بأسرها ليست سوى عصر واحد من عصور الآلهة، والألف سنة منها عبارة عن يوم واحد من أيام براهما الخالق)[٣].

وهذا كقول الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾[٤].

وكذلك يذهب إلى هذا القول سيرغي توكاريف حيث ينص على أن فكرة التناسخ لم تكن معروفة في الفترة الـــڤـــيدية، وأنها ظهرت في الفترة البراهمانية، وأنها اعتبرت فيما بعد حجر الزاوية في الديانة الهندوسية[٥].

ونص أيضا على أنه حتى في قوانين مانو المتأخر لم يتم ذكر انتقال الأرواح إلا في الفصل الثاني عشر الأخير، وأنه كان يجري في الفصول الأخرى بدلا من هذه الفكرة تصوير أفكار عن تعذيب الآثمين في جهنم، وأنه إنما سادت هذه الفكرة في المؤلفات البراهمانية المتأخرة الأوبانيشادات[٦].

ويقول بأن مثل هذه العقائد الغريبة عن الفكر الـــڤـــيدي الآري قد انتقلت لتحل في الديانة البرهمية من معتقدات محلية قديمة[٧].

ويقول بأن الإيمان القديم بالتقمص شكل عقيدة خاصة بذاتها عن يوم حساب الآخرة لتصبح في خدمة تكريس النظام الاستثماري الطائفي دينيا[٨].

ويوافق علي زيعور على احتمال أن التناسخ في أصله نتاج غير هندي، فهو وجد في بلاد أخرى، وقبل أن يعرف في الهند..[١]

---

(١) جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٥٥، باختصار.
(٢) المرجع السابق، ص١٥٨.
(٣) المرجع السابق، ص١٥٩.
(٤) سورة السجدة، آية: ٥.
(٥) انظر: سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص٣٠٤.
(٦) انظر: المرجع السابق.
(٧) انظر: المرجع السابق.
(٨) انظر: المرجع السابق، ص٣٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الأعظمي: (ومع انتشار هذه العقيدة بين جماهير الهندوس، فإنها لم تكن موضع اتفاق في البداية، كما بدأ الخلاف في صفوفهم من جديد لاستحالة قبول العقل مثل هذه الخرافات.

ففي كتاب "برلوك أور بنرجنم" يعني "الآخرة ومسألة التناسخ" قصة يستدل بها المؤلف "كوبندكاجي" على مسألة التناسخ، ولكن في القصة نفسها إشارة واضحة بأن هذه المسألة كانت موضع خلاف شديد بين الملائكة والمقربين.

تقول القصة: كان "واج شروش" يتصدق بالأبقار غير الصالحة لدر الألبان، ويرجو أن يثاب على ذلك، فاعترض عليه ابنه "ناجي كيتا" فغضب الأب وبعثه في عالم الأموات، فرحب به ملك الموت، وسر بمجيء هذا الابن الذكي، وقال له: اسأل ما تشاء، فقال الابن: إن الناس يختلفون في الأرض فيما يحدث للإنسان بعد الموت؟ يقول بعضهم: إن روح الأموات تبقى بعد الموت، والبعض ينكرون ذلك، فما هي حقيقة هذا القول؟ قال ملك الموت: أيها الطفل الذكي، إن هذه المسألة من أصعب المسائل فهما وإدراكا، حتى الملائكة والمقربين يقعون في حيرة شديدة من معرفة مصير الأرواح. فاسأل سؤالا آخر، إلا أن الابن ألح على ذلك، فأجابه ملك الموت...

هذه القصة تدل صراحة بأن مسألة التناسخ لم تكن موضع اتفاق لدى فلاسفة الهندوس في بداية الأمر، وإلا لما تهرب ملك الموت من الإجابة عنها في أول الأمر، ولم يقل للابن إن الملائكة والمقربين لا يستطيعون فهم هذه المسألة)[٢].

ويقول الأعظمي أيضا: (كما أن بعض علماء الهندوس المحدثين الذين ينكرون هذه العقيدة استخرجوا بعض النصوص من الـــقـــيدات للدلالة على البعث والنشور لا على عقيدة التناسخ.

ففي ريج ڤيدا: ((اجتهدوا في حصول الشمس حتى تعرفوا قدر النار، إن رسلنا "بهرت" و"بكو" و"مات رشو" كلهم يؤمنون بالحياتين)) (أي الحياة الدنيا والآخرة) [ريج ڤيدا ١/ ١١/ ٦٠/ ١٠].

وفيه أيضا: ((إذا أذنت لكم في تناول الطعام الأبدي فيا "أكنى" كن من الذين يجتهدون في حصول الحياة الأبدية السرمدية)) [ريج ڤيدا ١/ ٩/ ٤٤/ ٥].

هذه عقيدة الـــقـــيدا في جولان الأرواح خلافا لما ذهب إليه العالم الهندوسي "ديانند" (١٨٢٤ - ١٨٨٣م) مؤسس "آريا سماج" وقلده جماهير الهندوس. وأما الذين أنكروا على "ديانند" وأتباعه فكثيرون، منهم عالم كبير "راهول سنسكرتايان" الذي يعد من أشهر المؤلفين المحدثين في الهند، يقول: (إن الذين قالوا بقول التناسخ كانوا في زمان "أبا نشاد" ولعلهم ما عرفوا أن هذه المسألة ستكون موضع شك وارتياب فيما بعد، ولا يقبلها العقل السليم).

---

(١) انظر: علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ص٩١.
(٢) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٢٦- ٦٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقول الدكتورة فريدة جوهان: (نعم "الـــڤـــيدا" يثبت التناسخ، ولكن مرة واحدة فقط لا آلاف المرات)[١] تعني بذلك البعث بعد الموت. ويقول "ستيا بركاش": (أنا أتحدى من يقول بالتناسخ، فإن هذه العقيدة لا توجد في الـــڤـــيدا)[٢].

ويقول "دركا شنكر" العالم الهندوسي الذي عرفته من مقالاته في مجلة "كانتي" الإسلامية التي تصدر من دلهي. وقد حاول هذا العالم الهندوسي إثبات تعاليم القرآن الكريم في الـــڤـــيدات لتقليل المنافرة بين الهندوس والمسلمين، وقد نجح في بعض هذه المحاولات. فكم من شباب هندوسي بدأوا يطالعون القرآن. يقول هذا العالم: (إن من الأسئلة الغريبة التي وجهت إلي: هل في الـــڤـــيدات مسألة اليوم الآخر؟ يقول: هذا السؤال كمن يسأل: هل في الجسم روح؟ فإن الـــڤـــيدات مملوءة بمسائل اليوم الآخر)[٣].

والهندوس يؤمنون بيوم القيامة ونهاية العالم، فهم يعتقدون بأن مخلصهم وحاميهم فشنو، الذي ظهر بالناسوت باسم كرشنا، سيأتي ثانية في الأيام الأخيرة. وكتب الهنود الدينية تقول: إنه متى عادت النجوم الثوابت إلى المكان الذي كان منه ابتداء دورتها، والحين الذي ابتدأ منه كل شيء (وذلك بشهر العقرب) يظهر فشنو بين الناس بهيئة فارس مدجج بالسلاح، وراكب على فرس أشهب ذي أجنحة، يحمل باليد الأولى حساما مشتعلا كمذنب، يهلك به الأشرار الذين لا يزالون أحياء على وجه الأرض، ويحمل في اليد الثانية خاتما مضيئا، إشارة لابتداء "الياكوس" أي الأجيال العظيمة، وأن الآخرة أتت، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر، وتهتز الأرض، وتسقط النجوم..[٤] وهو (أي كرشنا) يدين الأموات في اليوم الأخير..[٥] وهذا لا يمكن فهمه بغير القيامة والحساب. والله أعلم.

الخاتمة:

رأينا في هذا الفصل بوضوح، اعتقاد الهندوس بوجود عالم آخر مغاير لهذا العالم الفاني، فيه جنة للنعيم والثواب، وجحيم للتنكيل والعذاب، وهما جنة حسية حقيقية، ونار حسية حقيقية، لا مجرد تعبيرات مجازية واستعارات بلاغية.

---

(١) فريدة جوهان، **التناسخ والفيدا**، ص٩٣، نقلا عن: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٢٨.

(٢) ستيا بركاش، **أواكمن**، كا تحقيقي جائزة: الرام نكري، بنارس، ص١٠٤، نقلا عن: محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٢٨.

(٣) محمد الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٦٢٧- ٦٢٩.

(٤) انظر: محمد طاهر التنير، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، ص١٥٩- ١٦٠، ١٨٨. نقله عن: دوان، **خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى**، ص٢٨٢. Doan, Bible Myths and Their Parllels in other Religions

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٨٨. نقله عن: دوان، **خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى**، ص٢٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورأينا أيضا أن عقيدة التناسخ ليست أصلية في الهندوسية الأولى، ولم يعتقدها البراهمة الأولون، ولم تكن مذكورة في كتاب الفيدا، بل هي فكرة دخيلة على الهندوسية المتأخرة، وهي وجه من وجوه التحريف الكثيرة التي تعرضت لها هذه الديانة العريقة القديمة.

وقد نص بعض العلماء الهندوس على رفضهم لهذه الفكرة، بل وتأول بعضهم التناسخ المذكور في كتبهم المقدسة بأن المراد منه تناسخ واحد وميلاد واحد بعد الموت، وهو المسمى بالبعث بعد الموت للحساب، وهو ما يعتقده المسلمون.

وأستطيع أن أختم رسالتي هذه بقول الباحث الرحالة إيهاب الشريف، الذي زار الهند، وطاف في أنحائها، وقابل سكانها بمختلف طبقاتهم، في كتابه الممتع "الهند.. أسرار ومفاتيح" فقد لخص الغاية من رسالتي والدافع إلى كتابتها، ونتائجها أيضا، فقال: (كل من قرأت لهم ممن تناولوا الديانات في الهند، سواء كان من المسلمين أو الهندوس أو الغربيين، اعتبروا أن الإسلام والهندوسية يقفان دائما على طرفي نقيض، وقد يكون ذلك في ظاهره صحيحا، إلا أن زياراتي العديدة لمساجد ومعابد الهند، ومناقشاتي مع كثير من المسلمين والهندوس، جعلتني ألمس قواسم مشتركة تحتاج إلى متخصصين لتحقيق فهم أكثر اكتمالا لها..)[١].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العيش بين أفراد شعب ما، قد يعطي انطباعا مختلفا عن طبيعة تدينهم وتقاليدهم، يغاير التصور السائد الذي نسمع به عبر وسائل الإعلام، أو نقرؤه في الكتب التقليدية السردية التاريخية التي تتحدث عن تصورات وآراء قد تكون بعيدة عن الواقع.

ويتابع الباحث كلامه السابق مدللا عليه فيقول: (أشير في هذا الصدد - كمجرد مثال - إلى أن المثل الأعلى للروح، الذي يعد أساس العقيدة الهندوسية، هو التخلص من العالم المادي، لا سيادته. ورغم التناقضات الكثيرة بين الهندوسية من جانب والإسلام والمسيحية من جانب آخر، إلا أننا لا نحتاج لبذل مجهود مضاعف، لنكتشف العديد من القواسم المشتركة؛ **فمانو في الهندوسية - مثلا - هو - تقريبا - نوح عليه السلام في الديانات السماوية**، وقد أضاف الهندوس له بعدا فلسفيا، فها هو يعتني بسمكة صغيرة بناء على طلبها، فيضعها في إناء به ماء، وعندما تكبر ينقلها إلى حفرة بها ماء، وعندما تكبر يأخذها إلى البحر بعد أن تكون قد أمنت نفسها من السمك الكبير الذي لن يأكلها لأنها أصبحت مثله، وترد السمكة الجميل لمانو **فتنصحه بإعداد مركب لينقذ نفسه ومن يريد من الطوفان القادم، وأن يأخذ من كل**

---

(١) إيهاب الشريف، **الهند.. أسرار ومفاتيح**، ط١، الناشر: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، الهند، طباعة: المنار لفنون الطباعة، دمشق، سوريا، ٢٠٠٢م ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دابة زوجين[١]. عزرائيل قابض الأرواح نجده أيضا في العقيدة الهندوسية مجسدا في صورة "ياما" إله الموت)[٢].

لقد أعطانا الباحث عدة أمثلة مختلفة تشير إلى وجود قواسم مشتركة بين الديانات الربانية المنزلة من جهة، وبين الديانة الهندوسية - الوضعية في اصطلاحنا - من جهة أخرى. فهو يرى أن نبي الله نوح، قد جاء ذكره أو ذكر شخصية شبيهة له في النصوص الهندوسية، وهو أحد أولي العزم من الرسل، وهو أبو البشر الثاني، والمصدر الوحيد لمعرفته هو النص الرباني المقدس. فقد يكون هذا النص الهندوسي الذي ذكره منزل من عند الله أيضا كالتوراة والقرآن.

وهو يشير أيضا إلى أن إله الموت عند الهندوس قد يكون هو ذاته ملك الموت في الإسلام، ولكن التصور حوله قد حرف وبدل حتى غدا إلها بدل أن يكون ملكا.

ثم يقول: (الخلاف الجوهري بين الإسلام والهندوسية يتمثل في نظر الكثيرين في أن الهندوسية تؤمن من جانبها بعبادة الأصنام، فضلا عن أن العقيدة تقوم على أساس فكرة التناسخ، بما يعني أن الثواب والعقاب لا يتمثل في الجنة والنار، بل في الجسد الذي ستحل فيه الروح بعد أن تفارق جسدها السابق.

من الواضح أن كل هذه الأفكار يرفضها الإسلام جملة وتفصيلا، **إلا أن كثيرا من الهندوس الذين التقيتهم طرحوا وجهات نظر مختلفة دون أن يقصدوا التقريب بين الهندوسية والإسلام** - فهذا الأمر لا يعني من يؤمن بالعقيدة الهندوسية - حيث كان كل قصدهم توضيح بعض المفاهيم الخاطئة التي ترسخت في أذهان المسلمين والمسيحيين عن عقيدتهم.

التناسخ مثلا، وهو حلول الروح في جسد جديد بعد مفارقتها للجسد الذي كانت تسكن فيه، **ليس عملية أبدية**، بل إن كل ما يعني الهندوسي هو أن يلتزم التزاما راسخا بتعليمات عقيدته **لعل وعسى أن تخرج روحه من حلقة التناسخ وتصعد مباشرة إلى الملكوت الأعلى. يعني ذلك أن هناك جنة بشكل ما في العقيدة الهندوسية، وأن الخلاف حول هذه النقطة بينها وبين الإسلام يكمن فقط في المرحلة التي يطلق عليها "البرزخ"** وهي التي تفصل بين خروج الروح من الجسد، وبين النشور يوم الحساب.. فهذه المرحلة تبقى فيها الروح محلقة إلى أن تعود لجسدها يوم القيامة حسب الإسلام، بينما تحل في أجساد مختلفة الواحد بعد الآخر حسب العقيدة الهندوسية، إلى أن تتمكن من الارتقاء إلى الملكوت الأعلى إذا كان آخر جسد سكنته لإنسان صالح وتقي يستحق الارتقاء.

الأصنام أيضا التي نراها في المعابد لا يعبدها الهندوس في حد ذاتها فهم يعرفون أنها تماثيل لا تملك من أمرها شيئا، إنهم يعبدون فحسب الرمز الذي تجسده)[١].

---

(١) هذه السمكة هي أحد تجسدات الإله فشنو. انظر: جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص١٧٥.
(٢) إيهاب الشريف، **الهند.. أسرار ومفاتيح**، ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول أيضا: (**لا تدخل البقرة ضمن أرباب الهندوسية على عكس الاعتقاد الشائع، ولكن الهندوس يقدمون لها الاحترام الواجب كرمز للعطاء..**)[٢].

وقد رأينا في الفصل الثالث من دراستنا هذه ما الذي يعنيه قوله بأن التناسخ ليس عملية أبدية، وما المقصود بالملكوت الأعلى الذي أشار إليه، وقد رأينا مدى صحة الاستنتاج الذي توصل إليه الباحث من أن هناك جنة ويوما آخر بشكل ما في العقيدة الهندوسية.

أما مسألة عبادة الأصنام ونصبها في المعابد، فقد تمت دراستها في أحد مباحث الفصل الأول، وقد بحثنا في كونها من صلب عقيدة الديانة الهندوسية أم أنها دخيلة على الفكر الهندي في أزمان متأخرة. وأما مسألة تقديس البقر وعبادتها، فقد تمت دراستها أيضا.

ويتابع الشريف فيقول: (من المؤكد أن هناك هوة تفصل بين المفاهيم الإسلامية والهندوسية، وكل ما أريد أن أقوله هنا - وأكرر أنه يحتاج إلى من هم أكثر تخصصا وتبحرا في العلوم الدينية لتأكيده أو نفيه - أن الإسلام والهندوسية ليسا على طرفي نقيض في كل شيء، وأنهما أقرب إلى أحدهما الآخر مما قد نتصور، ولعل ذلك يكون وراء انتشار الإسلام في الهند، بل وإلى أن بعض الهندوس لا يعتبرون بالضرورة أن كل من يؤمن بالإسلام، قد انشق عن العقيدة الهندوسية.

أعترف أن الأمر أكثر تعقيدا وحساسية من محاولتي المتواضعة، ولكن مما لا شك فيه، أن محاولة إيجاد قواسم مشتركة بين عقيدتين من أهم العقائد من حيث عدد من يؤمن بهما، حيث يقدر الأتباع في الحالتين بمئات الملايين، أمر يستحق العناء، ولا مانع أيضا من بعض المخاطرة، وهي مخاطرة محسوبة، فالإسلام يكافئ المجتهد ولو أخطأ في اجتهاده..)[٣].

ولعل دراستي هذه تكون إحدى هذه المحاولات التي يوصي بها الباحث، وأرجو أن أكون وفقت فيها، وأرجو من الله الأجر إن أصبت، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وأستغفر الله من ذلك.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) إيهاب الشريف، **الهند.. أسرار ومفاتيح**، ص٨٧- ٨٨.
(٢) المرجع السابق، ص١١٩.
(٣) المرجع السابق، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره على عظيم منه وكبير فضله، حيث وفقني إلى إنهاء هذه الدراسة. وأختم دراستي هذه بقول لأحد الباحثين، يعبر فيه عما أريد قوله في نهاية هذه الدراسة؛ يقول ممدوح الزوبي في ختام كتابه "هل كان زرادشت نبيا؟": (لا نريد، من خلال ما تقدم، أن نقطع بأن زرادشت نبي، والعقيدة التي جاء بها إنما هي عقيدة سماوية جاءت من عند الله عز وجل، وأن كتاب الأفستا المقدسة هو كتاب سماوي. فالله عز وجل لم يعط علمه الكامل لأحد.. ونحن أعجز من أن نصل إلى نتيجة كهذه. لكن، وعلى اعتبار أن التساؤل في هذا المضمار أو في غيره من مضامير البحث والعلم، مشروع للوصول إلى الحقيقة، فقد جعلنا عنوان كتابنا هذا: "هل كان زرادشت نبيا؟" على شكل تساؤل لنحث البحاثة المتبحرين في علوم الدين على بحث هذا الموضوع بشكل أشمل وأعمق، علهم يصلون إلى نتيجة شافية في هذا الصدد..)[١].

ومع ذلك فأنا أذكر هنا أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١- الهندوسية في نظري هي ديانة كاملة صحيحة في أصلها، أنزلها الله بصورة صحيحة قبل آلاف الأعوام، ولكنها تحرفت وتبدلت ودخلها الشرك تماما كاليهودية والنصرانية ودين إبراهيم والمجوسية.

٢- الديانة الهندوسية ديانة عريقة جدا وقديمة قدم البشر، وهي ديانة متقلبة ومتغيرة، تحوي كل ما جاء إلى الهند أو ما ظهر فيها من أفكار وعقائد وتصورات وخرافات وأساطير، وهي تجمع بين أشد المتناقضات، وهذا هو سر بقائها وصمودها، وهو، من جهة أخرى، سبب تعقيدها وغموضها، ففي كل مرحلة من مراحلها لها اسم وعبادات وعقائد مختلفة، ولكل فرقة من فرقها العقائدية آلهة وأفكار تخالف ما عند الآخرين، ثم يجيء فكر جديد يجمع كل هذه الأفكار المتناحرة.

٣- في نصوص الهندوسية شيء كثير من التوحيد وتنزيه الله تعالى غاية في الجمال والوضوح، وعبارات تأمر بعبادة الله وحده وترك عبادة الآلهة الآخرين أو الملائكة أو البشر، وهذه النصوص قد تكون من بقايا الوحي ومن آثار النبوة. وفيها أيضا نصوص كثيرة في عبادة الآلهة والبشر والحيوانات والأصنام والأبقار، والجمع بين هذه النصوص المتناقضة هو أن هذه الآلهة الكثيرة هي أسماء أو صفات لإله واحد، أصبحت مع الوقت كأنها آلهة حقيقية مستقلة. أما عبادة البقر وتحريم ذبحها فهو تحريف دخل الهندوسية ولم يكن عند القدماء. أما عبادة الأصنام فقد دخلت الهندوسية في زمن متأخر أيضا.

٤- كريشنا ومانو وراما وبوذا حصل معهم مثل ما حصل مع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى البشر، ثم عظمهم أتباعهم وقدسوهم حتى وصلوا بهم إلى درجة الألوهية فعبدوهم، وعدوهم من تجليات الإله، كما حصل مع عيسى عليه السلام.

([١]) ممدوح الزوبي، **هل كان زرادشت نبيا؟**، ص١٠٧- ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- أنا أؤمن بأن الله تعالى قد أرسل رسلا وأنبياء إلى الهند وشعوبها، وأنزل عليهم كتبا وشرائع، قد يكون الفيدا أحدها، أو أنه قد أخذ من بعضها. ولكنني لا أجرؤ على الجزم بأن واحدا منهم بعينه هو النبي.

٦- يعتقد كثير من الهندوس بأن الله تعالى يرسل أنبياء ومرسلين إلى البشر، وبعضهم يعتقد نبوة بعض الأنبياء كآدم ونوح وإبراهيم. ويؤمنون بأن الله تعالى أوحى لبعض البشر بكلامه وكتبه.

٧- يؤمن الهندوس ببعثة ٢٤ نبيا، قد جاؤوا كلهم إلا خاتمهم الذي ينتظرونه، وفي كتبهم بشارات كثيرة تتكلم عن هذا النبي الخاتم المخلص، وفي بعضها ما يشير إلى النبي محمد ﷺ ويصفه ويذكر اسمه أحيانا، وهذه البشارات هي كالبشارات التي نجدها عند أهل الكتاب، في التوراة والإنجيل.

٨- يؤمن الهندوس باليوم الآخر والحساب من ثواب وعقاب، ولكن عن طريق التناسخ وتكرار المولد، وأن الثواب والعقاب يتمان في هذه الدنيا، ولكن كتبهم القديمة ترفض هذه الفكرة، بل ولم يجد الباحثون ذكرا للتناسخ إطلاقا في الفيدا، على معنى تكرار الولادة، بل قد جاء ذكر التناسخ على انه مرة واحدة، والمقصود هو البعث بعد الموت للحساب. وقد وجد كثيرون من الباحثين نصوصا فيها ذكر الجنة والنار والعذاب الحقيقي والنعيم الحقيقي في عالم آخر وليس على هذه الأرض الفانية. أما مسألة الانطلاق والرجوع إلى الخالق والاتحاد به، فليس معناه أن يصير الخالق والمخلوق شيئا واحدا، أو أن تدخل ذات البشري في ذات الباري، بل المعنى هو الانتقال إلى عالم الله الباقي الخالد، وهو النعيم في الجنة.

وأخيرا أوصي إخواني الباحثين بدراسة الأديان الوضعية بمثل هذه الطريقة ومن هذا المنطلق الجديد. فقد يجدون أمورا كثيرة جميلة لا نعرفها عن هذه الأديان، وقد نتفاجأ بما يتوصلون إليه من نتائج.

والحمد لله أولا وآخرا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع

- إحسان عباس، **ملامح يونانية في الأدب العربي**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

- أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ط١١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد السبتي الصقلي الحسني الطالبي الشريف (ت ٥٦٠ هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، دط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت.

- أديب صعب، **الأديان الحية، نشوؤها وتطورها**، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

- الإسفراييني، أبو المظفر [شهفور بن] طاهر بن محمد (ت ٤٧١ هـ)، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، ط١، (تحقيق: كمال يوسف الحوت)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

- إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٩٢٠م)، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دط، ٢م، (تحقيق: محمد شرف الدين بالتقايا)، ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، دت.

- إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٩٢٠م)، **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دط، ٢م، وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م.

- أبو الأعلى المودودي، **مبادئ الإسلام**، ط٢، ترجمة: محمد عاصم الحداد، مكتبة الشباب المسلم، دمشق، ١٩٥٧م.

- الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ٣٠م، (تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- ألبير شويتزر، **فكر الهند (كبار مفكري الهند ومذاهبهم على مر العصور)**، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط١، دار طلاس للدراسات، دمشق، ١٩٩٤م.

- الآمدي، أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد بن سالم التغلبي (أو الثعلبي) البغدادي (ت ٦٣١ هـ)، **غاية المرام في علم الكلام**، دط، (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.

- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦ هـ)، **كتاب المواقف**، ط١، (تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إيهاب الشريف، **الهند.. أسرار ومفاتيح**، ط١، الناشر: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، الهند، طباعة: المنار لفنون الطباعة، دمشق، سوريا، ٢٠٠٢م.

- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم (ت ٤٠٣ هـ)، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، ط١، (تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، ط٣، ٦م، (تحقيق: مصطفى ديب البغا)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران الدمشقي الحنبلي (ت ١٣٤٦ هـ)، **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، ط٢، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.

- البزدوي، أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم الحنفي الماتريدي (ت ٤٩٣ هـ)، **أصول الدين**، دط، (تحقيق: هانز بيتر لنس)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الإسفراييني (ت ٤٢٩ هـ)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.

- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الإسفراييني (ت ٤٢٩ هـ)، **أصول الدين**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦ هـ)، **تفسير معالم التنزيل**، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م.

- البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥ هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط١، ٨م، (تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

- البيروني، أبو الريحان أحمد بن محمد (أو محمد بن أحمد) السندي الهروي الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ)، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، دط، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، إعادة طبع في عالم الكتب، بيروت، ١٩٥٨م.

- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥ هـ)، **تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دط، دار الجيل، دت.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ)، **السنن الكبير**، ١٠م، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي (ت ٢٧٩ هـ)، **الجامع الصحيح "سنن الترمذي"**، دط، ٥م، (تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨ هـ)، **مجموع الفتاوى**، دط، ٣٧م، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد، د دار نشر، دت.

- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨ هـ)، **درء تعارض العقل والنقل**، دط، ١٠م، (تحقيق: محمد رشاد سالم)، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١ هـ.

- الجرجاني، علي بن محمد الشريف الحسيني الحنفي (ت ٨١٦ هـ)، **كتاب التعريفات**، ط١، (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٣م

- جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، دط، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة ١٧٣، الكويت، ١٩٩٣م.

- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ط١، ٢م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ)، **تلبيس إبليس**، ط١، (تحقيق: السيد الجميلي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، المكتب الإسلامي، ودار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م.

- جوزيف كاير، **حكمة الأديان الحية**، دط، ترجمة: حسين الكيلاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م.

- جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة: كامل يوسف حسين، دط، إصدار: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥م.

- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الشافعي (ت ٤٧٨ هـ)، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، ط٢، (تحقيق: فوقية حسين محمود)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الشافعي (ت ٤٧٨ هـ)، **الإرشاد**، ط١، (تحقيق: أسعد تميم)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٥م.

- حاج أورانج كاي رحمات بن داتو بحر الدين الإندونيسي، **من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ**، المطبوع بالعربية باسم: **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، مطالعة في مكتبة علماء الملايو**، دط، عرض وترجمة وتعليق: رؤوف شلبي، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، دت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي الحنيفي، الشهير بالملا كاتب جلبي (ت ١٠٦٧ هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ط١، ٦م، دار الفكر، بيروت - دمشق، ١٩٩٤م.

- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان، المسمى: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان، علي بن بلبان بن عبد الله الفاسي، (ت ٧٣٩ هـ)، ١٨م، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط٣، ١٣م، دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء، دمشق، ٢٠٠٠م.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، دط، ٤م، (تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني)، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط١، ٣م، (تحقيق: يوسف البقاعي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، م١.

- حسن شحاتة سعفان، **كونفوشيوس النبي الصيني**، دط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م.

- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، **المسند**، دط، ٦م، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دت.

- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي (ت ٣٨٨ هـ)، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، ط١، ٤م، (تحقيق ودراسة: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود)، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، دار إحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م

- خير الدين الزركلي، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط٥، ٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

- دانييل إ. باسوك، **المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم**، ط١، ترجمة: سعد رستم، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحق السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، **السنن**، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت.

- الدهلوي، محمد إسماعيل بن عبد الغني الهندي الشهيد (ت ١٢٤٧ هـ)، **رسالة التوحيد**، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- رؤوف شلبي، **الأديان القديمة في الشرق**، ط٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م.

- رؤوف شلبي، **آلهة في الأسواق، دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق**، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري القرشي الطبرستاني، المعروف بابن الخطيب الشافعي (ت ٦٠٦ هـ)، **التفسير الكبير**، المعروف باسم: **مفاتيح الغيب**، ط٢، ١١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي (ت ٥٩٥ هـ)، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، اعتنى به: خليل مأمون شيحة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م.

- سرفبالي راداكريشنا، وشارلز مور، **الفكر الفلسفي الهندي**، ترجمة: ندره اليازجي، دط، دار اليقظة العربية، ١٩٦٧م.

- سعد رستم، **التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا**، ط١، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م.

- سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ط٥، ١١م، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٩م.

- سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية**، ط٣، ٣م، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٦م.

- السكسكي، أبو الفضل عباس بن منصور التريمي الشافعي (ت ٦٨٣ هـ)، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، ط٢، (تحقيق: بسام العموش)، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٩٦م.

- سليمان مظهر، **قصة الديانات**، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- سوامي نيخيلاناندا، **الهندوسية، تحضيرها لاعتاق الروح**، ترجمة: مبيل محسن، ط١، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠م.

- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط٢٥، ٦م، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

- سيرغي توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة: أحمد فاضل، ط١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٨م.

- الشافعي، محمد بن إدريس المطلبي القرشي (ت ٢٠٤ هـ)، **كتاب الأم**، ط١، ١١م، (تحقيق: فوزي رفعت عبد المطلب)، دار الوفاء، المنصورة، ٢٠٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ)، **الملل والنحل**، دط، ٢م، (تحقيق: محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ)، **تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ط٢، ٦م، (تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٧م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ)، **الوافي بالوفيات**، ط١، ٢٩م، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت ٢١١ هـ)، **المصنف**، ط٢، ١١م، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ)، **المعجم الكبير**، ط٢، ٢٠م، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ)، **المعجم الأوسط**، ١٠م، دط، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ، (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ط٣، ١٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

- ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ)، **تفسير اللباب في علوم الكتاب**، ط١، ٢٠م، (تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- عباس محمود العقاد، **مطلع النور**، دط، دار الهلال، القاهرة، دت.

- عباس محمود العقاد، **الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.

- عبد الراضي محمد المحسن، **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني**، ط١، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ٢٠٠٢م.

- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط١٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م.

- عبد الرحمن بن محمد، **الغنية في أصول الدين**، ط١، (تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر)، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م.

- عبد الرزاق عفيفي، **مذكرة التوحيد**، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ.

- عبد الرزاق محمد أسود، **موسوعة الأديان والمذاهب**، ط٢، ٣م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، **التوحيد للناشئة والمبتدئين**، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

- ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٢، ٢م، الإصدار الثاني، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد الله بن عبد المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

- العظيم آبادي، أبو الطيب شمس الحق محمد بن علي بن مقصود علي الصديقي (ت ١٣٢٩ هـ)، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ط٢، ١٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

- علي زيعور، **الفلسفة في الهند**، ط١، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.

- علي بن أحمد السبتي الأموي، **تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء**، ط١، (تحقيق: محمد رضوان الداية)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.

- علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، دط، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٦م.

- عمار الطالبي، **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية**، دط، ؟م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، م١.

- عمارة نجيب، **الإنسان في ظل الأديان**، دط، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٧٩م.

- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية**، دط، ١٣م، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

- عمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، ط٨، دار النفائس، عمان، ١٩٩٩م.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)، **قواعد العقائد**، ط٢، (تحقيق: موسى محمد علي)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)، **فضائح الباطنية**، ط١، (تحقيق: محمد علي القطب)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠م

- غوستاف لوبون، **حضارة الهند**، دط، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨م.

- فاضل السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، ط٢، مكتبة القدس، بغداد، ١٩٨٣م.

- فالح العجمي، **صحف إبراهيم، جذور البراهيمية من خلال نصوص الفيدا ومقارنتها بالتطبيقات والروايات التاريخية**، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦. من موقع:

http://www.alriyadh.com/٠٢/٠٣/٢٠٠٦/article١٣٤٩٢٧.html

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين البغدادي الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ)، **المعتمد في أصول الدين**، دط، (تحقيق: وديع زيدان حداد)، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣م.

- فراس السواح، **دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، ط٢، دار علاء الدين، دمشق، دت.

- فوزي محمد حميد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ط٢، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٩٩م.

- فيليسيان شالي، **موجز تاريخ الأديان**، ط٢، ترجمة: حافظ الجمالي، دار طلاس للدراسات، دمشق، ١٩٩٤م.

- قحطان عبد الرحمن الدوري، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط١، دار العلوم، عمان، ٢٠٠٧م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط١، ٢٤م، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت ٦٧١ هـ)، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام**، دط، (تحقيق: أحمد حجازي السقا)، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

- القنوجي، صديق حسن خان البخاري (ت ١٣٠٧ هـ)، **تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن**، دط، ١٥م، (تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري)، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٩م.

- القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥ هـ)، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**، ط١، ٢٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ)، **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**، ط١، ٢م، (تحقيق: علي بن حسن الحلبي)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.

- الكاساني (أو: الكاشاني)، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت ٥٨٧ هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط٢، ٦م، (تحقيق: محمد عدنان ياسين درويش)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م.

- كامل سعفان، **معتقدات آسيوية (موسوعة الأديان القديمة)**، ط١، دار الندى، مدينة نصر، ١٩٩٩م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤م، (تحقيق: حامد أحمد الطاهر)، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ)، **رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر**، ط١، (تحقيق: أسعد محمد المغربي)، دار حراء، مكة المكرمة، ١٤١٠ هـ.

- لويس منيار، **هرمس المثلث العظمة**، ط١، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٨م.

- مالك البدري، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود**، ط٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢م.

- مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأديان المعاصرة**، ط٣، ٢م، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤١٨هـ.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، **أعلام النبوة**، ط١، (تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

- مجدي وهبة، وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٤٨م.

- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي (ت ٨٦٤ هـ)، **تفسير الجلالين**، ط١، دار الحديث، القاهرة، دت.

- محمد أبو زهرة، **دراسات في الأديان، مقارنات الأديان (الديانات القديمة)**، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

- محمد إسماعيل الندوي، **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**، ط١، دار الفتح، بيروت، دت.

- محمد إسماعيل الندوي، **الهند القديمة: حضاراتها وديانتها**، دط، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م.

- محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م)، **تفسير المنار**، ط١، ١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

- محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، دط، ٣٠م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

- محمد ضياء الرحمن الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ط١، مكتبة الرشد، الرياض.

- محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، دط، ١٢م، دار سحنون، تونس، دت.

- محمد طاهر التنير، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، دط، بيروت، ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م.

- محمد عبد الله الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- محمد العلي، **الهندوسية: عرض ونقد**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٨هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- محمد علي الصابوني، **النبوة والأنبياء**، دط، د دار نشر، مكة المكرمة، ١٣٩٠هـ.

- محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، دط، ١٢م، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة، دت.

- محمد نبيل طاهر العمري، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، رسالة لنيل درجة العالمية (الدكتوراة) في العقيدة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، ١٩٩٣م.

- محمد نبيل طاهر العمري، ومحمد أحمد الحاج، **مقارنة أديان**، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ١٩٩٨م.

- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دط، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

- المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (ت ١٢٠٦ هـ)، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ط١، ٤م، (تحقيق: محمد عبد القادر شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دط، ٥م، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

- مصطفى محمود، **رحلتي من الشك إلى الإيمان**، دط، دار العودة، بيروت، دت.

- المقدسي، المطهر بن طاهر (أو ابن المطهر) (ت بعد ٣٥٥ هـ)، **البدء والتاريخ**، ط١، ٢م، (تحقيق: خليل عمران المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- ممدوح الزوبي، **هل كان زرادشت نبيا؟**، ط١، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٨م.

- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١ هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١، (تحقيق: محمد رضوان الداية)، دار الفكر، بيروت - دمشق، ١٩٩٠م، ص٢٠٩.

- نبيه القاضي، **التقمص**، ط١، دار كيوان، دمشق، ٢٠٠٦م.

- النسفي، أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠ هـ)، **تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط١، ٤م، (تحقيق: مروان الشعار)، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٦م.

- هاشم الدفتردار ومحمد علي الزغبي، **الوحدة الدينية في العالم: البراهمة**، دط، دار الإنصاف، بيروت، ١٩٤٨م.

- الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي المعتزلي قاضي القضاة (ت ٤١٥ هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، ط١، (تحقيق: سمير مصطفى رباب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

- هوستن سميث، **أديان العالم**، ط١، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، ٢٠٠٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- هيام الملقي، **التجارب الروحية بين التأصيل الإسلامي والاغتراب الثقافي**، ط١، دار الفكر، بيروت - دمشق، ٢٠٠١م.

- ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ط٣، ٣٢م، ترجمة: زكي نجيب محمود، طباعة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م.

- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، **المسند**، ط١، ١٣م، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني)، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

- يوسف اليان سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، دط، ٢م، مطبعة سركيس، مصر، ١٩٢٨م.

- **بهغفض غيطا** (الكيتا) (بدون تصرف) - شرح نعمته الربانية بهكطي فيدانت سوامي بربهوباض، مؤسس آشازيا (السيد الروحي) لحركة العالمية لأجل وعي كريشنا، ترجمه عن الإنجليزية: رافاناري ضاس (رابح يونس)، دار كتب بهكطي فيدانت، ١٩٧٢م.

- **شرح المصطلحات الكلامية**، ط١، إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، دار البصائر، طهران، ومؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٥هـ.

- **الكتاب المقدس**، ط٦، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٠م.

- **مجلة ثقافة الهند**، دط، ٥٥م، إصدار المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، رئيس التحرير: البروفيسور نثار أحمد الفاروقي، عدد ٤، م٤١، ١٩٩٠م.

- **منو سمرتي**، ترجمة: إحسان حقي، ط١، دار اليقظة العربية، دت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

DIVINITY, PROPHETHOOD AND SALVATION IN HINDUISM (A CRITICAL COMPARATIVE STUDY)

By

Magd Aladin G. Rinawi

Supervisor

Dr. Mohammad A. Al - Khateeb

ABSTRACT

For this is a study that aims to show the other side and point of view of Hinduism, which quite the exact opposite of what we have known or thought of.

This study contains an introduction, a prologue, four main chapters, and a conclusion.

The introduction includes the reason behind selecting the topic, and the problem of the topic selecting.

While introducing previous studies on the same topic. With the researchers method.

The prologue chapter talks about the definition of Hinduism, its names and history, ancient India and their tribal and nations will be talked in order to understand the nature of Indians and Aryans, and the development of religion throughout. Furthermore, the sacred books and their development will show how Hinduism is constantly changing.

The thesis main topic will be discussed in four chapters:

The first chapter is entitled: Divinity in Hinduism. It includes three sections. Mentioning Hinduism recent polytheism beleifes, monothistical texts and infallibility of God, dispraising idolatry, worshipping angles, and disdeificatting cows, from the hindu sacred books that I found, I will deal with the discussions of

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

researchers specialized in the topic of Hinduism who have taken these ideas straight from the sacred books. Then combining these texts with what is known of their polytheism and idolatry.

The second chapter is entitled: Prophethood in Hinduism between denial and approval. It includes four sections, some of the sections talk about the need of humanity for prophets and messengers from variance nations and countries, each nation were warned, and each warner is either a prophet, messenger, or cleric, or jurist straight honest ruler. Therefore, its for more the allah almighty has sent prophets to all nations in different parts of the earth, among them in India, China etc, based on the holy quran.

It includes also that part of hindu believe in prophethood and messages of God to humans, contrary to what we would understand from some muslem scientists words that all hindu deny that. Some of them believe obviousle in number of known prophets as Amad - father of mankind - or Nooah or Abraham.

Also it includes that apotheosizing historical Indian heros as kreshna and rama etc, was an alteration of prophethood belief, this alteration is similar to what had happened in Christianity.

It includes also believing hindu in Gods inspiration, and that they believe that their sacred books are Gods inspiration. Its known that this inspiration is the prologue of prophethood and its basis.

This chapter was closed by mentioning hindu gospels of prophet Muhammad, some researchers believe in it.

Hinduism books talk about sending ٢٤ prophets from God to mankind, all of them has shown up except the last one, they are still waiting for him until now. This prophet has a lot of adjectives, some of them are very similar to the prophet Muhammads adjectives.

The third chapter was intitled: salvation in Hinduism, it includes two sections speaking about hindu believing in the other life (hereafter) judgment day, paradise and hell, is all that happens just by transmigration of souls and rebirth in this

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

world? Or in another different world in hereafter? I talked about these points by mentioning their known belief in this subject, then bringing back their texts that mentioned paradise and hell. The meaning of release is only the other lifes happiness. Transmigration wasn't mentioned in old Hinduism books, it was added to their beliefs in late period of hindu history.

In the epilogue, I put the most important results of my research, in addition to recommendations.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com